الأدب الإسلامي

٦١

مجلة فصلية تصدر عن رابطة الأدب الإسلامي العالمية - العدد (٦١) ١٤٣٠هـ / ٢٠٠٩م

نحو منطلقات إسلامية للفن والأدب

أمانة الكلمة عند المبدع المسلم

القصة العربية في أفريقيا

قصر في الجنة

مقاربة النص الشعري بين الجمال والفكر

بسم الله الرحمن الرحيم

الأدب الإسلامي وضمير الأمة

كانت الأمة في عهد الحروب الصليبية أسوأ حالاً منها في عهدها الحاضر، وها هي ذي كتب التاريخ تحدثنا عما كانت تعانيه الأمة من تأخر وفرقة وانقسام وفساد في حياتها الفكرية والاجتماعية مع ضعف روح الجهاد والعجز عن ردّ الجيوش الصليبية التي توالت حملاتها، وأجمعت أمرها على احتلال بيت المقدس، والاستيلاء على الأرض التي وصفها البابا أوربان الثاني بأنها الأرض التي تفيض لبنا وعسلا.

ومع ذلك كله فإن الأدب الإسلامي الذي أدى دوره منذ معركة الإسلام الأولى مع كفار قريش، ومع توالي المعارك الإسلامية من بدر إلى حطين أدى دوره المتميز في فترة الحروب الصليبية، وأسهم في تمسك الأمة بدينها القويم، وحضّها على مواجهة الأعداء ووصف المعارك الحاسمة ورثاء الشهداء الأبرار وتمجيد الانتصار.

ويكفي لبيان دور الشعر الإسلامي في الحروب الصليبية أن نذكر جلوس السلطان صلاح الدين الأيوبي في دمشق بعد استعادة بيت المقدس ليستمع إلى نحو خمسين شاعراً يهنئونه بذلك الانتصار العظيم.

وها هو ذا التاريخ يعيد نفسه، فلا نكاد نجد دولة إسلامية لا يحتلها عدو غاصب، أو يتهددها عدو متربص، أو تقوم فيها فتن كقطع الليل المظلم، وها هي ذي القدس يعيث فيها فساداً عدو لم يعرف التاريخ أشد منه حقدا، ولا أنكى منه لؤماً، تعينه على عداوته دول كبرى ودول صغرى ، وقد توالت ويلاته حتى لم يكد ينجو منه أحد من شعب فلسطين الأعزل، وبلغ من كثرة هذه الويلات، وتواليها ليل نهار أن لم تعد تتحرك لها ضمائر الناس ولا نخواتهم وهم يرون إخوانهم بين شهيد وسجين، ترمل نساؤهم، وتقتل أطفالهم، ويفتك الجوع والحرمان بهم.

وما نملك إلا أن نشكو بثنا وحزننا إلى الله، وما نملك إلا أن نرسلها صرخة مدوية في ضمير أدباء الأمة وشعرائها أن يقوموا بما قام به أسلافهم من قبل، بأن يوقظوا ضمير الأمة بالكلمة الطيبة لإقالتها من عثرتها، وإنقاذها مما تردّت فيه من الوهن والهوان، ومن البعد عن روح الجهاد كما يريده الله عز وجل، خالصا لوجهه الكريم، بعيدا عن التطرف والإرهاب، مع ما يحمله الأدب شعراً ونثراً من رسالة سامية في رسم طريق النهوض والتقدم، وإعداد العدة، وتقوية حصون الأمة.

رئيس التحرير

مجلة فصلية تصدر عن
رابطة الأدب الإسلامي العالمية
المجلد (١٦) العدد (٦١)
محرم - ربيع الأول ١٤٣٠هـ
كانون الثاني (يناير) - آذار (مارس) ٢٠٠٩م

رئيس التحرير
د . عبد القدوس أبو صالح

نائب رئيس التحرير
د . ناصر بن عبدالرحمن الخنين

من كُتّاب العدد

د . ناصر الخنين

د . محيي الدين صابر

د . سعد دعبيس

د . عماد الدين خليل

شروط النشر في المجلة

- تستبعد المجلة ما سبق نشره
- موضوعات المجلة تنشر في حلقة واحدة.
- يرجى كتابة الموضوع على الحاسوب أو بخط واضح مع ضبط الشعر والشواهد وألا يزيد عن عشر صفحات.
- يرجى ذكر الاسم ثلاثيا مع العنوان المفصل.
- ترسل نبذة قصيرة عن الكاتب.
- توثيق البحوث توثيقا علميا كاملا.
- الموضوع الذي لاينشر لايعاد إلى صاحبه.
- إرسال صورة غلاف الكتاب،موضوع الدراسة أو العرض، أو صورة الشخصية التي تدور حولها الدراسة أو المجرى معها الحوار.

المراسلات باسم رئيس التحرير
المملكة العربية السعودية
الرياض ١١٥٣٤ ص ب ٥٥٤٤٦
هاتف: ٤٦٢٧٤٨٢ - ٤٦٣٤٣٨٨
فاكس: ٤٦٤٩٧٠٦
جوال: ٠٥٠٣٤٧٧٠٩٤

Web page address
www.adabislami.org
E-mail
info@adabislami.org

الاشتراكات
للأفراد في البلاد العربية
ما يعادل ١٥ دولارا
خارج البلاد العربية
٢٥ دولارا
للمؤسسات والدوائر الحكومية
٣٠ دولارا

أسعار بيع المجلة
دول الخليج ١٠ ريالات سعودية أومايعادلها، الأردن دينار واحد، مصر ٣ جنيهات، لبنان ٢٥٠٠ ليرة، المغرب العربي ٩ دراهم مغربية أومايعادلها، اليمن ١٥٠ريالاً، السودان ٢,٥ جنيه، الدول الأوربية ما يعادل ٣ دولارات.

مدير التحرير
د . وليد إبراهيم قصاب

سكرتير التحرير
أ . شمس الدين درمش

هيئة التحرير
د . سعد أبو الرضا
د . حسين علي محمد
د . عبد الله بن صالح المسعود
د . محمد عبدالعظيم بن عزوز

مستشارو التحرير
د . عبدالعزيز الثنيان
د . عبدالباسط بدر
د . حسن الهويمل
د . عبدالله العريني
د . رضوان بن شقرون

في هذا العدد

دراسات ومقالات

❖ الافتتاحية:
- الأدب الإسلامي وضمير الأمة — رئيس التحرير — ١
- مقاربة النص الشعري بين الجمال والفكر — د . وليد قصاب — ٤
- ميزان الشعر الإسلامي — د . ناصر الخنين — ١٨
- القصة العربية في أفريقيا — أحمد محمد عبده — ٢٦
- نحو منطلقات إسلامية للفن والأدب — د . أحمد حسن محمد — ٣٨
- عقبة بن نافع في الشعر الجزائري.. — د . جمال مباركي — ٤٦
- الإبداع في ديوان نقوش على واجهة القرن ١٥ الهجري للعشماوي — علي عبدالله الأنصاري — ٥٦
- لمن نحمل الرصاص .. قراءة في قصص جهاد الرجبي — سمير أحمد الشريف — ٦٢
- في ندوة الشيخ عبدالعزيز الرفاعي — فاضل السباعي — ٨٠
❖ الورقة الأخيرة:
- مشروع مقترح لمختارات من الأدب الإيماني — د . عماد الدين خليل — ١١٢

الشعر

- تحية إلى إستانبول — عبدالله خليل شبيب — ١٧
- فلا تقهر — علي عبدالله الزبيدي — ٢٥
- خاتم الأنبياء — محمد ياسر أمين الفتوى — ٢٩
- لائذ بالرحاب — محمد صالح الخولاني — ٥٨
- يا أطفال العالم اتحدوا — د . سعد دعبيس — ٦٨
- إلى زوجة تاجرة — د . عبدالحكيم الأنيس — ٧١
- متى تعودين؟! — محمد عبدالباري — ٨٥
- تأمل.. — بدر عمر المطيري — ٩٥

القصة والمسرحية

- حدائق الحب (خاطرة) — حسين التلسيني — ١١
- جنة الرعب — حميدة قطب — ١٢
- كلمات (خاطرة) — فوزية العمري — ٢٤
- إيمان وأمومة — فاطمة محمد شنون — ٣٧
- كيس من الخبز (من الأوردية) — سيد عاصم محمود — ٤٠
- هموم امرأة — ابتسام شاكوش — ٥٩
- النازحان — فيصل عبدالرحيم — ٨٢
- قصر في الجنة (مسرحية) — علي أحمد باكثير — ٨٦
- محاكمة الإنسان — إبراهيتي الهواري — ٩٦

الأبواب الثابتة

❖ لقاء العدد:
- مع د . محيي الدين صابر — حوار: وحيد تاجا — ٣٢
❖ من تراث الأدب الإسلامي:
- خليلي عوجا - شعر — النابغة الجعدي — ٥٤
- إياك والأماني - نثر — الحسن البصري — ٥٥
❖ من ثمرات المطابع:
- أمانة الكلمة عند المبدع المسلم — د . صالح أبو عراد — ٦٤
❖ تعقيب:
- وقفة مع نجيب محفوظ وروايته رحلة ابن فطومة — محمد بسام ملص — ٧٢
❖ رسائل جامعية:
- شعر حسين علي محمد .. دراسة فنية — عرض: فرج عبدالوهاب — ٩٢
❖ مكتبة الأدب الإسلامي:
- الأدب الإسلامي في شبه القارة الهندية لجراهام بيلي — التحرير — ٩٨
- مملكة النحل رواية لعلي نار — عرض: د . أمين الستيتي — ٩٩
❖ أخبار الأدب الإسلامي — إعداد: شمس الدين درمش — ١٠٠
❖ بريد الأدب الإسلامي — التحرير — ١٠٩
❖ ترويح القلوب:
- انفجار في المطبخ — محمد سعيد المولوي — ١١٠

من قضايا النقد الأدبي الهامة البحث في كيفية التعامل مع النص الأدبي، والمعايير التي ينبغي أن تضبط هذا التعامل.

وهي قضية اختلفت حولها كثيراً وجهات نظر الدارسين. أينحاز هذا النقد إلى الجمال الفني، فيكون هو شغله الشاغل، من منطلق أن أي تجربة أدبية هي ذات قيمة مستقلة بصرف النظر عن الآثار المترتبة عليها، أم أنه مطالب بالبحث في هذه الآثار، من منطلق أن القيم الفكرية التي تقدمها هذه التجربة، أو تعبر عنها، هي مما لا يمكن تجاهله، لأن الأدب ليس مجرد رسم بالألفاظ، أو هندسة فنية للعبارات، بل لا بد أن ينطوي هذا الرسم وهذه الهندسة على شيء ذي بال؟!

د . وليد قصاب

مقاربة النص الشعري بين الج

أينحاز النقد الأدبي إلى الجمال أم إلى الفكر أم إلى كليهما معاً؟ أي أيتعامل مع طبيعة الأدب أم مع وظيفته، أم مع كليهما ؟وإذا كان الجمال الفني في العمل الأدبي - فيما يدعي قوم - مما يمكن أن يُتفق عليه، أو على الأقل مما لا خلاف بيّناً فيه، أفيكون الأمر كذلك بالنسبة إلى الفكر؟

إن الشكلانيين يقولون: إن الفكر هو دائما موطن خلاف بسبب تعدد المذاهب والعقائد والفلسفات والأديان التي تنطلق منها تصورات الأدباء والفنانين وهم يبدعون ما يبدعون، وإذن فإن التعامل النقدي مع النصوص الأدبية بالمعايير الجمالية وحدها يبدو – بحسب الظاهر – أقرب إلى طبيعة النقد، وإلى طبيعة الأدب، وأقدر – في الوقت نفسه – على بلورة أحكام أقرب إلى الموضوعية والاتفاق كما يدعي أنصار المقاربة الشكلية.

◂◂ استقلالية التجربة الشعرية:

إن التجربة الشعرية مثلا تبدو – انطلاقا من التصور النقدي السابق – وكأنها ذات قيمة مستقلة عن الآثار النافعة التي قد تنجم عما قد يتصل بها من معنى خلقي، أو فلسفي، أو اجتماعي، أو ما شاكل ذلك، إذ إنها – في جوهرها- تجربة خيالية أو تأملية تنشأ عن طريق وضع الكلام في نسق خاص من الوزن. ولذلك ذهب بعض النقاد إلى أن واجب نظرية الشعر التركيز على هذه القيمة المستقلة، والبحث عنها، والعناية بكشف أسرارها وخباياها.

تقول الناقدة

إليزابيث درو: «لما كان الشعر فنا وسيلته اللغة فمن واجب الناقد أن يفعل ما في وسعه ليبين مظاهر هذه المهارة اللفظية»[١].

وكتب أودن ذات مرة يقول: إذا حضر إليه شاب يطمع في أن يكتب شعراً، وقال له: لديّ أمر جليل أود أن أكتب عنه ؛ فهو ليس بشاعر، ولكنه إذا اعترف وقال:«أريد أن أقف طويلا مع الألفاظ، أستمع لحديثها؛ فهو حينئذ قد يصبح شاعرا..»[٢].

وكان الجاحظ قد سبق الجميع في التعبير عن

مال والفكر

أهمية الشكل – من غير إهمال للمضمون – عندما قال قولته المشهورة: «المعاني مطروحة في الطريق، يعرفها العجمي والعربي، والبدوي والقروي والمدني، وإنما الشأن في إقامة الوزن، وتخير اللفظ، وسهولة المخرج، وكثرة الماء، وفي صحة الطبع، وجودة السّبك، فإنما الشعر صناعة، وضرب من النسج، وجنس من التصوير..»[٣].

وقد تبنى بعض النقاد – بسبب من ذلك – الدعوة إلى استقلالية الحكم النقدي عن الارتباط بأي معيار آخر غير فني، فقال روستريفور هاملتون:«إن النشاط العملي والنشاط العقلي لهما أهمية ثانوية في نظرية الشعر... ولكن اهتمامها بهما مقصور على كونهما عاملين يدخلان عالم الخيال. وقيم الشعر – كغيره من الفنون الأخرى – متميزة عن قيم الأخلاق، كما هي متميزة عن قيم التفكير، وينبغي الحكم على الشعر – من حيث هو شعر – طبقا لنوع التجربة الخيالية التي يمدنا بها فحسب، ولا يجوز الحكم عليه بمعيار ما فيه من خير خلقي، أو بمعيار صدقه بالنسبة لشيء يقع خارجه..»[٤].

وفي نقدنا العربي تحضر بقوة – في هذا السياق – عبارة القاضي الجرجاني في كتابه (الوساطة بين المتنبي وخصومه) في موطن الرد على من انتقص من شاعرية أبي الطيب المتنبي « وغض من شعره لأبيات وجدها تدل على ضعف العقيدة وفساد المذهب في الديانة، كقوله:

يترشفن من فمي رشفات
هن فيه أحلى من التوحيد

وقوله:

وأبهر آيات التهاميّ أنه
أبوكم، وإحدى ما لكم من مناقب(٥)

يقول الجرجاني معقبا:« فلو كانت الديانة عارا على الشعر، وكان سوء الاعتقاد سببا لتأخر الشاعر، لوجب أن يمحى اسم أبي نواس من الدواوين، ويحذف ذكره إذا عدت الطبقات، ولكان أولاهم بذلك أهل الجاهلية، ومن تشهد الأمة عليه بالكفر. ولوجب أن يكون كعب بن زهير، وابن الزبعرى وأضرابهما ممن تناول رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وعاب من أصحابه، بكما خرسا وبكاء مفحمين.

ولكن الأمرين متباينان، والدين بمعزل عن الشعر..»[٦] .

وهذه العبارة – كما فهمها بعضهم – تجعل الحكم على شاعرية الشاعر، مستندا إلى المقاييس الجمالية وحدها، لا إلى معتقده أو قيمه الفكرية.

حضور الفكر في المقاربة النقدية

والحق أولا أن هذه وجهة نظر واحدة من وجهات النظر في التعامل مع النص الأدبي وتقويمه، وهي تمثل الاتجاه الجمالي الشكلاني في القديم والحديث.

ولكن كان إلى جانبها باستمرار – وفي القديم والحديث كذلك – الوجهة الأخرى التي ترى في الفكر مكونا من مكونات الجمالية، وهي تعتد به، وتحتكم إليه في تقدير الأدب والأدباء، وفي إنزالهم منازلهم،

■ **إن النقد الأدبي الحديث يغلب عليه إهمال القيم، والاستهانة بالفكر، لأنه يعيش الشك، ولا يؤمن بأية ثوابت أو يقينيات أو حقائق قطعية، وهو لذلك يدعو إلى الشكلية.**

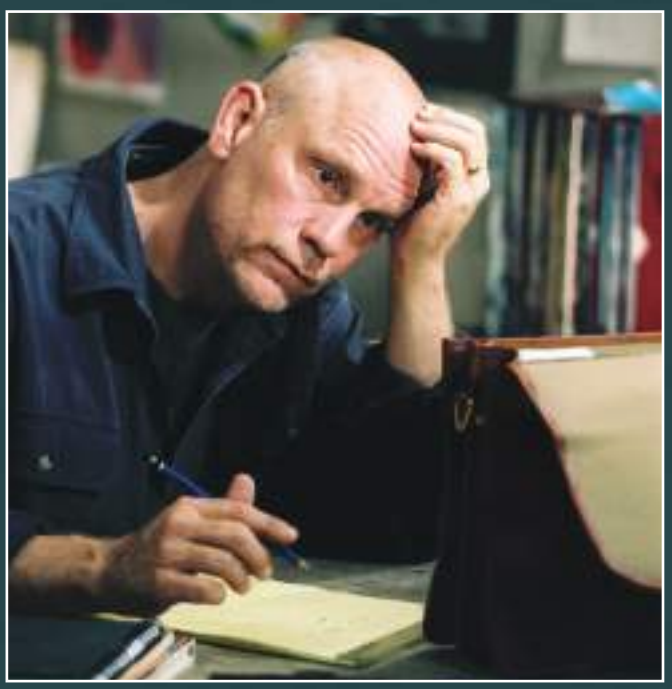

وإعطائهم أقدارهم، وقد تقدمهم أو تؤخرهم بسبب الفكر أو المعتقد، وقد تقبل نصوصهم بسبب ذلك أو تستقبحها وترفضها.

ففي نقدنا العربي مثلا نجد نصوصا كثيرة توضح أن القيم الهجينة والاستهتار بالدين والمثل الرفيعة كانا سببا في تأخر منزلة الشاعر الفنية وفي إسقاط شعره.

فهذا الأصمعي مثلا يحتكم إلى هذا المعيار الديني والخلقي في تقديم أو تأخير عدد من الشعراء القدماء والمحدثين.

يقول الأصمعي عن السيد الحميري:«قبحه الله، ما أسلكه لطريق الفحول ! لولا مذهبه، ولولا ما في شعره ما قدمت عليه أحدا في طبقته..»[٧].

ويقول عنه في مرة أخرى:«والله لولا ما في شعره من سب السلف لما تقدمه من طبقته أحد..»[٨].

ويقول عن مزرد بن ضرار – أخي الشماخ–:« ليس بدون الشماخ، ولكنه أفسد شعره بما يهجو الناس..»[٩].

وفي السياق نفسه يقول أبو عمرو الشيباني عن أبي نواس:«لولا ما أخذ فيه أبو نواس من الرفث لاحتججنا بشعره، لأنه محكم القول..»[١٠].

وفي رواية:«لولا أن أبا نواس أفسد شعره بهذه الأقذار – يعني الخمور – لاحتججنا به..»[١١].

وقال أبو عبيدة معمر بن المثنى كذلك عن أبي نواس:«لولا تهتكه لفضح جميع الشعراء..»[١٢].

وكان أبو عمرو بن العلاء يرجع تقهقر منزلة الأعشى عند طائفة من النقاد إلى ما ينطوي عليه هو أو شعره من رديء الفعال.

يقول:«هو أشعر القوم إلا أنه وضعه إلحافه بالسؤال..»[١٣].

وفي مقابل ذلك شفعت القيم النبيلة في تقديم منزلة بعض الشعراء عند بعض النقاد.

ينقل أبو عبيدة حجة من قدم جريرا على شعراء طبقته، فيقول:« يحتج من قدم جريرا بأنه كان...وكان دينا عفيفا..»[١٤].

والحق أن النصوص – في النقد العربي – التي استندت إلى المعيار الديني والخلقي في مقاربة النصوص، وفي قبولها أو رفضها، وفي استحسانها أو

استقباحها، و في تقديم أصحابها أو تأخيرهم، وفي رواية أشعارهم أو حجبها، أكثر من أن تحصى[١٥].

بل إن بعض النقاد جعل من واجب الناقد الاحتكام إلى هذا المعيار، بالذهاب إلى أبعد من الشكل، والتفتيش عما يقوله النص، أي بالبحث عن القيم والأفكار التي يدعو إليها.

يقول مثلا أبو عامر بن شهيد:« من الواجب على الناقد أن يبحث عن الكلام، ويفتش عن شرف المعاني، وينظر مواقع البيان، ويحترس من حلاوة خَدْع اللفظ، ويدع تزويق التركيب.. فقد ترى الشعر فضي البشرة وهو رصاصي المكسر، ذا ثوب معضد أو مهلهل وهو يشتمل على بَهَق أو برص.. لا يستحق صاحبه غير أن يكون تلّعابة، أو صاحب براعة، وإنما يستحق اسم الصناعة بتقحم بحور البيان، وتعمد كرائم المعاني والكلام، وأن ينطق بالفضل، ويركب أثباج الجد، ويطلب النادرة والسائرة، وينظم من الحكمة ما يبقى بعد موته، ويذكر بعد فوته..»[١٦].

◂◂ النقد الحديث يستهين بالمعاني:

إن النقد الأدبي الحديث اليوم – وهو نقد مصنوع في معمل الفكر الغربي، ونتاج تصورات فكرية مادية – يغلب عليه إهمال القيم، والاستهانة بالفكر،لأنه يعيش الشك، ولا يؤمن بأية ثوابت أو يقينيات أو حقائق قطعية، وهو لذلك يدعو إلى الشكلية، ويتبنى الجمالية، وهو يدعو إلى مقاربة النصوص الأدبية مقاربة فنية شكلية،تركز على اللغة والأشكال التعبيرية، وتهمل المضامين والأفكار، وهي لا ترى في الأدب إلا شكلا باهرا من أشكال اللغة، إنه هندسة ألفاظ جميلة، ونحت عبارات خلابة رائعة خارجة على عبارات اللغة المألوفة، إنه تشكيل جمالي باهر يتميز بـ (الانزياح) أو (العدول) أو (اختراق) المألوف المتداول من اللغة، ولكنه – في هذه الأحادية القاتلة – لا يحاول أن يذهب إلى أبعد من ذلك.

إن النقد الحديث القادم إلينا من الغرب لا يعبأ بالقيم، ولا يهتم بالأفكار والمضامين، ولا يتوقف عند الفلسفات والعقائد والإيديولوجيات التي ينطوي عليها النص الأدبي .

إن أي درس نقدي يحاول أن يربط الأدب بالحياة، أو المجتمع، أو الإنسان،هو في نظره – نقد متخلف – يتعامل مع خارج النص دون داخله، ويتوقف عند عرضه دون جوهره.

إنه ينظر إلى التجربة الأدبية – كما ذكرنا – بمعزل عما يترتب عليها من آثار، و عما ينجم عنها من أهداف وغايات.

ويزعم أصحاب هذه الاتجاهات الشكلانية الجمالية أن هذا يكسب المقاربة الأدبية الحَيْدة والموضوعية، إذ يبتعد بها – كما سبق أن ذكرنا – عن دائرة الاختلاف الناتج عن تباين الرؤى والتصورات الفكرية والعقدية.

◂◂ دعوى الحَيْدة النقدية:

إن هذه الدعوة إلى الحيدة النقدية، وعدم إدخال المعتقدات والأفكار في الحكم النقدي – وإن بدت وجيهة في الظاهر – لا سبيل إلى تحقيقها في واقع الأمر، وهي مطلب عسير غير ميسور ؛ وذلك لأن طبيعة معتقداتنا لها تأثير كبير في تلقي التجربة الشعرية، وفي الإحساس بها، مما يدخل – بشكل إرادي أو غير إرادي– في الحكم عليها.

إن لكل قارئ للشعر طبيعته الخاصة، وإن كثيرا أو قليلا من الإعجاب بالقصيدة ليرجع إلى كونها تقدم تجربة المتلقي، أو حالة من حالاته – وهو ذو حساسية خاصة – وثقافة خاصة، وإن له آراءه ومواقفه من الحياة والكون، ولا بد أن يؤثر ذلك كله في موقفه من الإحساس الفني والجمالي بالقصيدة.

تقول إليزابيث درو:«إن الذوق الشخصي سيظل دائما متباينا بحسب ما للإنسان من فردية وميول خاصة... لأن لون ثقافتنا، ومبلغ وعينا، يدفعاننا دائما إلى اتخاذ بعض المقاييس الفنية وطرح بعضها الآخر..»[١٧].

ويقول هاملتون:«بالإجمال فإن طبيعة معتقداتنا لها تأثيرها – ولن أقول تأثيرها الكبير – على مستوى تجربتنا الشعرية»[١٨].

ثم إن الأدب مرتبط – في البدء والنهاية – بالحياة بأكملها ؛ فهو يصدر عنها، ويغترف من معينها، وإن إحدى غايات الأدب العظيم «تبليغ التجربة الإنسانية وتوصيلها»، ولقد كان الدكتور جونسون يقول:«الغاية الوحيدة للأدب هي أن يجعل القارئ يحسن الاستمتاع بالحياة، أو يحسن تحملها».

إن الحياة الإنسانية – بكل عمقها وتنوعها وواقعيتها – هي مادة الأدب، والأدب سجل حي لما رآه الناس في الحياة، وما عرفوه منها، وما خبروه من أحوالها، وما أحسوا به تجاهها، وما كانت مواقفهم منها، ولذلك كان هدسون يقول: إن الأدب تعبير عن الحياة وسيلته اللغة. وكان كولردج يقول:إن الأدب نقد للحياة[١٩]..

وإذا كانت صلة الأدب بالحياة – في كل صورها وأشكالها – هي هذه الصلة العميقة الحميمة، فهل يمكن عندئذ الاكتفاء بالنظر إلى الأدب على أنه تجربة جمالية مستقلة، ثم التوفر على قراءته، والحكم عليه بعيدا عن أي سياق اجتماعي أو فكري؟

ثم إن افتراض الجمال في العمل الأدبي مسألةً شكلية بحتة، مجردةً عن الفكر، أمرٌ فيه نظر. صحيح أن الشعر مثلا لا تصنعه الأفكار، ولكنه يثرى بها، وهي تغني تجربته الجمالية نفسها. وإن انهماك الشاعر في معرفة الحياة، والتعمق فيها، يكسبانه حصيلة موفورة من الثقافة والخبرة، فضلا على حس مرهف يجعل تجربته أكثر حرارة وصدقا وإقناعا وإنسانية.

صحيح كذلك أن العمل الفني لا يستمد جلاله وروعته من جلال الموضوع الذي يعالجه، بل من خلال القدرة الفنية على التعبير عن هذا الموضوع، ولكن الأصح كذلك أن التجربة الفنية لا تنهض على الأسس

■ **الأدب مرتبط – في البدء والنهاية – بالحياة بأكملها؛ فهو يصدر عنها، ويغترف من معينها.**

الشكلية وحدها «إن المبنى في ذاته لا قيمة له من دون المعنى. وإن الاثنين لا ينفصلان. وإن الشعر استعمال خاص للغة، ولكن قيمة أي استعمال للغة هي أن نقول شيئا، لأن اللغة وسيلة اتصال بين الناس...»[٢٠].

ولا شك في أن النقاد يؤثرون الحكم على القصيدة من خلال فنيتها، فمثل هذا الحكم الفني أحظى عند النقد، لأن عناصره أكثر إقناعاً، إذ هي تشكل قسطا مشتركا بين الناس، لأنها تقوم على الكمال الشكلي، والتناسق الجمالي، والحكم الفني – في هذه الحالة – يستمد شرعيته من عناصر ذاتية داخلية في النص

نفسه، لا يتدخل فيها الفكر أو العقيدة اللذان تفترق عندهما مشارب الناس ومذاهبهم ومنازعهم، ولذلك يبقى لتجربة الحكم الفني الجمالي نوع من التميز، باعتبارها متعة خيالية يؤكدها نظام معين للكلام.

ولكن المشكلة - كما ذكرنا - أن الحكم الفني الجمالي وحده لا سبيل إليه عند أيّ ناقد مهما ادعى الحيدة الفكرية، ذلك أن هذه الحيدة أمر غير ميسور أصلا. وهذا ما عبرت عنه بشكل صريح إليزابيث درو بقولها:«نوقشت كثيرا فكرة الشعر والمعتقد، وكثير من الناس يجدون أنهم لا يستمتعون بالشعر إذا كانوا يختلفون مع الشاعر في معتقداته أو أفكاره، فاعتقاد ملتون الديني مثلا قد حطم كل استمتاع بالفردوس المفقود، وكفر بوب بالأنظمة الدينية قد أفسد قصيدته «مقال في الإنسان»، وفي الجانب الآخر يقف أولئك الذين يعلنون أن أفكار الشاعر لا تلعب دورا في تذوق الشعر، وأنهم يمكن أن يكونوا موضوعيين تماما بالنسبة إليها. وأنا أشك كثيرا في صحة هذا الزعم...»[٢١].

إن النقاد يدعون إلى الموضوعية وإلى العلمية، وتقول طائفة منهم: إن عملية النقد لا يمكن أن تتحقق إلا إذا «اعتبر الفن غرضا صرفا»، ولكن الواقع والممارسة العملية يؤكدان أن محاولة الناقد التجرد الصارم، أو التام، عن قناعاته الفكرية والعقدية أمر غير مستطاع، وأن قناعة الناقد (الجمالية) لا بد أن تهتز - إن لم نقل تنهار - أمام نص فاقع الدلالة في تقديم فكرة عن الحياة والكون مخالفة كل المخالفة لما يعتقده أو يحس به.

يتحدث الناقد الفرنسي (دانييل برجيز) عن تيارات النقد الأدبي الحديث الكبرى، وهي: النقد التكويني، والنقد النفسي، والنقد الموضوعاتي، والنقد الاجتماعي، والنقد اللساني، ثم يوضح لنا أنها ترتبط أصلاً بمفهوم فكري عقدي عن الإنسان. يقول: إن هذه التيارات الخمسة «تفترض مفهوما معينا للنص الأدبي، وحتى مفهوما معينا للإنسان...»[٢٢].

وفي نقدنا العربي التراثي نجد نماذج كثيرة تشعر بعدم القدرة على هذه الحيدة النقدية المطلوبة، إذ نجد مثلا عددا من النقاد - الذين بدت آراؤهم النقدية النظرية أقرب إلى التعبير عن منحى جمالي، يقعون - في أحيان غير قليلة - في التناقض والتضارب عند التطبيق، أي عند مقاربة النص الشعري والتعامل معه.

بل إن هؤلاء النقاد الذين حاولوا الفصل بين شاعرية الشاعر ومعتقده، أو بين فنية النص والفكر الذي يحمله، أو حاولوا أن يستبعدوا المعيار العقدي أو الخلقي عند الحكم على النصوص، استهجنوا جميعا - عند المقاربة النقدية التطبيقية - تجاوزات الشعراء الدينية، ووقفوا موقفا شديد القسوة من قائليها، بل ما أكثر ما صدرت عنهم بحق الشعراء عبارات في منتهى القسوة !.

فها هوذا أبو هلال العسكري الذي صنَّفه بعض الدارسين على أنه من أنصار الشكل يورد بعضا من أقوال من سماهم «الملحدين لعنهم الله» كديك الجن، وابن أبي البغل، وأبي نواس وغيرهم، ثم يقول: «قبحّهم الله، لقد أعظموا القول، ولم ينتفعوا إلا بالفضيحة في الدنيا، والإثم في الآخرة...».

ثم لا يكتفي العسكري بهذا النقد العقدي العنيف لهؤلاء الشعراء، بل يشفع ذلك ببيان سبب إيراده هذه النصوص، فيقول:«وإنما أورد مثل هذا لتعرف أهله، ولأن تسمية الكتاب توجبه»[٢٣].

وانظر إلى شدة ابن وكيع على المتنبي لتجاوزه العقدي في قوله:

أي محل أرتقي
أي عظيم أتقي
وكل ما قد خلق الله
وما لم يخلق
محتقر في همتي
كشعرة في مفرقي

يقول في نقده:«هذه أبيات فيها قلة ورع، احتقر ما خلق الله عز وجل، وقد خلق الأنبياء والملائكة والصالحين، وخلق الجن والملوك والجبارين. وهذا يجاوز في العجب الغاية، ويزيد على النهاية، وقد تهاون بما خلق الله وما لم يخلق، فكأنه لا يستعظم شيئا مما خلق الله، وهو من خلق الله عز وجل الذي جميعه عنده كشعرة في مفرقه. وهذا مما لا أحب إثباته في ديوانه لخروجه عن حد الكبرِّ إلى حد الكفر...»[٢٤].

◁◁ النقد الإسلامي:

وعلى العموم فإن النقد الإسلامي - من منطلقين اثنين: أحدهما واقعي، والآخر شرعي عقدي - يرى أن المقاربة النقدية لأي نص أدبي ينبغي أن تكون مقاربة جمالية وفكرية، أي تركز على الشكل والمضمون، على الأداة والرؤية.

فأما المنطلق الواقعي فقد بينا أن تخلي أي ناقد عن عقيدته أو اتجاهه الفكري والفلسفي، والاحتكام إلى المعايير الجمالية وحدها، أمر غير ممكن أصلا، وهو غير متحقق على أرض الواقع، وإن اختيارالناقد لمنهج معين يتعامل به مع النصوص هو - في حد ذاته - وجه من وجوه شخصيته، أو فكره، أو فلسفته.

وأما من المنطلق الشرعي فهو أن الأدب - في تصور الناقد الإسلامي - ليس وعاء جماليا فحسب، وإنه -مهما احتفى بفنية النص التي لا يكون هذا النص أدبا إلا بها - لا يكتفي بذلك، فالنص الأدبي وعاء جمالي وفكري، وكما يُبحث فيه عن المتعة والفنية والتشكل اللغوي الباهر، يُبحث فيه كذلك عن الفائدة والهدف والوظيفة.

إن دعوة بعض مناهج النقد إلى تجريد الأدب من الغاية، وإلى ابتعاده وابتعاد النقد الذي يدرسه عن «الذرائعية» دعوة غير سديدة، وهي لا تتفق - على أقل تقدير - مع التصور الإسلامي للأدب، ذاك التصور الذي يرى في الأدب نشاطا مؤثرا فعالا، يراه نشاطا عقليا جادا، قادرا على بناء الإنسان بناء فكريا سليما، بما يمتلك من طاقات جمالية وإمتاعية هائلة تجعله قادرا على الانسراب إلى أعماق النفس والتأثير فيها تأثيرا بالغا.

لقد كان واحد مثل سيدنا عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - يدرك خطر الأدب، وقوة تأثيره، ودوره في البناء والإصلاح، ولذلك كان حثه الدائم على تعلمه وحفظه .

كتب عمر.. ذات مرة إلى أبي موسى الأشعري -

■ نماذج الأدب الرفيع التي خلدت على مر الدهور برهان ساطع لا يقبل الشك على عناق الشكل والمضمون، والجمال والفكر.

رضي الله عنه - يقول له: «مُر من قبلك بتعلم الشعر، فإنه يدل على معالي الأخلاق، وصواب الرأي، ومعرفة الأنساب»[٢٥].

وهذه كلها وظائف نفعية إصلاحية للشعر.

وقال في مرة أخرى في هذا السياق نفسه:«تحفظوا الأشعار، وطالعوا الأخبار، فإن الشعر يدعو إلى مكارم

الأخلاق، ويعلم محاسن الأعمال، ويبعث على جميل الأفعال، ويفتق الفطنة، ويشحذ القريحة، ويحدو على ابتناء المناقب، وادخار المكارم، وينهى عن الأخلاق البذيئة، ويزجر عن مواقعة الريب، ويحض على معالي الرتب..»[٢٦].

وهكذا لا يهمل الناقد الإسلامي، وهو يقارب النصوص الأدبية ويدرسها ويحللها عنصريها الأساسيين: اللفظ والمعنى، أوالشكل والمضمون، أو الأداة والرؤية، فالأدب عنده نشاط جمالي فكري جاد. الفنية والجمالية تجعلانه أدباً، أي تكسبانه صفة (الأدبية)، أو (الشعرية)، ولكن نفاسة الفكر الذي يقدمه الشكل هي التي تجعل الأدب ذا قيمة، وهي التي تجعله في موطن العظمة والديمومة والخلود، وما نماذج الأدب الرفيع التي خلدت على مر الدهور إلا برهان ساطع لا يقبل الشك على عناق الشكل والمضمون، والجمال والفكر ■

الهوامش:

(١) الشعر كيف نفهمه ونتذوقه، إليزابيث درو، ترجمة محمد إبراهيم الشوش، ص١٠.
(٢) السابق: ص٢٣.
(٣) الحيوان، ١٣١/٣.
(٤) الشعر والتأمل ١٩.
(٥) التهاميّ، يريد رسول الله ﷺ، والمعنى: إن أبهر آيات النبي ﷺ أنه أبوكم، وكونه أباكم هو إحدى مناقبكم يا معشر الفاطميين، وهو غير لائق في حق رسول الله ﷺ.
(٦) الوساطة للجرجاني، ٦٣-٦٤.
(٧) الأغاني، ٢٣٢/٧.
(٨) السابق، ٢٣٦/٢.
(٩) فحولة الشعراء للأصمعي، ١٢.
(١٠) طبقات الشعراء لابن المعتز، ٢٠٢.
(١١) السابق، وخزانة الأدب للبغدادي، ٢٣٨/١.
(١٢) ديوان أبي نواس، ١٤.
(١٣) جمهرة أشعار العرب، لأبي زيد القرشي، ٢٠١/١.
(١٤) الأغاني، ٥/٨.
(١٥) انظر كتابنا «النقد العربي القديم: نصوص في الاتجاه الإسلامي والخلقي» ففيه مئات النصوص التي تمثل هذا الاتجاه.
(١٦) الذخيرة، لابن بسام: القسم الأول، المجلد الأول: ٣١٠-٣١١.
(١٧) الشعر كيف نفهمه ونتذوقه، ١٠.
(١٨) الشعر والتأمل، ٢٥.
(١٩) الشعر كيف نفهمه ونتذوقه، ١٢٥.
(٢٠) السابق نفسه.
(٢١) السابق، ٣١٩.
(٢٢) مدخل إلى مناهج النقد الأدبي، سلسلة عالم المعرفة، العدد ٢٢١، ص١٣.
(٢٣) ديوان المعاني لأبي هلال العسكري، ٢٥١/٢.
(٢٤) المنصف في نقد الشعر، لابن وكيع التنِّيسي، ٢٠٣.
(٢٥) العمدة لابن رشيق، ٢٨/١.
(٢٦) نضرة الإغريض في نصرة القريض، للمظفر العلوي، ٣٥٧.

حدائق الحب

في حدائق الحب، بألوانها الزاهية ، نمد الجسور بين شجرة وأخرى لنزرع بينها وبين جاراتها نبضات هذه الحدائق وخفقاتها، نجعلها تتصافح كما النجوم تتصافح بأقواس الشهاب.

إن بكى الثمر يوما أو سقط فاعلم أن ذلك لسببين وربما أكثر، ربما يشكو من غرابة قاطفه فتراه يسقط .. لا يود الوقوع في قبضته ، أو ربما استوحشه بعد صاحبه بكفيه النديتين فتراه يبكي أو يسقط بعيدا عن قبضة قاطفه.

حسين التلسيني - العراق

جنة الرعب

حميدة قطب - فرنسا

في الردهة الواسعة جلست الزوجة الشابة على أحد المقاعد، بصرها مشدود إلى الباب الزجاجي الواسع.. المقاعد في الردهة مرتبة بأناقة واضحة تحيطها قطع الأثاث الفاخر.. المكان كله كان يزخر - للنظرة الأولى- بقسط وافر من الجمال والغنى الذي يشي بما وراءه من رزق ميسور وذوق.

حين جاءت بالأمس إلى هذا المبنى البديع التكوين الذي ينطق كل شيء فيه بإشراقة الحياة، لتقضي مع زوجها الطبيب الشاب شهرا كاملا أو أكثر، أشرق قلبها بانتعاشة ذات مذاق حلو، وامتلأ بسعادة تشرق فيها الأمنيات بمستقبل ناجح!.. لم لا، وقد اختاره الأستاذ الكبير من بين مجموعة الأطباء الشباب ليكون معه في هذا المستشفى الشهير في هذه الضاحية الجميلة.. بل البارعة الجمال من ضواحي إحدى المدن الكبرى في هذه البلاد العملاقة!.. يتدرب عنده شهرا أو شهرين على إحدى الجراحات الدقيقة، ثم يؤهل فيما بعد لمستقبل طويل حافل بالنجاح في هذا العالم الذي سبق غيره في كل العلوم!

بالأمس، حين وطئت قدماها هذا المبنى في الطابق الثاني، كان الصباح يزخر بالضوء، يضفي الضوء المشرق على الشقة الصغيرة الوثيرة جمالا رقراقا.. طافت بمحتوياتها تتفقدها.. فما أبدع أن يعيش الإنسان في مثل هذا الجمال تغمره النظافة والأناقة في كل شيء!.. حجرة النوم الواسعة التي تجلب راحة نوم رغيد يحلم بسعادة الغد، وهذا المطبخ المنسق البالغ الجمال، يوحي بإشراقة تغمر الروح وهي تعد الطعام انتظارا لعودة الزوج الحبيب من عمله الجديد.. وحين وقعت نظراتها على الباب الزجاجي الواسع المفضي

إلى الحجرة المطلة على الشارع، بهت حسها بالمنظر البديع خارج المبنى..

الأرض في الشارع الواسع تتلألأ تحت أشعة الشمس المشرقة.. تقطعها السيارات الفارهة تخطف العين ألوانها البهيجة تلمع في الضوء الباهر.. يلي عرض الشارع على الضفة المقابلة صفان من النخيل السامق الرائع الجمال، تهتز رؤوسه وتتمايل جذوعه في دلال آسر على نسيم المحيط الهادي الممتد أمام العين إلى ما لا يدرك البصر.. حينها أدركت صدق ما قيل لها هناك قبل أن تجيء من أنها ذاهبة إلى جنة الدنيا، وعرفت سر نظرات الحسد في عيون صديقاتها!

بعد ساعات قليلة من ذلك الصباح نزلت إلى الشارع الذي هز نفسها جماله من أول نظرة، وهي في طريقها مع زوجها لتناول طعام الغداء في أحد المطاعم القريبة.. كان خطوها يطفر نشاطا ومرحا، وكان الجمال الباهر المحيط يشد بصرها ويغمر قلبها بنشوة حلوة.. عن يمينها تمتد مياه المحيط الزرقاء الهادرة بالموج بلا حدود، تحفها صفوف النخيل الباسق الذي لم تر له في رشاقته الفاتنة مثيلا من قبل.. بين صفيه المتناسقين يترامى الطريق ممتدا للغادين والرائحين، يستمتعون بروعة الجمال الواغل في حضن الطبيعة، وتمتلئ صدورهم بنسيم البحر المنعش في شتاء يغمره الدفء ولا تغيب فيه الشمس ! .. وعن يسارها تمتد صفوف من واجهات المباني البديعة البناء، تتقدمها حدائق قد أبدع الله خلقها، ثم أبدعت يد الفن تنسيقها، تتيه برونقها الذي يخلب اللب وتضحك أزهارها ويفوح شذاها على امتداد الطريق ! .. قالت وهي تلهج بالانبهار: يا لجمال الكون، ويا لجمال الأرض حين يهبها الله هذه الطبيعة المبدعة وتتوجها حضارة قادرة كهذه !.. وفي غمرة الانبهار الذي يشد قلبها من كل اتجاه، نسيت الحدث المروع الذي داهمها في الصباح الباكر وهما في محطة الحافلات في طريقها إلى هذا الجمال الباهر، وانطوى سريعا وتوارى وراء مشاعرها التي تفعمها آيات مبدعة من الجمال الآسر على الجانبين طوال مسيرة الحافلة.

الليلة.. الليلة هي وحدها في الردهة الجميلة ذاتها.. تجلس على أحد مقاعدها الوثيرة، يتعلق بصرها بالباب الزجاجي الواسع المطل على الشرفة الممتدة على واجهة المبنى.. العينان مشدودتان إلى الخارج تحدقان إلى بعيد.. تحدقان في الظلام الذي بدأ يكسو الساحة، وأعصاب الرأس مرهفة تتسمع إلى كل همسة حول المبنى، تنتظر وقع أقدام الزوج الذي تركها في الصباح ليعود إليها قبل انقضاء النهار.. النهار الذي غابت شمسه منذ مدة ولم يجئ !..

حين زحف الغروب بغبشه الذي تتداخل فيه تفاصيل الأشياء وينمحي سمتها قامت إلى كل أنحاء الدار الصغيرة توقد كل الأنوار في جنباتها، تحاول أن تأتنس بالنور، كذلك تغلق المنافذ المطلة على الخارج الذي تطارده الظلمة، ثم تنسحب مسرعة كالهارب الذي تطارده أشباح مجهولة السمت، وحين وصلت إلى الردهة أحكمت بابها المؤدي إلى سلم المبنى، هذا الذي كان مغلقا طوال اليوم !

يدفعها خوف يتدفق من داخلها ويملأ ذرات الجو من حولها، تزيده تعليمات المشرفين على الدار: لا تتركوا أشياء ثمينة في الدار عند خروجكم!.. أحكموا إغلاق الأبواب قبل مغادرتكم.. وعلى ذلك المقعد المواجه لباب الشرفة الزجاجي جلست!.. دون قصد وجدت يديها تقبضان في عصبية غريبة على مقبضي المقعد، وفي جسدها يتمشى تيار بارد، يزداد كلما أوغل الظلام خارج الباب الزجاجي!.. السماء تكتسي رويدا رويدا بالسواد الذي يزحف في إصرار ويبتلع صفاء لونها الأزرق الرائق، والبحر بامتداده الرهيب يغدو كبحيرة هائلة من ظلمة داكنة لا حدود لها، تتكاثف كل قليل وتطبق في وحشة مخيفة على المدينة الصغيرة

الصامتة!.. حتى النخلات التي كانت في الصباح تبدو كغادة هيفاء معتزة بسموقها، غدت أشباحا باهتة مصلوبة على حافة نهاية العالم الحي !

تحدق.. تحدق في الظلمة التي لا تملك أعواد الضوء الخافتة أن تشق لها طريقا في دكنتها السابغة، ومن داخلها تتدفق ظلمة رعب تغمر القلب والجسد كلما تحركت دقائق الساعة إلى الإمام ولم يعد الحبيب الغائب!.. يتصلب الجسد في مكانه يكاد يتجمد.. ماذا يكون الحال لو ظلت هكذا حتى الصباح!!.. ويوغل الهاجس الرعيب في العروق، يسري مع قطرات الدم.. ترى لماذا جاء بهما القدر إلى هذه الغربة القاتلة؟! لمن تلجأ وإلى أين تذهب إذا حدث شيء ما؟.. وتتحجر القبضتان على مقبضي المقعد ويتسمر الجسد.. ياالله!.. من يستطيع أن يرد عنها بشاعة هذا الهاجس الشيطاني.. وها هو ذا الزمن يتحرك باستمرار والغائب لا يعود!

اقتحم الليل دنياها كما اقتحم أرجاء ذلك الجمال الذي كان مزهرا في الصباح!.. ومن رصيد الأمس انطلقت صور ذلك الحدث المزعج الذي داهمها في محطة الحافلات..الرجل المخمور وبيده المطواة، يخرجها من جيب سرواله.. يهددهما أن يخرجا ما معهما من نقود أو يطعنهما!! المكان مكتظ بالناس، ولكن أين هم؟ !..توجهت نظراتها المرتاعة إليهم.. لكن نظراتهم خرساء!..جموع تنتظر حافلات كثيرة تكتظ بها الساحة المقابلة.. لا يحركون ساكنا.. الجميع يشلهم الرعب.. واللامبالاة!

لحظات ذهول ورعب ثم.. ثم لطف الله بهما.. جاءت الحافلة! وبسرعة فائقة اندسا وسط الجمع المتحرك كالموج واختفيا داخله وطواهما بطن الحافلة كما طوى الآخرين، وانقطع حبل المشهد الرهيب والمساومات الدائرة!

حين دار المفتاح في ثقب الباب انتفضت انتفاضة مرتاعة وشهقت دون وعي.. صرخ في داخلها صوت لم يقو على الانطلاق.. من؟ !.. هو.. أم أحد جاء يخبرها بالخبر المروع .. أم مهاجم عرف أنها وحدها فجاء!!.. ثم.. ثم أفاقت على المفاجأة التي كادت تيأس من أن يرحمها بها الله حين رأت الغائب المرجو شاخصا أمامها!

كان عليها أن تفيق.. أن تسترد قواها التي كادت تذهب بها ساعات الرعب.. أن تستعيد وعيها كله وتتماسك.. أن تلملم كيانها الذي مزقه الخوف ثم تلملم أشياءهما الثمينة ليغادروا المبنى معا إلى المطعم القريب..

طاف زوجها بالمنافذ يحكم إغلاقها من جديد، ثم أحكم إغلاق الباب وانطلقا إلى الطريق.. يا الله ! يا لفداحة الظلام والصمت، هتفت بها دون أن تشعر واجتاحت جسدها قشعريرة ورعشة في الداخل تسري لا تملك وقفها.. وقع أقدامها على رصيف الشارع يرتد إلى آذانها في الصمت المطبق فيزيد من قشعريرة الخوف.. واجهات المنازل المطفأة الأنوار بعيدة بعيدة، تفصلها عنهما مساحات الحدائق التي لفتها الظلمة الكاسية وأغرقتها مساحات الصمت! .. على الضفة الأخرى ينداح الظلام الكثيف في كتلة المياه الممتدة الداكنة السواد تقطع بينهما وبين العالم الحي!.. والنخيل العملاق يلتف برداء الظلمة، يبدو كأشباح العفاريت!.. والصمت الذي يلف هذا الوجود كله ينخر فيه هدير الموج الرتيب، يوغل في الصمت صمتا، ويضفي على الوجود رعبا غامضا ينداح صداه في أغوار القلب!

الشارع خال من المارة تماما إلا هما.. تقطعه السيارات في سرعة رهيبة كأنها هاربة من مطاردة مرعبة!.. اختفاء كل وجود حي في هذا الفراغ الواسع يبعث في القلب الإحساس بخطورة السير على الأقدام في هذا الصمت والليل البهيم.. الغربة.. الجهل بحقيقة ما يجري في هذا العالم يملأ كيانهما برعب صامت

يحاولان أن يطرداه، ولكن ينسرب في قشعريرة ما تفتأ تجتاح جسديهما!

فجأة.. طرق آذانهما صوت رتيب يأتي من بعيد كالهمس.. يقترب.. ينبئ بوقع أقدام تصطك بالأرض الملساء.. يا للكارثة!.. كيف.. ومن ؟.. والناس في هذه البلاد لا يتحركون إلا في سيارات مغلقة!.. كيف يكون الحال وبينهما وبين مكان المطعم مسيرة طويلة ما تزال، وليس لديهما سيارة تنهب الأرض مسرعة تذهب بهما إلى هناك!.. فما لهذه الرحلة تكشر لهما عن أنيابها، كلما أذهب الله عنهما فزعا جاء فزع جديد!

الأقدام تقترب.. يا للهول !.. أين يتوجهان وما من مخبأ والطريق خلو من منقذ، أين وليس هناك مهرب!.. وفي الخيال تلح صورة المشهد الرهيب المتوقع: ها هي الأقدام تصل إليهما.. ها هو الرجل الرهيب يخرج السلاح المخبوء.. ها هو يفتش الزوج أولا، يخرج من جيوبه كل ما فيها وليس فيها إلا القليل.. ها هو يتجه إليها.. يحدق فيها بوجهه الفظ.. وقفزت إلى عينيها ملامح ذلك الوجه المخمور الذي داهمهما صباح الأمس، حين وقعت عيناه على السوار الثمين في معصمها! .. لن تملك إلا الاستجابة لما يأمر، تخرج كل ما خبأته في طيات ملابسها.. هو كل ما يملكون في رحلتهم من مال وحلي..تبا لها !.. لماذا حملت هذا القدر من الحلي معها إلى هذه البلاد.. لقد ظنت أنها سوف تستمتع في جنة الأرض بكل ما تملك من متاع !.. ولكن ماذا يكون مصيرها بعد ذلك؟!.. هل سوف يدعهما أحياء ويطلق سراحهما؟.. هل سوف يرديهما قتيلين كما قرأت مرة عن فظاعة الجريمة في هذه البلاد؟ !.. هل سوف يقتل صاحبها ويعبث بها كيف يشاء؟.. تميد الأرض بها.. تحس أن رجليها تخوران وتغيب في عينيها الأشياء!.. لا.. سوف تقاوم بكل ما أوتيت من قوة.. سوف تتشبث بزوجها حتى يموتا معا!.. سوف تتلقى الطعنات وتتلقى الرصاصات تصيبها قبل أن تصيبه!.. سوف وسوف.. لا بد أن تواجه!

الهول المحدق يطن وقعه من الآذان المتوترة، تتسمع حتى تسمع نبض القلب!.. لقد غدا كياناهما آذانا مشدودة ترهف السمع.. الخطو يقترب ويتضح وقعه.. أين المفر.. لا محالة من المواجهة ولا ملجأ من الله إلا إليه وقد حانت الساعة الفاصلة.. لو تأتي صديقاتها اللاتي حسدنها!.. لو رأين ما هم فيه هنا من الهول.. لو تمتعن مثلهما بجنة الأرض.. كلا.. فلتصمت.. فما قيمة هذا وقد حل القضاء!

حين أصبح الشبح على بعد خطوات، أشار إليها زوجها أن تبقى في مكانها، ثم رجع خطوات إلى الوراء ليلقاه!

يا لهول اللحظات التي تجل عن كل وصف.. الدم يصعد متدفقا إلى الرأس.. يكاد الرأس ينفجر.. يكاد النبض يتوقف في العروق.. الأفكار تتلاطم بغير نظام.. بغير وعي.. خطوها المضطرب يتحرك في اتجاه الرجلين ثم يعود.. هل تتركه وحده في الخطر الداهم؟! هل تنضم إليه حتى يصيبها ما يصيبه؟! ثم.. ثم يتوقف كل شيء في كيانها في انتظار قدر الله.. الفكر والزمن والحياة والدم في العروق!

الموقف يطول.. عيناها مشدودتان تحملقان في غبش الظلمة.. تتسمع بكل قواها المشحونة بالخطر إلى نتف الحديث الدائر بين الرجلين يحملها الهواء تارة إليها وتارة إلى بعيد فتتشتت وتضيع!.. فهل تراها المساومات قبل التنفيذ؟ فلقد ساومها الرجل المخمور والمطواة مشرعة في يده.. ليت زوجها يسلم له بكل شيء.. بكل ما لديهما هنا..بكل ما تخبئه بين طيات ثيابها.. ثم يغادران في الغد هذه الجنة المرعبة سالمين!.. يعودان إلى موطنهما الذي طالما ثارت نفوسهما على سكوته على الظلم، وصبره على الغبن، ورضاه بالهوان! .. يفرغان جهدهما في إصلاح فساده، فهو ما يزال يزخر بالخير، فهل يأذن الله لهما بالعودة؟

حين رأت زوجها يشد على يد الشاب ويتحرك عائدا إليها كاد قلبها يتوقف.. ترى بأي شيء يعود.. ترى علام اتفقا.. واستعدت لإخراج كل ما هو مخبوء في طياتها!

حين عاد حكى لها مسرعا في كلمات قصار ما دار مع ذلك الشاب، قال: إنه يسأل عن جامعة تبعد عن هنا بضعة أميال، يريد أن يصلها مشيا على الأقدام ويصل قبل الثامنة صباحا!.. ذلك أنه لا يملك دولارين يستقل بهما الحافلة الذاهبة إلى هناك! ولا بد له أن يذهب لأمر يخص مستقبله!

صرخت قائلة: يا لبؤس جنة الأرض!.. أوسط هذا الثراء المغدق في كل شبر لا يجد إنسان دولارين؟.. لماذا لم تعطه؟

- نعم، هذا مؤسف، لقد نسيت من هول المفاجأة! ثم انقلب راجعا يعدو إلى الشاب الذي أغذ السير في الاتجاه الآخر!

حين اقترب منه توقف الشاب منتظرا متعجبا.. أخرج الزوج من جيبه ورقة مالية قدمها إليه قائلا:

- أرجوك أن تسمح لي بتقديم هذه إليك، ثم تذهب إلى محطة الحافلات وهي قريبة هنا فتركب إلى هناك، فالطريق طويل؟؟ وأيضا مليء بالخطر في ظلمة هذا الليل!

ذهل الشاب لحظات وتردد أن يمد يده إليه وقال:

- وكيف إذن أردها إليك وقد لا أراك مرة ثانية؟

- ليس في خاطري أن تردها، وهي ليست ذات قيمة كبيرة .. لا بالنسبة إليك، ولا بالنسبة إليّ، أرجو أن تعتبرها هدية جد متواضعة من إخوة لقيتهم على الطريق.

- ولكن هذا أكثر مما أحتاج إليه.

- من أجل العودة، وحتى تدبر أمورك.

- اسمح لي أن أسالك.. أنت لست أمريكيا.. أليس كذلك؟

- نعم

- من أي البلاد أنت إذن؟

- من المشرق

- نعم.. هذا الصنيع لا يتأتى من الأمريكي.. الأمريكي لا يهتم إلا بذاته.. وهو يعبد الدولار!

.....

- هل تسمح لي بسؤال آخر؟

- دون شك.

- هل هذا الزي الذي ترتديه السيدة التي معك هو زي وطني هناك؟

- كلا..ولكن زي إسلامي.

- مسلمان أنتما إذن!

- نعم.

- صادفت هنا بعض المسلمين، ولكن لم أتعامل معهم، ومع ذلك فقد أحببت السماحة البادية في وجوههم.. هذا الذي لا أجده في أبناء وطني.. أتمنى أن أجد «الإنسان» هنا!

- لسوف تجده في يوم ما..

لكن صدقني، هذه الأرض لا تنتجه!.. لا بد أن يأتيها مدد من بعيد.. شتلات أو بذور أو أسمدة.. من هناك.. من عندكم ! ■

تحية إستانبول

عبدالله خليل شبيب - الأردن

شوقي إلى قلعة الإسلام موّارُ ... فيها لعزة هذا الدين تذكارُ
كانت على صَهوة الدنيا وقمتها ... وفي مآذنها للمَجد أنوارُ
يا آستانةُ يا استانبولُ ما فتئتْ ... فيها عبيرٌ من الإسلام معطارُ
حين اعتنقت هُدَى الإسلام راشدةً ... ومن بَنيك أقامَ الحقَ أحرارُ
وسُدْت سدَّةَ هذا الكون وانطلقتْ ... منك الفتوحُ،وجيش الحق جرّارُ
أماجدٌ من بني عثمانَ قد حَمَلُوا ... عبْءَ الأمانة ما ضلُّوا ولا خاروا
حقيقة في جبين الدهر ناصعةٌ ... الترك والعُرْبُ إخوانٌ وأنصارُ
هما الشقيقانِ والإسلامُ ضمَّهُما ... فلا يُفَرّقُهُمْ بَغْيٌ وإنكارُ

■ ■ ■

عودي إلى مجْدك الماضي ولا تهني ... (فالعَوْدُ أحمدُ) والرحمنُ غفارُ
عودي إلى الله يا أرضًا به شمَخَتْ ... تعُدْ إليك (ولاياتٌ) وأقطارُ
ولتُمسكي بزمام الأمر في زمن ... تحتاجُ فيه لشرع الحق أمصارُ
لا يُنقذُ الكونَ إلا شرعةٌ نزلَتْ ... بالوحي ، والوحيُ نَهّاءٌ وأمّارُ
لا تستجيري بأوربّا - إذا سمَحَتْ- ! ... تُلقي إليك فُتاتا فيه أوزارُ
بل علميها بأن الحقَ شرْعَتُنا ... ما ضلَّ قومٌ أطاعُوها وما حارُوا
أنتِ الإمامُ لأوْربّا وقُدْوتُها ... وفيكِ صوتُ الهدى والحقِّ هدّارُ

■ ■ ■

دارَ الخلافة والأمجاد ما بَرِحَت ... فتيَّةٌ ، دأْبُها عَزْمٌ وإصرارُ
لو اعتَصَمْتَ بحبل الله ما طَمِعَتْ ... في حُرمَة القدس والإسلام كُفّارُ
وما تمزَّقتَ الأمصارُ وانكفأتْ ... أشلاءَ يطمعُ فيها الخصْمُ والجارُ
دارَ الخلافة والأمجاد ما فتئتْ ... ترنو إلى أمسك الميمون أبصارُ
مَدَّتْ لك القدسُ أيديها مُناشدَةً ... دارَ الخلافة: أينَ العهدُ يا دارُ؟!!

● أُعِدَّتْ هذه القصيدة للإلقاء في المؤتمر العام لرابطة الأدب الإسلامي الذي عُقِد في إستانبول صيف ٢٠٠٨ م – ولظرف ما لم يتسن ذلك .

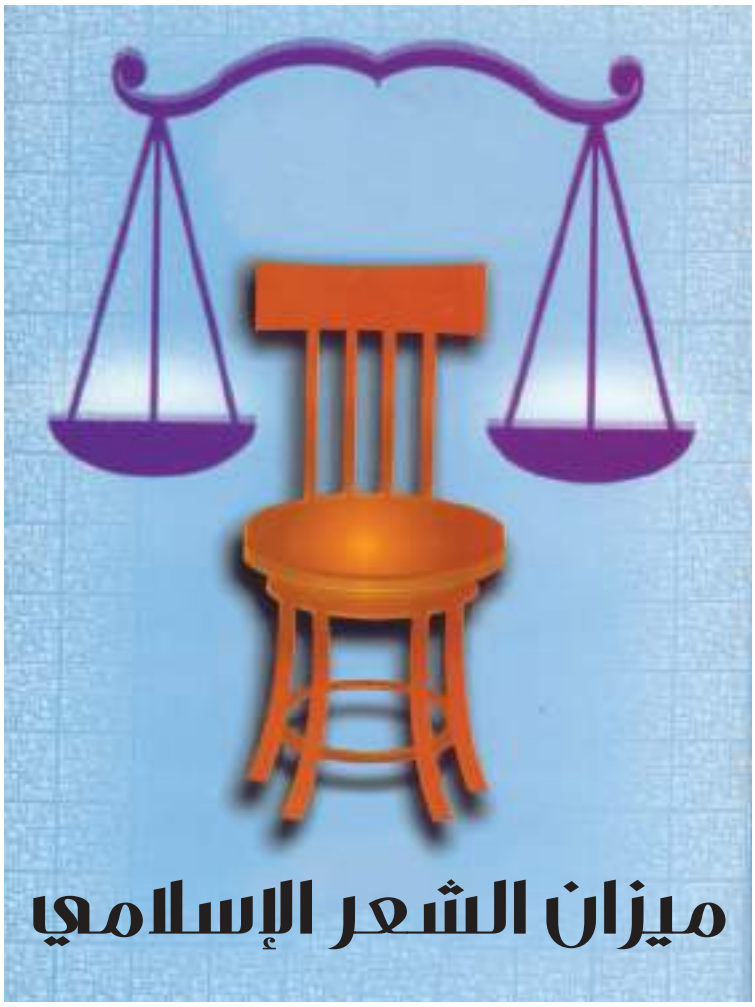

عندما يلقي الشاعر شعره، أو يكتب قصيده فإنه لا يلقيه في فراغ، وإنما في مجتمع يرمقه ويستمع إليه، فإذا كان الشاعر المسلم صادقا في عاطفته، عميقا في معانيه، محكما لمبانيه فإن المجتمع المسلم – ممن يتذوق الشعر – ينصت إليه، ويطرب له، ويهتز إعجابا بين يديه، ذلك أن معنى الصدق في الأدب – كما بينه د. محمد النويهي – هو: «أن يصدق الأديب في التعبير عن عاطفته التي أحس بها فعلا، وإعلان عقيدته التي يعتقدها»[1].

د . ناصر الخنين

وإذا علم علم اليقين أن هذا الكون بجميع ما فيه ومن فيه مسلم لله تعالى، يسجد له ويسبحه تسبيح تعظيم وتنزيه، كما قال تعالى: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِن لاَّ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴿٤٤﴾ (الإسراء)، فهذه هي سجية هذا الكون، وتلك هي فطرته، فإذا صور الشاعر هذا المعنى وكشف عنه، من خلال إيقاعاته الشعرية الأخاذة، ولمساته الفنية المؤثرة – فإن هذا التصوير الصادق البديع يترك أثرا بالغا في النفوس المسلمة التي تؤمن بذلك وتعتقده، بل يمتد هذا الأثر إلى طوائف أخرى من البشر، ممن سلمت فطرهم، واستقام نظام تفكيرهم، وما ذاك إلا لأنه قد تضافر في ذلكم التصوير انطباق الجمال الفني على الصدق الواقعي.

وهذه السريرة هي ذروة سنام التأثير الفني الذي يحمله النص الأدبي ويوقعه في ذهن المتلقي، مما يجعله في النفس مقبولا، وفي منطق العقل معقولا، فيطمئن له القلب، وينشرح له الصدر، لكون منطلقه إيمانيا، وتصويره للأحياء واقعياً، فهذا جانب إبداعي لا يصل إليه ولا يتمكن منه إلا الأديب المسلم، شاعرا كان أو ناثرا.

والجانب الإبداعي الآخر هو ما يتعلق برسالة الأديب المسلم على وجه العموم، والشاعر على وجه الخصوص، ذلك لأن رسالته ربانية إنسانية، وليست حيوانية أو شهوانية، يقول الدكتور: محمد النويهي:«رسالة الفن العظمى هي نقل التجارب الإنسانية في تمام عمقها وسعتها وقوتها، وهو بهذا ذو تأثير جسيم في مجتمعنا الإنساني الذي هو جماع هذه التجارب وميدان تفاعلها، فإذا مثل الفن هذه التجارب تمثيلا مشوها أو شاذا فإنه يضرنا أبلغ ضرر، لأنه يعوقنا عن الفهم الصحيح والتقدير الصائب لتجاربنا الحيوية، وهذا أعظم رزء يمكن أن نمنى به»[٢].

ويقول (جويو) أحد النقاد الغربيين المعاصرين عن سمة الفن الرفيع:«إن الروح الأخلاقية عند الفنان كعبقريته يجب أن ينبعا معا وفي وقت واحد من أعماق طبيعته، وإن الفن غير الأخلاقي هو على كل حال أحط مرتبة من الفن الأخلاقي، وذلك من الوجهة الفنية الخالصة. فالفن العالي ليس ذلك الذي يثير في النفس أحر المشاعر وأعنفها فحسب، وإنما هو ذلك الذي يثير منها أكرم المشاعر وأنبلها»[٣].

أما توفيق الحكيم فيرى أن الميزان الدقيق لرفعة الأدب ولضعته متوقف على نوع التأثير الذي يتركه الفن الأدبي، ثم يفصل ذلك قائلا: «إن نوع التأثير هو الذي يحدد الفن، فإذا طالعت أثرا فنيا – قصيدة أو قصة أو صورة – وشعرت بعدئذ أنها حركت مشاعرك العليا، أو تفكيرك السامي فأنت أمام فن رفيع، وإذا لم تحرك إلا المبتذل من مشاعرك والتافه من تفكيرك فأنت أمام فن رخيص»[٤].

فرسالة الشاعر لا تكون إنسانية مؤثرة إلا إذا تضمن فنه الشعري قيما سامية، ومثلا رفيعة فإذا اشتمل الفن الشعري على ذلك وتوشح به بدأ هذا الفن يلمع بإشعاعه العالمي المؤثر، وارتقى في سلم الإنسانية درجات، ومن ثم فقد أخذ طريقه نحو الإبداع المتألق.

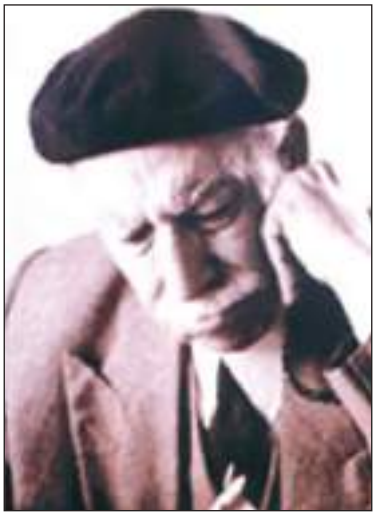

توفيق الحكيم

■ إذا أمعنا النظر في طبيعة الشعر الإسلامي، ثم أمعنا الفكر في مضامينه وجدناها حافلة بقيم إنسانية رفيعة، تتعلق بجنس الإنسان ذاته.

وإذا أمعنا النظر في طبيعة الشعر الإسلامي، ثم أمعنا الفكر في مضامينه وجدناها حافلة بقيم إنسانية رفيعة، تتعلق بجنس الإنسان ذاته، لا بجهته أو موطنه أو جنسيته، لأن مصدر تلك القيم دين رباني المصدر، آفاقي الأبعاد، إنساني الخطاب، ممتد في الزمان إلى أن يأذن الله بزوال الدنيا ومن عليها، ذلكم هو الإسلام الذي ارتضاه الله للناس دينا كما في قوله: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلاَمُ ...﴿١٩﴾﴾ (آل عمران) فنسخ سائر الفكر والأديان بصريح قوله سبحانه: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾ (آل عمران).

وبناء على ما تقدم فإن الشاعر المسلم يمتلك عناصر الإبداع والتأثير أكثر من غيره من شعراء الأرض، فدينه أصح الأديان وأرضاها عند الله تعالى، وقيمه أعلى القيم وأوفاها، وجمهوره يفوق ثلث المعمورة

عـددا، كلهم أو جلهم يتلقطون أشـعـاره، ويتابعون أخباره، فيشيدون به ويدعون له: وعلى هذا فلا يصح أن يبز الشاعرَ المسلمَ شاعرٌ فاسقٌ في إبداع الصورة الشعرية وإتقانها وتعميق معانيها وحبك مبانيها، وذلك لأن الإسلام يعلو على غيره ويعلي معه صاحبه إلى أفق أرحب وأوسع، فينبغي أن يكون شعر المسلم بديعا فائقا سائر الأشعار في جمال الصورة وعمق التأثير، وفي هذا من إظهار الدين وإعلاء شأنه ما فيه.

هذا من جانب، ومن جانب آخر، فإن الشاعر المسلم أعمق فقها لغاية وجـوده، وأبعـد إدراكـا لـهـدف الحـيـاة، كما أنـه أعـرف مـن سـواه بسنن الكون ومكوناته، فالصورة عنده بيضاء نقية، ليلها كنهارها، لا يعلوها غبار الكفر، ولا يشوبها كدر الإلحاد، فحسه أرهف، وعينه أبصر، وأذنه أسمع، فدواعي الإبـداع متوافرة لديه، وأسباب الابتكار ظاهرة بين عينيه، فتوجب عليه أن يتألق مشعا في جزئية من جزئيات عمله الشعري.

وبـعـد هـذا الـتـنـظـيـر الـعـابـر لطبيعة الشعر الإسلامي، ولأبعاد موازينه الموضوعية التي يمكن أن يوزن بها، ويحتكم إليها، ويصدر عنها، والتي بها يقاس تأثيره الإيجابي، ويدرك موقعه الإنساني، ووقعه الإسلامي في النفس البشرية بعامة وفي نفوس المسلمين بخاصة – نـورد نمـاذج متنوعة لأشعار إسلامية طرقت آفاقا ثرية، وعالجت قيما إسلامية إنسانية رفيعة، لندرك بعضا من أبعاد موضوعاتها، ونلمح آفـاق مجالاتها في الـتـراث الإسلامي الذي حفل بها على امتداد تاريخه الطويل منذ البعثة النبوية إلى عصرنا الحديث.

الشعر الإسلامي والجهاد:

وأول ما نقف عليه ويشد اهتمامنا إليه هو توظيف الشعر في ساحات الجهاد، ومنازلة الأعداء بمعانيه، ومصاولتهم بقوة مبانيه، وهو معنى إسلامي جهادي

فقهه الشعراء المسلمون، وعلى رأسهم سيدهم حسان ابن ثابت – رضي الله عنه – شاعر الرسول – صلى الله عليه وسلم –، الذي استجاب لأمر الرسول صلى الله عليه وسلم فيما صح عنه من قوله:(اهجوا قريشا)، وعلل لهذا الأمر بعلة معنوية ذات دلالة جهادية تفوق في تأثيرها سلاح ذلك العصر (النبال)، فقد قال معللا هجو قريش بالشعر:«فإنه أشد عليها من رشق النبل»[٥].

وقد انبرى حسان رضي الله عنه لهذه المهمة الجهادية،وانفعل مقوله بها، متوعدا قريشا، ومبشرا بفتح مكة سلما أو جلادا، قائلا:

عدمنا خيلنا إن لم تروها
تثير النقع موعدها كداء
يبارين الأسنة مصعدات
على أكتافها الأسل الظماء
تظل جيادنا متمطرات
تلطمهن بالخمر النساء
فإما تعرضوا عنا اعتمرنا
وكان الفتح وانكشف الغطاء
وإلا فاصبروا لجلاد يوم
يعز الله فيه من يشاء

ثم يلتفت في عزة وأنفة إلى أبي سفيان بن الحارث – آنذاك – ساخرا من فعله، مفتخرا بهجوه، فيقول:

هجوت محمدا، فأجبت عنه
وعند الله في ذاك الجزاء
أتهجوه ولست له بكفء؟
فشركما لخيركما الفداء
هجوت مباركا برا حنيفا
أمين الله شيمته الوفاء
فمن يهجو رسول الله منكم
ويمدحه وينصره سواء
فإن أبي ووالده وعرضي
لعرض محمد منكم وقاء [٦]

الشعر الإسلامي والقيم الخلقية:

وإذا انتقلنا إلى ميدان الأخلاق العالية والقيم الإنسانية البانية نجد أن للشعر سهما ضاربا في هذا المقام، تغوص أعماقه في نفوس الفطر الإنسانية بله النفوس المسلمة، تأمل أبيات معن بن أوس المزني (٦٤هـ) وهو يفتخر ببعده عن مواطن الريب واجتنابه الفواحش والمنكرات، وتلبسه بمعالي المكرمات، إذ يقول:

لعمرك ما أهويت كفي لريبة
ولا حملتني نحو فاحشة رجلي
ولا قادني سمعي ولا بصري لها
ولا دلني رأيي عليها ولا عقلي
وأعلم أني لم تصبني مصيبة
من الدهر إلا قد أصابت فتى قبلي
ولست بماش – ما حييت – بمنكر
من الأمر ما يمشي إلى مثله مثلي
ولا مؤثرا نفسي على ذي قرابتي
وأوثر ضيفي – ما أقام – على أهلي [٧]

وهذه المعاني الإسلامية العالية، هي من لباس المتقين، وهذا يذكرنا بقول الحسن البصري – رحمه الله –:" ما ضربت ببصري، ولا نطقت بلساني، ولا بطشت بيدي، ولا نهضت على قدمي، حتى أنظر، أعلى طاعة أو على معصية؟، فإن كانت طاعة تقدمت، وإن كانت معصية تأخرت" [٨].

وإذاعة مثل هذه الأخلاق وتمجيد التخلق بها يعين على فعلها والتزام هديها، والشعراء الإسلاميون بمثل هذا يسهمون في حفز النفوس نحوها، وبعثها إليها، كما أنه يطرب كل مسلم ويعجبه مثل هذا السمت الإنساني الراقي، وذلك التصوير الفني العالي.

ومن معايير استحسان الشعر الإسلامي ومن مواضع التأثر به والإقبال عليه ما يعبر عنه الشاعر من اعتزازه بالفضائل، وترفعه عن الدنايا والسفاسف، وبخاصة إذا كان من علية القوم فضلا وأدبا وعلما، وهذا ما أبرزه القاضي الناقد علي بن عبد العزيز الجرجاني (٣٩٢هـ) في ميميته المشهورة، التي قال فيها:

يقولون لي: فيك انقباض وإنما
رأوا رجلا عن موقف الذل أحجما
أرى الناس من داناهم هان عندهم
ومن أكرمته عزة النفس أكرما
ولم أقض حق العلم إن كان كلما
بدا طمع صيرته لي سلما
إذا قيل هذا منهل قلت: قد أرى
ولكن نفس الحر تحتمل الظما
أنزهها عن بعض ما لا يشينها
مخافة أقوال العدا فيم؟ أو لما[٩]

الشعر الإسلامي والحكمة:

والشعر ينطق بالحكمة، والحكمة فيه مرغوبة مطلوبة، وقد أثنى النبي صلى الله عليه وسلم على الشعر الناطق بها، ينتفع به العاقل، وينتصح به الجاهل، وغالبا ما تكون الحكم عامرة بالمواعظ حافلة بالعبر والأمثال، فتكون حقلا تربويا خصبا يزكي النفوس، ويحدوها نحو الفضائل حدوا، فهذا صلاح الدين الصفدي (٧٦٤هـ) في لاميته الرائعة يقول:

الجد في الجد والحرمان في الكسل
فانصب تصب عن قريب غاية الأمل
واصبر على كل ما يأتي الزمان به
صبر الحسام بكف الدارع البطل
وجانب الحرص والأطماع تحظ بما
ترجو من العز والتأييد في عجل
ولا تكونن على ما فات ذا حزن
ولا تظل بما أوتيت ذا جذل
واستشعر الحلم في كل الأمور ولا
تسرع ببادرة يوما إلى رجل[١٠]

الشعر الإسلامي والموعظة:

ويقترب من الحكمة ويتفرع عنها الوعظ والتذكير والمناصحة، بتوجيه الخطاب إلى كل من يتأتى له الخطاب، فيحرك الشاعر المشاعر، ويوقظ القلوب، ويطرق أبواب الغافلين، من مثل ما فعل أبو الواعظين.. أبو العتاهية، فقد قال:

مالي رأيتك راكبا لهواكا
أظننت أن الله ليس يراكا
انظر لنفسك فالمنية حيث ما
وجهت واقفة هناك حذاكا
خذ من حراكك للسكون بخطة
من قبل أن لا تستطيع حراكا
للموت داع مزعج وكأنه
قد قام بين يديك ثم دعاكا
وليوم فقرك عدة ضيعتها
والمرء أفقر ما يكون هناكا[١١]

الشعر الإسلامي والاعتبار:

وقد يكون التأمل في الماضي المشين، فالسيرة الغابرة فرصة للتفكير والمراجعة ولتقريع النفس وتأنيبها على ماضيها المر،وبخاصة إذا كان الشاعر ممن له أثر في المجتمع أو كانت ظروف الحياة متوافرة لديه، كحال المعتضد (٢٨٩هـ) أحد خلفاء بني العباس، الذي تربع على كرسي الخلافة، فصال وجال، فلما حضرته المنية تذكر أفعاله، فجعل يلوم نفسه ويقرعها، وفي ذلك تربية لغيره، ورسالة لمن كان له قلب أو ألقى السمع هو شهيد، استمع إليه إذ يقول:

ولا تأمنن الدهر إني أمنته
فلم يبق لي حالا ولم يرع لي حقا

قتلت صناديد الرجال فلم أدع
عدوا ولم أترك على ظهرها خلقا
وأفنيت دار الملك من كل بارع
فشتتهم غربا وشردتهم شرقا
فلما بلغت النجم عزا ورفعة
وصارت رقاب الخلق أجمع لي رقا
رماني الردى سهما فأخمد جمرتي
فها أنذا في حفرتي ميتا ألقى
ولم يغن عني ما جمعت ولم أجد
لدى قابض الأرواح في فعله رفقا
وأفسدت دنياي وديني سفاهة
فمن ذا الذي مني بمصرعه أشقى
فيا ليت شعري بعد موتي ما أرى
لرحمة ربي أم إلى ناره ألقى[١٢]

الشعر الإسلامي والطبيعة:

وإذا التفتنا إلى الطبيعة الغناء وجدناها حقلا بديعا أغرى ويغري الشعراء ذوي الإحساس المرهف، فيرسمون بأشعارهم لوحات بديعية، ينبهون العقول على مبدعها وباعث نضرتها، في صور مبهجة، ومناظر مهيجة، فقد قال الثعالبي (٤٢٩هـ):

الغيم بين مُمسَّك ومُعَصْفر
والماء بين مُصَنْدل ومُعَنْ
والروض بين مُدَمْلج ومُتوج
والورد بين مُدَرْهم ومُدَنَّر
والأرض قد برزت لنا في أخضر
في أصفر في أبيض في أحمر
لتروقنا ببدائع وطرائف
من حسن منظرها وطيب المخ
سبحان محيي الأرض بعد مماتها
وكذاك يحيي الخلق يوم المحشر

■ الطبيعة الغناء حقل بديع يغري الشعراء ذوي الإحساس المرهف، فيرسمون بأشعارهم لوحات بديعة، ينبهون العقول على مبدعها في صور مبهجة.

الشعر الإسلامي والرثاء:

وللموت هيبة، وله على نفس الشاعر هزة، وخاصة إذا اختطف حبيبا، أو اخترم ولدا قريبا، فإن الألم يعتصر القلب، فتدمع العين، ويضيق الخاطر، ولا يقول الشاعر المؤمن إلا ما يرضي الرب، هذا ومثله وجدناه لدى أبي الحسن التهامي (٤١٦هـ) حين مات ابنه صغيرا، فرثاه بمرثية حزينة، وشحنها بمعان إيمانية وحكم إنسانية، فقد قال:

حكم المنية في البرية جاري
ما هذه الدنيا بدار قرار
بينا يرى الإنسان فيها مخبرا
حتى يرى خبرا من الأخبار
فالعيش نوم والمنية يقظة
والمرء بينهما خيال سار
والنفس إن رضيت بذلك أو أبت
منقادة بأزمة المقدار
ليس الزمان – وإن حرصت – مسالما
خُلُقُ الزمان عداوةُ الأحرار[١٣]

وبعد فإن مجالات الشعر الإسلامي التي لها أبعادها المؤثرة في النفس المسلمة بخاصة، وفي النفس الإنسانية بعامة – كثيرة متعددة، ولم يكن غرض هذا المقال حصرها أو التدقيق في عددها، وإنما حسبه أن يشير إلى بعضها، وأن يدل بها على غيرها، لأن الكون المنظور، وسائر مجالات الحياة هي صفحات فنية، ينبغي على الأدباء المسلمين – والشاعر أحد هؤلاء – أن يحسنوا قراءتها، وأن يقلبوا صفحاتها، وأن يقدموا لأمة الاستجابة ما يهز ويؤثر، ولأمة الدعوة ما يقنع ويبهر، وهم في ذلك محتسبون ومحسنون، ولربهم راغبون ومنقلبون ■

الهوامش:

(١) محاضرات في عنصر الصدق في الأدب، ص٣٨، د. محمد النويهي، جامعة الدول العربية، معهد الدراسات العالمية، ١٩٥٩م.
(٢) طبيعة الفن ومسؤولية الفنان، ص٧٣، د. محمد النويهي، دار المعرفة، القاهرة، ط٢، ١٩٦٤م.
(٣) فن الأدب، ص٧٥، توفيق الحكيم، مكتبة الآداب، مصر.
(٤) المصدر السابق، ص٧٥.
(٥) أخرجه مسلم في صحيحه من حديث عائشة رضي الله عنها، ترقيم محمد فؤاد عبدالباقي، دار إحياء الكتب العربية، ط١، ١٣٧٤هـ/١٩٥٥م.
(٦) ديوان حسان بن ثابت، تحقيق وليد عرفات، دار صادر، بيروت، ١٩٧٤م.
(٧) شعر الدعوة الإسلامية في العصر الأموي ٣٨٥-٣٨٦، جمع وتحقيق عبدالعزيز الزير ومحمد الأطرم، موسوعة أدب الدعوة الإسلامية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م.
(٨) جامع العلوم والحكم لابن رجب الحنبلي ٦٦، دار الفكر، القاهرة، ١٣٨٢هـ/١٩٦٢م.
(٩) شعر الدعوة الإسلامية في العصر العباسي، ٩٩-١٠١، موسوعة أدب الدعوة الإسلامية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض.
(١٠) من عيون الشعر، اللاميات، ١٢٨-١٣٢، جمع د. محمد إبراهيم نصر، مطابع الإشعاع.
(١١) أبو العتاهية.. أشعاره وأخباره، ٢٦٣-٢٦٤، تحقيق د. شكري فيصل، مطبعة جامعة دمشق، ١٣٨٤هـ/١٩٦٥م.
(١٢) شعر الدعوة الإسلامية في العصر العباسي الثاني ٢٠٦-٢٠٧، جمع وتحقيق د. عائض بنية الردادي، موسوعة أدب الدعوة الإسلامية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م.
(١٣) ديوان أبي الحسن التهامي، ٣٠٨-٣١٢.

كلمات..

فوزية العمري
السعودية

لا تعجب إذا راودتك الهواجس وهاجمك القلق ! كلاهما يقول: إنك مستبعد من دائرة الود، لأنك ذات عتو وطأت رقيق مشاعرهم، ونسفت براعم إحساسهم.

في لحظات الألم يتشبع القلم حينا بمساحات خصبة من البوح، وحينا لا تتوارد إليه إلا عبارات مهترئة لا تكاد تصل إلى أدنى درجة من حرارة الأهة التي تكويك.

علي عبدالله الزبيدي- السعودية

فلا تَقهر

حـيرانُ تُغْلَق دونـه الأبـوابُ
ولـهـان ودع عيشه الأحـبـابُ
سـهـرانُ يلهبه الحـنـين فـلا يد
تمحو المصاب وكم يمض مصابُ
فقد الأب الغالي فأقفر روضه
ومحت محاسنَ وجهه الأوصابُ
مازال يخطو في الطفولة ما امتطى
جلد الشباب وقد يطيق شبابُ
طـفـل، وتـقـتـل دونـه رغـبـاتـه
فاليتم دون هوى الصغير حجابُ
بالأمس في كنف الأبـوة هانئ
وعليه من رغـد النعيم إهـابُ
واليـوم يسرع بـالـنـداء مـرددا
أبـتـاه لكن ليس ثم جـوابُ
وتـــراه مـا بـين الـرفـاق مولَّها
لا اللهو يغريه ولا الأصحابُ
يحيا على الذكرى ويحيي حزنَه
مـا يملك القـرنـاء والأتـــرابُ
يـزدان في ظل الأبـوة عيشهم
ويـطـيـب ثـمـة مطعم وشـرابُ
قـد كـان مثلهم يعيش مدللا
تغدو عليه بما اشتهاه رغـابُ
واليـوم كل اليـوم حـزن دائـم
وتـــأوه وتـــذكـــر وعـــذابُ
لا العيد يسعده ولا لعب الصبا
من أين .. أين لمثلِه الألعابُ ؟!
وإذا اكتسى الثوبَ الجديدَ رفاقُه
فعليه من بؤس الحياة ثيابُ
يـا مـن لـه يأسـو جـراح فـؤاده
يـا من دعـاه إلى اليتيم كتابُ
نزلت (فلا تقهر) لتجبر كسره
فـأجـب ليعظم في المعـاد ثـوابُ

القصة العربية في أفريقيا

رؤى نقدية لواقع مرفوض

أحمد محمد عبده – مصر

أفريقيا، القارة السوداء الحظ؛ التي ظلمها العالم الأبيض، أكلها لحما وألقى بها عظاما، ها هو ذا الآن.. ذلك العالم المتباهي ببياض بشرته، وقوة عضلاته وذكاء عقله؛ يلومها على جهلها ويعيرها بفقرها، وما ترزح فيه من جوع وفساد.

إنها أفريقيا..الإيدز والسحر والجان والأشباح والشياطين والخرافات ومصاصي الدماء وأكلة لحوم البشر، والقهر والقمع والفقر والطغيان وبطش الحكام والتبعية والعصبيات والقبلية والأرض الممهدة للتبشير.

هي أفريقيا التي تعيش –وعلى حد تعبير أحد كتابها- على نباح الكلاب، بين دق الطبول وصمت القبور. ولقد كان لهذا الجو القاتم.. الانعكاس الخطر على كل نواحي الحياة، وكل مظاهر الإبداع الأدبي،الذي هو صورة الحياة. فالإبداع مرآة تعكس صورة الحياة الحقيقية، إنه صدق الضمير كما يتمناه الواقع.

وفي لغة رشيقة ومادة غنية وعميقة، وإلمام بالحركة الأدبية في تشاد، وطبيعة الحياة في أفريقيا بصفة عامة، وفي منهج علمي محكم، جاء الكتاب الشائق في أسلوبه وتناوله، الفريد في تخصصه" القصة العربية في تشاد " للدكتور علي عبد الوهاب مطاوع، الذي عمل أستاذا للأدب والنقد في جامعة الملك فيصل في العاصمة " إنجمينا "، يقدم لنا في البداية مدخلا للواقع يكشف عن حداثة عهد فن القصة المكتوبة باللغة العربية، إذ كانت البداية على يد مجموعة من الشباب المتحمس للغة القرآن وثقافة الأمة، استطاعوا أن يعبروا عما يجيش بصدورهم وصدور شعبهم، بلغة دينهم ولغة قوميتهم التي طمسها المستعمر. ولأن الأدب هو شكل البيئة، والموضوعات التي يتناولها الأدب الإفريقي غير الموضوعات التي يتناولها الأدب الفرنسي مثلا، كان الناتج أن تجد أعمال هؤلاء، وقد سيطرت عليها رائحة السحر والشعوذة ، وحاجة الناس إلى الحرية والعدل واحترام آدمية الإنسان، فالكاتب الحقيقي هو ابن بيئته، والإبداع عامة هو استجابة

لحاجة الأمة، واستجابة لما يجيش في ضميرها.

جاءت صحوة كتابة القصة باللغة العربية في تشاد، في آخر سنوات العقد الأخير من القرن العشرين، فانطلقت أعمالهم من الواقع التشادي الذي يمكن أن نقول: إنه واقع يتصل بواقع أفريقيا كلها، بهمومه وقضاياه ومشكلاته الاجتماعية والسياسية والاقتصادية، وذلك في واقعية تعبيرية لغوية، ولو تأملنا.. لوجدنا التشابه الكبير في المشهد الأفريقي، سياسيا واجتماعيا واقتصاديا وثقافيا، بل لا نبالغ إذا قلنا: إن أفريقيا، باستثناء الساحل الشمالي العربي، من مصر حتى المغرب، وذلك لأمور ثقافية وجغرافية وحضارية - إن أفريقيا كلها تكاد تكون إقليما واحدا يتشابه في الشكل والجوهر.

حتى الأدب الأفريقي له خصوصيته التي تشتد وتلتصق به أكثر من أي تميز أدبي آخر لأي بيئة، فحينما نقول: الأدب الأفريقي – فهذا يصبح علما على أدب كل مجتمعات أفريقيا، فكأن أفريقيا دولة واحدة! بعكس الأدب في الشمال مثلا، فنادرا ما نقول الأدب الأوروبي – لأن التمييز والخصوصية المستقلة، تتضح تماما بحيث لا يصح إلا أن نقول: الأدب الإنجليزي، والأدب الفرنسي.. وهكذا..

ويعلل الباحث انزواء الفن القصصي.. المكتوب بالعربية في تشاد وفي غيرها من الدول التي تقرأ القرآن في أفريقيا، التي عانت من ذل المستعمر عصورا طويلة إلى قتل الشخصية الوطنية، وطمس معالمها وهويتها، والازدواجية اللغوية – بين الفرنسية.. لغة المستعمر المتحكم "في تشاد تحديدا" واللغة العربية.. لغة الفتح الإسلامي، مما أدى إلى هيمنة اللغة الفرنسية على اللسان التشادي، وسيادة اللغة الدخيلة على لغة الشعب المسلم!

ويستطرد المؤلف في هذا المدخل الموضوعي إلى كشف البشائر التي طفت على ساحة الإبداع التشادي، مع

د . علي مطاوع

مطلع الألفية الثالثة، بانتعاشة سياسية نسبية، أدت إلى صحوة أدبية – على يد تلك النخبة، التي قدم لهم الكتاب الذي بين أيدينا، نماذج من إبداعاتهم، وما كان هذا إلا من وجود طفرة فكرية وذهنية، وما يشبه المقاومة الوطنية، والثقافة الإحلالية.

والنماذج الإبداعية التي اختارها الباحث تعكس بالضرورة، حقيقة

■ جاءت صحوة كتابة القصة باللغة العربية في تشاد، في آخر سنوات العقد الأخير من القرن العشرين.

الوضع السياسي والاجتماعي، نماذج أبانت عن مقدرة هؤلاء الكتاب – رغم حداثة تجربتهم – بالعربية-،على الابتعاد عن التقريرية والتسطيح اللغوي أو الفني، وقدرتهم الهائلة على الوصف الدقيق، والتعبير الموحي عن المواقف والشخصيات، والتوجه العميق إلى النفس الإنسانية، وعنايتهم بالتفاصيل الدقيقة وجزئيات الزمان والمكان، والبراعة في إخراج لوحات فنية مرسومة بعناية، كما برعوا في توظيف الأصوات واستخدامها فنيا لخدمة الأفكار، فللأصوات دلالات فنية، تستطيع أن تثير في دواخل الناس الفزع والخوف والرهبة والرعب، مما يدفع الذهن البشري إلى دائرة الوعي والانتباه، وهل أفريقيا إلا ظاهرة طبيعية صنعت إنسانا في شكل طبيعتها؟" نباح الكلاب ونواح النسوة ونحيب المقهورين وبكاء الصغار وصفير الصبية ووشوشة الرجال وصوت الأشباح والشياطين وضربات الطبول وصمت القبور وأزيز النار والهسهسة

هنا والوحوحة هناك..."

والقصص الأفريقي عامة – والتشادي نموذجا – يمتلئ بالخرافات والأساطير حتى أصبحت تلك الأساطير والخرافات واقعا ملموسا، يكاد يصدق في مجتمعاتها.. حياة وواقعا وممارسة وإبداعا، ويعلل الباحث هذا قائلا: "ربما

اتخذ الإبداع الأفريقي هذه الخرافات رمزا للعالم الخيالي الوهمي – الموازي للواقع المملوء بالصراعات والخوف والقهر والشعور بالضياع.

وجاءت عناية الباحث بالقصة التشادية المكتوبة بالعربية لأمور أهمها:

١- اهتمامه باللغة العربية وحبه لها، وقد وجد نفسه في بلد صارت فيه الفرنسية – هي اللغة المتحكمة.

٢- حداثة عهد الفن القصصي هناك، وما كان يحتاجه هؤلاء الأدباء (الرواد) من رعاية وتأييد.

٣- لم يعثر الباحث على دراسة.. أو دارس واحد يهتم بهذا الفن في بلاد لا تعرف الندوات ولا الأمسيات الأدبية ولا المقالات النقدية، حتى سعت إليه وسائل الإعلام لتأصيل وتأسيس حركة القصة ونقدها – كي تواكب حركة الشعر المكتوب بالفرنسية.

عكف الباحث على النماذج التي أخذت على عاتقها إتقان فن القصة والظهور به، وذلك كما يقول (...لأنني أومن بأن القصة القصيرة بإمكانها التعبير عن الحياة وحركة المجتمع).

ولأن القصة هي حالة فنية لإعادة صياغة الواقع من جديد، من هنا جاءت دراسته تلك – لتثبيت قواعد هذا الفن، فوضعت بذلك اللبنة الأولى في صرح القصة العربية الأفريقية ، وإخراج هذا العالم المجهول إلى النور. قصص في صور مكثفة، تنطلق من الواقع، وتركب متن الخيال، مما يجعلها قادرة على الارتقاء بتفكير المتلقي وذوقه، وتجسيد أبطالها وشخوصها بتفاصيل حياتهم، كي يتعرفوا عليها، ويقفوا أمامها متأملين أنفسهم، فالعمل الإبداعي – بصفة عامة – وكما يقول الباحث – هو ظاهرة اجتماعية – تأتي استجابة لحاجات وتطلعات التجمع البشري.

بعد المدخل الموضوعي، جاء الباحث بدرس تطبيقي نقدي على الأصوات التي تمثل أول أضواء الفن القصصي في تشاد، وإن لم يجمعهم مذهب أدبي واحد.. لتباين ملامحهم الأدبية، واختلاف أعمارهم وتجاربهم. إلا أنهم – بالجملة – يعكسون بكتابتهم روح التحدي والصمود في نفوس أبناء الشعب المقهور. بغية تعميق الشعور الوطني وتعميق الأبعاد الإنسانية لقضايا المجتمع.

والأسماء التي رصدها الباحث.. وحقق نتاجها الأدبي، وأورد لهم النماذج التي تدلل على موضوعية وفنية نتاجها، هم يمثلون الجيل الأول لفن القصة هناك، وبما أنهم أصبحوا الرواد في هذا المجال، فقد وجب علينا أن نورد أسماءهم.. بترتيب العطاء الأدبي، أو الجودة الفنية.. وهم: الهادي محمد آدم ١٩٥٧، آدم يوسف موسى ١٩٧٥، إدريس آدم جمعة ١٩٤٠، عيسى عبد الله ١٩٤٨ ، آدم أحمد موسى ١٩٧٩، حسب الله مهدي فضله ١٩٧٤.

هؤلاء الكتاب استطاعوا أن يطلقوا رغباتهم المكبوتة، التي هي صدى لعالمهم الخارجي، متأثرين بهمومهم الذاتية،وصراعاتهم النفسية ■

خاتم الأنبياء

محمد ياسر أمين الفتوى - سورية

سَنَامُكَ الحقُّ مرموقٌ به السَّنَمُ ... وقد سمَا محفلا في وحْيك الكَلِمُ
وفي مَبرَّات أدهَارٍ مخلَّدَةٌ ... في منْتَداها توالى البِرُّ والكَرَمُ
والحُبُّ والعدلُ في إشراق مَنْهجها ... والرُّوحُ شفَّافةٌ بالنور تَتَّسِمُ
ما حادَ عن وَهْجها صبحٌ تقومُ به ... حضارةٌ لم تطاول سَمْتها القِمَمُ
يا خاتَم الأنبياء المُرْسلين صَفَتْ ... بك القلوب وَأَثْرَتْها بكَ القِيمُ
تَجلُّ ساعية في كل مَنْقبة ... وقد جَلَتْها الخِصالُ البيضُ والشِّيَمُ
ولم تكن في حقول الفَضْل غير صدىً ... تأنَّقَتْ في معاني بَوْحها الحِكَمُ
وردَّدَتْها شفاهُ الكونِ مُنْعَمةً ... كأنما الكونُ في تَرْدادها حَرَمُ
وإحتَوتْها ضلوع الأرضِ مخصبَةً ... وقد أُغيثَ بها الإقلال والعَدَمُ

■ ■ ■

فلا يَباسَ بأبعاد مُخدَّدَةٍ ... ولا دُجىً مُطْبقا تغلو به الظُّلَمُ
وكنتَ يا سيدَ الأبرارِ خيرَ رضىً ... وخيرَ بُرْءٍ لمُسْتَعْصٍ به السَّقَمُ
مُبلّغا وَحْيَ ربِّ العالمينَ ، ولم ... يُلنْ قَناتكَ من أعداءَ ما غَشموا
وقد ثبتَّ فلا شمسٌ إذا وُضِعتْ ... إن في اليمين ، ولا بَدْرٌ بما وَهموا

كلاهُما أحبطا من سُوءِ زيفهمُ ... ما قد رَجَوْهُ ، وباؤوا صاغرينَ هُمُ
وبالغوا في العناد الصَّعْب تحزبُهُمُ ... جهالةٌ في أباطيلِ التي زَعَموا
فكان صعبُهم أوشالَ من زَبَد ... مَضى جُفاءً فلا فازوا ولا غَنموا
وقد تحطّمَت الأصْنامُ وانْدَثرتْ ... فَلَمْ يَعُدْ في بقاعٍ طُهِّرَتْ صَنَمُ
وشفَّ ما اعتقدوا عن نُبْل فطْرتهمْ ... وراقَهمْ مبدأٌ في حرْزِه اعتصموا
وجنَّدوا في مجال النورِ أنْفُسَهُمْ ... ففي رحابتهمْ من نُورهمْ عَمَمُ
وأنبَتوا عنْوَةً إيمانَهمْ فَنَما ... موطَّداً برضَى ما هُمْ عليه نَموا
كذاك يا أيها الهادي المظفَّر قد ... بلَّغْتَ مُعْتَقَداً دانَتْ به الأُممُ
فأشْرَقَتْ بضياءِ اللّه قاطبةً ... دُنى ، وعمَّتْ بها الخيراتُ والنّعَمُ
فلا شعوبَ بها إلا سواسيةٌ ... في كفَّتَيْها تَساوى العُرْبُ والعَجَمُ
يا خاتَمَ الرسل الأخيارِ شاهدةٌ ... آياتُ ربك في إنصاف ما اتَّهَموا
وأنَّكَ الخُلُقُ الأعلى وأعظمُهُمْ ... بين الأنام وأسْمَاهُم بما وُسِموا
والرّاحمُ الفذُّ في أعتى الخطوب ضَنىً ... وكنتَ أنبلَ مَن لانوا ومَن رَحموا
«فأنتمُ الطلقاءُ» الآمنونَ هَمَتْ ... نضارةً وزَهَتْ في نَسْغها الدِّيَمُ
وأوْرَقَتْ في فيافي الأرض ماجدةً ... وجلَّ تاريخُها والحبُّ والذِّمَمُ
وقد أقَمْتَ حدودَ اللّه سامية ... فحقَّ عَدْلٌ سَماوي به حَكَموا
به اطمأنوا فلا خوفٌ ولا وجلٌ ... وقد علا مجدُهُم في كُنْه ما التَزَموا
وما نَأوْا عن حياضِ رجَّ حَوْمتَها ... نبلُ المقاصد في أبعاد ما حلَموا
فانداح عنها سلامٌ لن تُخَدِّشَهُ ... أظافرُ البَغْيِ ما كادوا وما نَقَموا

■ ■ ■

وأنت من يا رسول اللّه قد مُهِرَتْ ... به حقوقٌ جلاها المجدُ والعظَمُ
وقد رفعْتَ صروحَ العدلِ سامقةً ... وفي ذُراها تلاقى الناسَ والتأموا
فما نأى وهجُكَ الممتدُّ عن زمنٍ ... وما جفتْ أرضَنا الأضواءُ والنَّسَمُ
حتى أتى زَمَنٌ والغَرْبُ يُغْرقُهُ ... زيفٌ يُخثرهمْ في وحل ما زَعموا
حريةٌ فَسَخَتْ أردانَهم مِزَقاً ... فكان عرْيهُمُ فَخْراً به عُلِموا

ومجَّ غوغاؤُهم حقْدا بما رَضَعوا ... تُنبي شراستُه عما به فُطموا
في وقْع نبْضهمُ غَيْظٌ يُميِّزُهُمْ ... وزادَ أنَّ لهم فيما يَشينُ فَمُ
حتى تمادوا جهارا في مساسهم ... طهرا يمور بأنقى ما يضخُّ دمُ
يا صفوةَ الناس والأيامُ دائرَةٌ ... كذاك يَجْرُؤُ مَنْ هُمْ بالخَنا وُصموا
عماهُمُ الجهلُ سرّاً أو علانيةً ... فهم بأوضاره خاضوا وما سَلموا
وهم بما قَعَّدوا أرجاءَ ليلهمُ ... لم يَعْرفُوا الصبحَ في تقعيد ما فَهموا
وأسْرفوا في عداءٍ لا يُحدُّ به ... تطاولٌ لا ولا يَخْبو به ضَرَمُ
وقد عُموا عن ضحىً رَحْبٍ وكبَّلهم ... دُجى العقول ، وفي أسداله التَحموا
يا صَفْوَة الخَلْق ، هم أعداؤنا هملٌ ... من وَقْدَة الروح والتهذيب قد حُرموا
لم يقرؤوا أيَّ تاريخ يثقّفهُمْ ... وما وَعَوْا فضل أفضالٍ وما احترَموا
ولا أَلُمُّوا بما قالتْ أكابرُهُمْ ... مقالةَ الحق في إنصاف ما عَلموا
وفي اختياراتهمْ كنتَ الذي شَهدوا ... له بأنَّكَ أنتَ الأوَّلُ العَلَمُ[1]
وكنت في المئة الأخيار رأسهمُ ... وأنتَ أنتَ الأمينُ الصادق الفَهمُ[2]
بكل موطنِ إنسانيَّة عَظُمَتْ ... مُجداً ، فأنت مُجلَّى راسخٌ قدمُ
وقال « كارليل» في إنصافه دُرَرا ... يخاطبَ القوم تأنيبا لمن ظَلَمُوا[3]
كلْنا الشتائمَ عن حقْد وعن سَفَه ... فنحنُ مَنْ وُصموا حقا بما شَتَمُوا
«محمّدٌ» بازغٌ بالنُّور حَسْبُ سَنىً ... في كُلِّ قَلْبٍ وَطَرْف شفَّ يَرْتَسمُ
هو الرسولُ المُزكّى في مَناقبه ... وفي مكارمه العُظْمى هو الهَرَمُ
بذكْره تَطْمَئنُّ الرُّوحُ مُسْلَمَةً ... ودونه أيُّ ذكرٍ مُدَّعٍ يَجمُ
ما ضَرَّهُ ناعقٌ ضَالٌّ يَكيدُ له ... - لنا العلا - ولأنْفِ النّاعقِ الرَّغَمُ

■ ■ ■

الهوامش:

(١) إشارة إلى الاستفتاء العالمي الذي جرى عام ١٩٧٤م حول أعظم رجل في العالم فكان محمدا صلى الله عليه وسلم.

(٢) الاستفتاء العالمي الثاني عام ١٩٨٧م فكان على رأس المئة التي اختيرت لأعظم شخصيات العالم نفوذا وتأثيرا.

(٣) توماس كارليل أعظم رجل غربي بريطاني، أوقف حياته مدافعا عن الرسول العظيم، مبينا مناقبه العظيمة الخالدة، ومنتقدا منتقديه منذ قرن ونصف.

الدكتور محيي الدين صابر باحث ومفكر من السودان..شارك في حرب تحرير السودان من الاستعمار الإنكليزي. وتولى منصب وزير التربية والتعليم العالي هناك، ثم عمل في العديد من المنظمات الدولية والعربية وتولى مهام الأمين العام للمنظمة العربية، للتربية والثقافة والعلوم (الأليسكو)، وهو إلى جانب هذا شاعر وأديب، وعالم اجتماع، صدر له العديد من الكتب في مضمار علم الاجتماع. التقيناه في دمشق وحاورناه حول وضع الثقافة والمثقفين العرب اليوم.. وتطرق الحديث إلى الأزمة الثقافية في الوطن العربي، والسبل الكفيلة بتجاوزها.

المفكر والشاعر د . محيي الدين صابر:

ما دمنا نعبر بلغة واحدة فليس ثمة ما يخيف

حوار : وحيد تاجا - سورية

●● إذا حاولنا أن نرسم «بانوراما» لوضع الثقافة العربية اليوم، فكيف تراها وأنت المطل عليها من أكثر من ناحية ؟

● يمكن القول: إن هناك تقدماً كبيراً وهاماً في المجال الثقافي العربي سواء من حيث التنظيمات والمؤسسات العربية القطرية والقومية أو من حيث الإنتاج القومي لهذه الثقافة.

●● لا أظن أن الكثيرين يشاركونكم هذا

التفاؤل. ففي أي المجالات يبرز هذا التقدم المهم؟

• يمكن أن تأخذ التعليم مثلاً، فالتعليم ينتشر بصورة كبيرة في جميع البلاد العربية، وهي تعطي للتعليم في إطار عمليات التنمية مجالاً واسعاً. وإذا أخذنا واقع التعليم في الدول العربية نسبة إلى واقعه في البلاد النامية نجد أنها تتقدم بشكل ملحوظ. وكنا قد وضعنا استراتيجية واحدة للتعليم في الوطن العربي، وتقوم الدول العربية بتنفيذها في إطار خططها، وهذه العملية تتابع من المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم بشكل دائم، ورغم الاتجاهات السياسية المختلفة في الدول العربية فإن الثقافة والحمد لله، هي العمل الوحيد الذي لا يختلف عليه بدرجة كبيرة، وهو العمل الوحيد الذي يقوم على التكامل.

•• إذا كان الوضع الثقافي بهذا الشكل الإيجابي فلا بد أن ينعكس على المثقفين وعلى الأمة العربية بشكل عام، في حين أننا نشهد تراجعاً وأزمات في جميع فروع الثقافة تقريباً؟

• السؤال كان حول وضع الثقافة العربية بشكل عام، وهي كما قلت، في تطور مستمر وواضح، أما إذا أردنا أن ندخل في المجالات المختلفة للثقافة، الشعر، المسرح، الموسيقى، الفن التشكيلي، فهذا موضوع آخر.

هناك مجال واسع كي نحافظ على ثقافتنا وهويتنا، وعلى تراثنا، وفي الوقت نفسه هناك مجال أمامنا للمعاصرة أيضاً، قد تكون الرواية هنا متقدمة، وهناك الشعر متقدم، أو في بلد آخر يشهد الفن التشكيلي تطوراً، فالإبداع الفني هو إبداع فردي أي موهبة. وأية نهضة في أي مجال وفي أي قطر عربي لا بد أن تنعكس في البلاد العربية الأخرى، كذلك أي تخلف سوف يصيب الآخرين في المجالات نفسها.

•• ولكن هذا لايمنع من الحديث عن وجود أزمة ثقافية في الوطن العربي، ما هي برأيكم أبرز أعراض هذه الأزمة؟ أهي أزمة إبداع وإنتاج ثقافي أم أزمة تلق ووعي؟

• ابتداء، لا نستطيع فصل الأزمتين عن بعضهما البعض. وفي الواقع هناك نقاط كثيرة في السؤال الذي نجيب عنه الآن، فكلامنا عن الوعي يتطلب توضيحا لنوع الوعي الذي نتحدث عنه، ثم إننا حين نتكلم عن الوعي الثقافي فإننا نتكلم عن الحضور الاجتماعي والسياسي للأمة في مجموعها، وهو المعنى المتمثل في المؤسسة الثقافية، وفي مقدمة ذلك موضوع التعليم وتعميمه وإلزامه، بحيث تصبح الثقافة ضرورة من ضرورات الحياة، أي بعكس ما هو سائد الآن، حيث إن الثقافة ليست ضرورة من

ضروريات الحياة، فالناس يستطيعون أن يعيشوا دون ثقافة تذكر كما هي الحال في القرى والأرياف، ونحن نريد أن نصل إلى مجتمع تصبح الثقافة فيه ضرورة من الضرورات الحياتية، بما في ذلك علاقته بالعالم، وعلاقاته الداخلية، وقدرته على الإنتاج، كما هي الحال في المجتمعات المتقدمة.

ومن هذه الناحية فإن عدم الوعي الثقافي القائم مرتبط بتخلف المجتمع، فتخلف المجتمع من مختلف جوانبه أدى إلى أن لا تأخذ الثقافة دورها في المجتمع، وبناء على ذلك فإن الوعي بها قليل، معنى هذا أن هناك صلة كبيرة بين التخلف بصفة عامة وبين الوعي الثقافي بصفة خاصة.

وفيما يتصل بالنتاج الثقافي فهذا أيضا له جانبان: الجانب الكمي والجانب الكيفي. وفي واقع الأمر حين ننظر إلى الإنتاج الثقافي، الكتاب مثلا، كمصدر تقليدي للثقافة، نجد من خلال مراجعة الإحصائيات أن لكل فرد عربي نصيبا لا يذكر (كتاب واحد لكل سبعة أشخاص من العرب، وفي أوروبا مثلا هناك سبعة كتب للشخص الواحد) وهذا يعني نقصا كبيرا من ناحية الكم، وأسباب ذلك كثيرة: قلة الوعي، قلة الإقبال على الثقافة، وانتشار الأمية ...إلخ.

وفي الإنتاج من حيث الكيف نجد أننا في أزمة، فليس كل ما ينتج أصيلاً وحقيقياً، وكثير من الإنتاج هو مترجم ومشوه أو في موضوع واحد متكرر، فالعمل الثقافي قليل جدا، وهذا بطبيعة الحال يؤدي إلى خلق الأزمة.

فإذا أخذنا بعد ذلك الجانب الآخر من سؤالك، وهو كيف نقدم هذا الإبداع ومن يرعاه، فإننا نرى وجوب تعميم التعليم، وإعطاء المتعلمين الفرص كي يبدعوا، وذلك برفع مستوى الإنسان العربي حتى تصبح الثقافة جزءا من حياته.

ولا بد من تشجيع المبدعين والاعتراف بدورهم الثقافي والاجتماعي والسياسي وذلك بتوفير الحرية لهم، وثمة ما يتعلق بسوق العمل الثقافي، فسوق الثقافة والمثقفين ضيقة عندنا، وفي البلاد المتقدمة يُسَوّق الإنتاج، فيعود على صاحبه بدخل مرتفع، أما عندنا فإن الدخل قليل وهو لا يوفر للمثقف عيشة محترمة. ولذلك نجد أن المتفرغين للثقافة عندنا قليلون جدا. ومعظمهم يحترفون أعمالا أخرى كي يستطيعوا العيش. ولا بد من إيجاد الدور الفاعل للحرية عبر تنظيم المثقفين أنفسهم في مؤسسات تمكنهم من التعاون وتتيح لهم أن يخصب إنتاجهم اجتماعيا وفكريا وماديا.

●● كيف يمكن الحديث عن ثقافة عربية واحدة في ظل التمزق الإقليمي الذي نحياه، والذي يسعى فيه كل طرف إلى إثبات وجوده المستقل وتجذير هذا الوجود الإقليمي أيضا؟

● السمات العديدة الموجودة داخل الثقافة العربية تعكس التنوع داخل الوحدة، وليست عمليات مستقلة، لأن الوعاء الثقافي العربي واحد مهما اختلفت الأشكال. فاللغة العربية واحدة، وهذا هو الأساس، وتأتي بعدها الهموم العربية والمشكلات التي يعاني منها الإنسان العربي، وتطلعات هذا الإنسان، وهذه كلها واحدة أيضا. كل التنوعات الإقليمية موجودة لسوء الحظ، مما يفاقم الأزمة، ونرجو ألا نصل لوقت تصبح فيه هذه التناقضات خصائص أساسية، والتي أخطرها ما يتمثل باللهجات التي تهدد اللغة العربية، وأعتقد أننا ما دمنا نعبر بلغة واحدة فليس ثمة ما يخيف وتظل الخطورة في النزوع إلى عمليات انفصالية، خصوصاً في موضوع محاولة جعل اللهجات المحلية لغات تنفصل فيها النتاجات

العربية المتنوعة عن الثقافة العربية الأم، وهذا هو الخطر الوحيد الذي يمكن لنا أن نلاحظه في الخطة القادمة، أما ما عدا ذلك في التنوعات فهي عوامل خصب، وروافد، وليست عوامل انفصال.

•• أشرت إلى مسألة الحفاظ على الهوية والتراث؟

• التراث معناه حياة الإنسان، فأنت لا تستطيع القول: إنني سأمحو الطفولة من حياتي أو مرحلة الشباب، فهذا غير ممكن لأنها جزء من حياتنا، فالتراث ينمو معنا، وعندما نجد شيئاً أفضل نستخدمه ولكننا نحتفظ بالتراث. ونحن نكتشف الأشياء الجديدة من الإبداعات القديمة، ولذلك فإن النظر إلى التراث أو إلى الثقافة على أنها تخلف وتأطر خطأ فاحش، ليس هناك فرق بين الحاضر والماضي أبداً، ومن هنا فإن الموضوع مهم جداً بالنسبة لنا نحن العرب، لأنه يتصل بوحدتنا الثقافية والقومية العربية القائمة على هذا التراث، ونحن مطالبون من ناحية قومية ومن ناحية حضارية بأن نحافظ على تراثنا، ومطالبون بالإبقاء على إبداعات الإنسان، لأنها إبداعات عامة وليست إبداعات قومية وقطرية. وقد استطاعت الأمة العربية والإسلامية في فترة من الفترات أن تبدع وأن تقدم العلم والمعرفة والغرب

■ النظر إلى التراث أو إلى الثقافة على أنها تخلف وتأطر خطأ فاحش.

لا ينكر هذا، لذلك فإن الحفاظ على التراث يساوي العمل والسعي للمعاصرة تماماً.

•• إذا انتقلنا إليك بصفتك شاعرا، فكيف ترى حال الشعر العربي اليوم••؟

• هناك تراجع في الشعر على مستوى العالم كله وليس في البلدان العربية فقط، فقد كان الشعر ديوان العرب أيام كانت الكتابة قليلة، فكان الشعر يأخذ مقام الكتابة التي تحفظ في الذاكرة. ولذلك كان واسع الانتشار. أضف إلى هذا ارتباط الشعر بالغناء ليس في اللغة العربية فقط وإنما في كل اللغات والغناء معناه الموسيقى •• والناس بحاجة إلى الغناء وإلى الموسيقى وإلى الكلمة الجميلة. ولكن واقع الأمر هو أن العالم وطبيعة الحضارة المعاصرة قد اختلفت وتيرتها، وتراجع ذلك الهدوء والانسجام لصالح التقنية والتكنولوجيا •• وتراجع معه الشعر لصالح الكتابة والكمبيوتر وعجلة الحياة التي لا تهدأ.

•• إشارتك إلى الموسيقى في الشعر، تدفعني لسؤالك عن رأيك بقصيدة النثر؟

• جميل ربطك بين الموسيقى في الشعر وبين قصيدة النثر، نحن نسمي الشعر شعراً عندما تكون فيه موسيقى، وقصيدة النثر تفتقر إلى هذه الموسيقى

■ قصيدة النثر تفتقر إلى الموسيقى، صحيح أنها كلام جميل ونثر جميل، ولكنها ليست من الشعر بشيء، فلا داعي لأن نطلق عليها لقب قصيدة

وبالتالي فهي ليست شعراً، صحيح أنها كلام جميل ونثر جميل، ولكنها ليست من الشعر بشيء، لا داعي لأن نطلق عليها لقب قصيدة، فأنت لا تستطيع أن تكتب مقالة سياسية بالشعر.

•• ولكن شعراء النثر يعتبرونه تجديداً وحداثة؟

• التجديد لا يعني التغريب، كلنا متأثرون بالغرب، نلبس مثلهم ونأكل مثلهم، ونتحدث ونعرف لغاتهم، ولكننا لم نغير أنفسنا. وبالتالي لا بأس أن نتأثر بالشعر الأوروبي أو بالشعر الأفريقي أو الآسيوي ولكن بشكل يتماشى مع طبيعة بلادنا، أما أن نتأثر إلى درجة أن نترك الشعر كله ونكتب النثر ونسميه شعراً لأننا نقلد الآخرين فهذا غير صحيح، والتجديد ليس معناه أن ننتهي أو نختفي تماماً.

ولهذا نحن لا نقول الكلام نفسه عن قصيدة التفعيلة، لأن الأساس فيها هو الموسيقى، ولدينا شعراء كبار في هذا المجال.

•• وماذا عن مسألة الإغراق في الرمزية بالشعر؟

• الشعر كله رمز البلاغة العربية، وهي قائمة على الرموز والتشبيه. الخيال هو الشعر، والخيال هو الرمز، لكن الغموض والإمعان في الرمزية وابتعاد بعض الناس وعدم تقبلهم لهذه الرموز عائد إلى استعمال بعض الشعراء العرب للرموز الأجنبية، بمعنى قد نجد شاعراً فرنسياً يستعمل بعض الرموز الخاصة بالحضارة الرومانية أو الإغريقية، أي تلك الرموز التي تظهر في تاريخه القديم، ولكن عندما نستعمل نحن هذه الرموز فالقارئ العربي لا يعرف قصتها وبالتالي لا يفهم الشعر، فالمسألة ليست موضوع رموز وإنما نوع من التقليد غير المتفق عليه.

•• هل يمكن للرواية العربية أن تأخذ مكان الشعر؟

• هذه المقولة بحاجة إلى بعض التدقيق. الرواية ليست ضد الشعر، فلماذا لا بد أن يكون هناك رواية أو شعر، فكل منهما وسيلة مختلفة للتعبير. الشعر يعبر بطريقته عن طبيعة معان وسياق وعلاقات معينة، والرواية تعبر بالنثر، وكلما ازداد عدد المتعلمين في العالم العربي ازداد الإقبال على الرواية، فالجميع يفهم النثر ولكن ليس بالضرورة أن يفهم الشعر، فالشعر له ناسه ومجتمعه وهذا لا يعني أن الرواية أفضل ■

إيمان و أمومة

من رسائل أم سليم
إلى مسلمات القرن الحادي والعشرين

فاطمة محمد شنون - سورية

أجمل ما قدمت إلي الدنيا أَنَساً، أنجبته «لمالك بن النضر» مع بدايات بشائر النور التي كانت تومض في أم القرى، وراح يكبر بين ذراعي كما تتسع خطا النور في طريقها إلى القلب، ولم أدر أيهما كان يستنفر الآخر، الشوق إلى أفق الحق البهي، أم عظمة الأمومة وسموها !

الإيمان، والأمومة... أروع ما في الدنيا أن تطوي امرأة صدرها عليهما معا... هكذا تكون ثَمَّ (نبيّة)... (نبيّة) تحمل نور الله، وتشعر بعمق أنها مسؤولة عن تبليغه إلى أمة كاملة مكنونة في هذا الكيان الرقيق الذي يتسع له حجرها، وتضمه ذراعها... أتراه سر وحدة الجذر اللغوي بين (الأم) و (الأمة) في لغة القرآن العظيمة !

هكذا عانق في القلب نورُ الله نورَ الأمومة، فلم آبه لكون ما أفكر فيه يحتاج إلى قوة تصدم الواقع الراسخ من حولي، بما في ذلك زوجي. غلبني على الخوف والتحسب لخطوتي إحساس قاهر أن هذا النور مني وأن محمد بن عبد الله قد استخرجه كله من أعماق امرأة تعيش هنا بين نخيل يثرب ورمالها، وأنه كان في أعماقها منذ بدأ قلبها النبض.وهكذا قمت بما أحسست أنني ينبغي أن أقوم به، فأسلمت مع رسول الله... كان ذلك تلقائيا ونهائيا، مثلما تطلع الشمس كل يوم على الرمال والنخيل.

وأحسست أن للأمومة طعما آخر، أنها رسالة إلى الآتي، أن أنسا شجرتي التي أغرس في هذه الأرض، وأنني أصنع ثمرها على عين الله، وأنني أمتد في الزمان متجاوزة سني العمر، وفي المكان ملغية كل الحدود. وكان ذلك يترع قلبي حماسا لا يفتر، ويمزج لبان الثدي، فأسقيه أنسا مع عثرات الخطوات الأولى والكلمات الأولى : قل : لا إله إلا الله... قل : أشهد أن محمدا رسول الله.

وبدت الكلمات سعادة العمر كله، وأعذب من أعذب ما أتت به العرب من شعر وغناء، وأجمل من البدر التم في ليالي يثرب الساجية. ولم يخف ذلك على مالك، ولكنه لم يجابه الأمر بمثل ماجابه به إسلامي، فهو، وإن لم يعنف في الحالتين، كان يبدو هنا فاقد الصبر، ضيق الصدر، فيطلق نواهيه وزواجره وأوامره بمزج من التحذير والغضب والحزم : كفي عن هذا... لا تفسدي عليّ ولدي... ولكن كان كلانا موقنا أن فكر الأم بعض من رحيق ثديها، ودفء حضنها، وأنه من العبث محاولة الفصل بينه وبينهما.

ولعل مالكا كان يشعر، على نحو خفي، أن لا دور له في حياة أنس، وأنه مرتحل فمخل بيني وبين ولده، فلم يتعنت ولم يقس، بل راح يلعب الدور المتاح له، وهو يغذ السير بعيدا عنا.

ارتحل مالك إلى الشام ولم يعد... والموت أكثر من ضيف في ذلك الزمان وذلك المجتمع، الموت شريك يندر أن يتخلى عن حصته من كل بيت. ولم تكن النساء يجدن حرجا في استبدال زوج مكان زوج، ولم يكن الرجال يترددون في ضم أرملة أو مطلقة وأولادها إليهم، فقد كانت طبيعة الحياة تفرض ذلك. ولكنني كنت أكثر التصاقا بأنس من أن أسلك سبيل هذا العرف، فأعلنتها : لا جرم... لا أفطم أنسا حتى يدع الثدي، ويجلس مجالس الرجال، ولا أتزوج حتى يأمرني أنس فيقول : قد قضت الذي عليها ■

نحو منطلقات إسلامية للفن والأدب

د . أحمد حسن محمد - السودان

◁◁ الفن والإنتاج الأدبي:

يعتبر الإنتاج الأدبي - بكل أشكاله وفنونه - مجالاً من مجالات الإبداع الفكري التي تحقق الاستفادة أو المتعة الذهنية للمتلقين وهو (أي الإنتاج الأدبي) يلتقي مع الفن من حيث الإبداع والإمتاع .

ويعد الفن عاملا من عوامل انتشار الإنتاج الأدبي لما للفنون من قابلية لدى المتلقين من أفراد وجماعات المجتمع، وفي نفس الوقت يمكن القول بأن الإنتاج الأدبي يعتبر رافداً هاماً من روافد العمل الفني، ومصدراً من مصادره الفكرية بصفة عامة، ويمكن ملاحظة ذلك ببساطة في فنون المسرح والدراما والإنشاد وغيرها ..

◁◁ التصور الغربي للفن والأدب:

لقد تأثر الفن وكذا الإنتاج الأدبي في الغرب بما ساده من تيارات فكرية مادية تقوم على معاداة واضحة للقيم الروحية والمبادئ الدينية انطلاقاً من تجربة الغرب مع الكنيسة في بداية مايسمى بعصر النهضة حيث سيطرت على الساحة الأوربية ألوان من أدب اللامعقول يقوم عليه فن لا معقول .. فن إباحي متجرد من أكثر مظاهر الالتزام الأخلاقي والمثالي، أدب يستجيب لمطالب الجسد والمادة بعيداً عن تزكية النفس وإشباع متطلبات الروح والنفس الزكية ...

وقد استغل اليهود هذه الموجة الانحلالية فسعوا إلى السيطرة على وسائل الإنتاج الإعلامي والنشاط الفني فأغرقوا المجتمعات بالأفلام الماجنة والأغاني المنحلة والرسومات العارية وعرض النساء في صور مخجلة، كل ذلك تحت مسمى الفن، والذي أصبح بذلك بعيداً عن معاني الشرف والكرامة الإنسانية والقيم الخيرة الفاضلة بالأسلوب المبهج المتميز.

◁◁ ضرورة الالتزام الإسلامي في الأدب والفن:

إن الالتزام الأدبي شامل لكل ضروب الكلام سواء كان شعراً أم قصة أم مسرحية حيث إن كل أشكال الكلمة في المنظور الإسلامي هي موضع الأمانة والمسؤولية، وهي رسالة ذات شأن، ولابد أن توظف (أدباً أوفناً) في خدمة الحق والخير والقيم الفاضلة [1].

إن الحاجة ملحة لتوظيف الفنون سواء في السينما أم المسرح أم مجال التشكيل المباح توظيفاً إسلامياً ملتزماً بهدي شرع الله عزوجل، ولا سيما بعد أن أصبح المجال متسعاً لنشر دعوة الله سبحانه عبر كافة مستحدثات العصر، ومنها وسائل الإعلام والاتصال، التي أصبحت في حاجة مستمرة لإنتاج فني ومواد إعلامية ...

إن حقيقة التزام الأدب والفن إسلامياً لا يعني تحويله إلى وعظ (مصطنع) وخطابة دينية (متكلفة) فالأدب أدب، والفن فن قبل أن يكون دعوة لخير أو حرباً على شر.

والأديب المسلم أمامه المتسع الفسيح ليغترف من نبع الإسلام دون ضيق أفق أو تحديد خيال، حيث إن الإسلام لايقتصر أمره على العبادة والعقيدة - وإن كانتا من أهم ركائزه - ولكنه يتميز بالشمول، فهو دين الحياة كلها وساحة الحلال فيه واسعة بحمدالله .....

ويظل القرآن الكريم هو النموذج الأعلى والأسمى في طهارة الكلمة ونظافة التعبير، فقد عبر عن أخص علاقة وأشدها حساسية - علاقة الرجل بالمرأة في أكثر من موقف ، عبر عن رغبة ابنة شعيب المشروعة في موسى عليه السلام ، وعن مراودة امرأة العزيز غير المشروعة ليوسف عليه السلام، وعن تطلع قوم لوط الدنيء للملائكة ... كل ذلك وغيره ، في لغة وأسلوب لا ترى العذارى فيها حرجاً عن سماعها[٢].

◁◁ المطلوب من الفن الإسلامي:

إن المجتمع الإنساني الراشد إنما يتطلب من الفن أن يكون دوما عاملا من عوامل إثراء الحياة الإنسانية بالتجربة والخبرة، والتوعية والتوجيه السليم، مثيرا للهمم، موقظا للمشاعر الطيبة ودوافع الخير والفضيلة، وعاملا أساسيا من عوامل واجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

كل ذلك دون أن يغفل جانب الجمال والإمتاع بما

يحقق للنفس الإنسانية الرضا ويتيح لها الاستفادة من الخبرات والمواقف الاجتماعية الهادية بما يعينه على التزود بقيم الخير والحق والاستقامة.

إن الإنتاج الفني –في جميع صوره– يتطلب مضامين أساسية تجمع مطالب النفس الجادة وماتعيشه من ظروف وأوضاع الكد والتعب ومواقف الصراع مع مطلوبات الحياة وبين طبيعة الإنسان في ميله إلى ساعات من اللهو البريء والترويح والتسلية والبسمة المعبرة ابتعادا عن مواقف الحزن والشدة...

ويتأكد هذا المفهوم بصفة أساسية في الإنتاج الأدبي عندما يلتزم بالإسلام والذي يتهمه أعداؤه، ومن يجهله، بأنه دين يحارب متع الحياة، ويدعو إلى مواقف الحزن والكآبة والشدة، ويتخذ من أساليب الوعيد والترهيب نموذجا للسلوك، ولا يعنى بمطالب النفس الإنسانية من حيث الترويح والتسرية والإسعاد. وهذا كله بلا شك اتهام باطل تدحضه آيات الله في كتابه المنزل ﴿ ... يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ ... ﴿١٨٥﴾ (البقرة) وتؤكد عليه سنة المصطفى صلى الله عليه وسلم حيث يقول: "إن الله تعالى رضي لهذه الأمة اليسر وكره لها العسر".

إن الإسلام يضع قضايا الإنسانية كلها في ميزان العبودية لله رب العالمين، لايفصل بين ما هو للحياة الدنيا وماهو للحياة الآخرة، وهذا يحقق الالتزام بالإسلام عدلا بين الطبيعتين الروحية والمادية وفق توازن دون تطرف أو مغالاة[٣] ■

الهوامش:

(١) د / وليد قصاب، في الأدب الإسلامي - دار القلم للنشر والتوزيع، ط ١، ١٤١٩هـ، ص ١٠١ .

(٢) د. أحمد علي، الأدب الإسلامي ضرورة - ص ٨٤ .

(٣) عفيف طبارة، روح الدين الإسلامي، دار العلم للملايين، ١٩٧٧م، ط١٧، ص ٦٣-٦٥ .

ترجمة: د . سمير عبدالحميد إبراهيم●

كيس من الخبز

سيد عاصم محمود - باكستان

كانت«سارة بيغم» تأتي إلى محلات «الحاج كرم الدين وأولاده» يوميا في تمام الساعة الخامسة مساء، وهي أسواق مركزية مملوءة بكل ما يحتاجه البيت تقريبا من مستلزمات وبضائع ومأكولات، كانت تتمعن في كل شيء، وتتفحص كل شيء، سواء علب البسكويت أو مكعبات الزبدة، أو حتى علب السمن المغلقة، أو حتى " الكيك "و"الجاتوه" الذي كان يجهز بطريقة خاصة في مخبز أسواق " الحاج كرم الدين وأولاده " الشهيرة.

حين كانت سارة بيغم تأتي إلى الأسواق، كان يستقبلها على الفور أحد العمال المكلفين بخدمة الزبائن، وقبل أن تتطلع هنا أو هناك كانوا يبادرونها بالسؤال:

– هل يمكن أن نساعدك؟ عن أي شيء تبحثين يا تُرى؟!

عندئذ كانت تسأل عن ثمن بضائع مختلفة، وتنصت إليهم وهي تتطلع إليهم بإمعان، وقد أخبروها أكثر من مرة أن"الكعك المحشو بالزبيب" ثمنه خمسون روبية، وأن علبة الشاي الصغيرة بأربعين روبية، وحين سمعت أن " كيلو " الحلوى بمائة روبية، هزت رأسها وكأنها تقول:

– آه! تذكرت الثمن، ربما أشترى الأسبوع القادم حين أدعو إلى بيتي بعض الأقارب.

● أستاذ اللغات الشرقية وآدابها جامعة دوشيشا – كيوتو، اليابان .

لكنها لم تدع إلى بيتها أحدا أبدا، ورغم مجيئها إلى أسواق "الحاج كرم الدين وأولاده" مدة ستة أشهر، لم تشتر شيئا ولا حتى بروبية واحدة، ومع هذا فهي لا تزال تأتي كل يوم في تمام الساعة الخامسة مساء، فتسرق «كيس» خبز، وتخفيه تحت عباءتها، ثم تخرج من المحل بهدوء.

إن سرقة الخبز بالنسبة للمرأة أمر صعب، لأن إخفاء كيس من الخبز أمر غير طبيعي على الإطلاق، لكن سارة بيغم كانت تأتي إلى "أسواق الحاج كرم الدين وأولاده"، وهي تلف جسمها بعباءة واسعة من القماش الثقيل، وكانت حين تسرق الخبز، تضعه تحت إبطها، ثم تضغط عليه بذراعها، وهكذا يختفي كيس الخبز تحت العباءة بسهولة ويسر، كان الخبز القمحي اللون الطازج، الذي يعد في فرن "أسواق الحاج كرم الدين وأولاده" قد جذب إليه الزبائن من كل صوب، وذاعت شهرته في المنطقة كلها.

وإن أردت أن تتذوق طعم هذا الخبز اللذيذ، فلتذهب فورا إلى حي«مُدل تاون» لتشتري الخبز الطازج المخبوز في فرن الحاج كرم الدين، لن تجد صعوبة في الوصول هناك، فرائحة الخبز اللذيذ سوف تجذبك إلى المكان دون عناء، ذلك الخبز الذي يضاعف من لذة الطعام، عدسا كان أو دجاجا، أو أي إدام! وهكذا ففي تمام الساعة الخامسة مساء يعج المحل بالزبائن، وتأتي سارة بيغم، فتسرق «كيس» الخبز ثم تمضي لحال سبيلها بهدوء وسكينة.. كان شاه دين هو أول من اكتشف السرقة!!

كان شاه دين هو ابن محمد دين أكبر أبناء الحاج كرم الدين، كان ابنا مطيعا،لا يزال يدرس في المرحلة الثانوية، وفي هذا العمريضل معظم الأولاد سبيلهم، ويتجهون إلى قضاء أوقاتهم في اللهو واللعب، أما شاه دين فقد كان بعيدا عن كل هذا، فكان يخرج من المدرسة، فيذهب على الفور إلى البيت، حيث ينتهي من واجباته المدرسية، وفي المساء كان يذهب إلى المحل حتى يتمكن من مساعدة الآخرين العاملين فيه، خاصة في وقت الذروة، وهجوم الزبائن.

أما عمر دين الابن الثاني للحاج كرم الدين، فقد كان ولده الأكبر جاويد في البداية مهملا، يدور هنا وهناك، لا يبالي شيئا في الحياة، لكنه الآن تغير وصار يتحمل المسؤولية، بعد أن رأى سلوك شاه دين الجاد، كما كان الابن الثالث للحاج كرم الدين يساعد أيضا في العمل.

كنا نتحدث عن أمر السرقة، وأن شاه دين كان أول من اكتشف أمرها، لم يكن كغيره من بعض الشباب متسرعا، تحركه العاطفة، كما لم يكن يندفع سريعا في اتخاذ قراراته كغيره ممن هم في مثل عمره، في اليوم الأول، ساوره الشك، عندئذ قام في اليوم الثاني، وقبل مجيء سارة بيغم بدقائق، فسجل عدد " أكياس الخبز " الموضوعة على الأرفف، وبعد خروجها، عدّ الأكياس، فتحول شكه إلى يقين، فقد اكتشف غياب «كيس» من الخبز، من فوق الأرفف!

لو كان أحد غيره في مكانه، لصاح على الفور وهاج وماج، وعرف الجميع حين ذلك بأمر السرقة، لكن شاه دين ظل ينتظر اليوم التالي بصبر وتحمل، وحين حدثت السرقة أيضا في اليوم التالي، خرج في صمت وسكون خلف المرأة العجوز.. وبعد حوالي عشرين دقيقة، وجدها تدخل في مبنى قديم، يتكون من عدة شقق مختلفة المساحات، عرف شاه دين اسم المرأة وعنوانها من الحارس، واكتشف أنها تقيم في شقة قديمة متهالكة، تتكون من غرفتين فقط، رجع شاه دين بعد أن عرف المعلومات التي يريدها، ثم ذهب إلى والده، واختلى به في ناحية، وقص عليه القصة من أولها إلى آخرها.

استشاط محمد دين غضبا، لكنه ظل صامتا، لم يخبر شاه دين أحدا آخر بأمر السرقة، وظل صامتا كما فعل والده.

كان محمد دين يختلف من ناحية القوام والجسم عن بقية أفراد الأسرة، كانت زوجه شمسة تطهو ألذ أنواع الأطعمة، ومرة ظل يأكل وهو جالس على المائدة حتى شبع تماما، إلا أن هذه الأطعمة اللذيذة لم تتمكن من زيادة وزن محمد دين ولا حتى نصف كيلو، فقد كان نحيفا مثله مثل فيلسوف لا ينقطع عن التفكير.

في تلك الليلة، بعد تناول الطعام ذهب الجميع إلى غرفة الحاج كرم الدين للجلوس معه كالعادة لمدة نصف ساعة، والحاج كرم الدين لم يعد يفكر في مشاغل الحياة، فهو الآن يتمدد على الفراش أو يجلس على الكرسي يدخن النارجيلة، بينما لحيته البيضاء الطويلة، تحتك بصفحات الكتاب الذي يضعه فوق " كرشه " الممتلئ.

على مدى هذه نصف الساعة، يتبادل جميع أفراد الأسرة الأحاديث، وينصتون مستفيدين من تجارب جدهم وجدتهم، في تلك الليلة حين أوشكت الدقائق الثلاثون على الانتهاء بدأ محمد دين يقول:

- أريد أن أخبركم بشيء!

فتح الحاج كرم الدين إحدى عينيه، فارتفع شعر حاجبيه الأبيض وهو يقول:

- أي خبر؟

فقال محمد دين بهدوء:

- خبر سرقة!

عندئذ ساد صمت، وتحول الجميع إلى آذان مصغية، وفتح الحاج كرم الدين كلتا عينيه، فقط ظل شاه دين العاقل صامتا لم يقل شيئا.

قال محمد دين:

- امرأة عجوز.. لا أدري منذ متى وهي تسرق يوميا من المحل كيس" خبز "..

حركه الغضب.. فاحمرت عيناه من الغضب..فعاد الحاج كرم الدين إلى كرسيه، وغاص فيه من جديد، وأخرج "خرطوم " النارجيلة من فمه، وأرخاه على " كرشه " الضخم، وظل صامتا برهة، ثم تمتم قائلا:

- هذا كلام غير مفهوم!

صاحت ابنته بيغم جهان قائلة:

- مثل هؤلاء الناس مكانهم السجن.

فقال الحاج كرم الدين:

- هذا لص عجيب!

وقال خورشيد وهو ابنه الثالث الذي يعمل في المحل بلهجة غاضبة:

- أنا أعرف هذه العجوز المكارة.. فهمت.. عرفت.. من تكون!

تكلم الحاج كرم الدين ثانية، كان صوته أشبه بصوت الرعد يأتي من فوق السحاب:

- يا لها من امرأة عجيبة، تسرق فقط كيس خبز!!

كانت الكلمات الأربع الأخيرة على خلاف ما توقع الجميع، وكأن حية أصابت جميع من بالغرفة بعد سماعهم هذه الكلمات، فقد كانت تحمل في طياتها معاني خفية، تركت أثرها على أسرة الحاج كرم الدين كلها، صغيرها وكبيرها.

قال الحاج كرم الدين وهو يحاول أن يغير مجرى الحديث:

- تسرق.. كل يوم..فقط.. كيس.. خبز... واحد!!

وشدد على كلمة خبزوتوقف عندها لدرجة أن السامعين جميعا اقشعرت أبدانهم من رؤوسهم إلى أرجلهم.

استرخى الحاج كرم الدين في كرسيه ثانية، وأغلق عينيه من جديد ثم سحب "خرطوم " النارجيلة، ووضعه في فمه وبدأ صوت " الكركة" من جديد، وتصاعد دخان الطباق مرة أخرى.. بينما خرج الجميع من الغرفة في صمت وهدوء.

وفي اليوم التالي، عادت الأمور إلى طبيعتها.. لم يتحدث أحد مع الآخر بأي شيء مما حدث، لكن العجيب أنهم جميعاظلوا يفكرون في الموضوع نفسه.

كان السيد سليمان رجل الأعمال له أسهم أيضا في هذا المحل وكان ولداه يشرفان على

قسمين من أقسام المحل، في ذلك المساء التقى بمحمد دين وقد استشاط غضبا فقال:

- لقد عرفت أنها تلك العجوز التي تضع البرقع الأسود يا لها من لصة..

فنظر محمد دين إلى السيد سليمان، وكأنه ينظر إلى فراغ سحيق وقال:

- نعم..

ثم تطلع إلى السيد سليمان وسأله بصوت مملوء بمشاعر الإنسانية:

- أتدري ماذا تسرق؟

- أخبرني ولدي أنها تسرق "كيس" خبز.

فقال دين محمد:

- إنها تسرق كيس خبز.. لا علينا!

وكأن كهرباء سرت في دماغ السيد سليمان، فشعر بالخجل قليلا، ثم انفجر ضاحكا:

- صحيح.. لا علينا!

ثم أخذ يضحك ويقهقه بشكل غير طبيعي.

كانت هناك علاقات متينة تربط بين أسرة السيد سليمان التاجر الكبير وبين أسرة الحاج كرم الدين، ولهذا كانت المودة قائمة بينهم، وكان التفاهم أيضا ضروريا، لهذا فقد أدرك على الفور الموقف الذي يجب اتخاذه، تجاه سارة بيغم.

في ذلك المساء حين دخلت سارة بيغم المحل، استقبلها أصحاب المحل كالعادة بكل ترحاب، كانت ترتدي اليوم أيضا البرقع الأسود الذي غيرت الأيام من سواده فصار كالحا، كانت التجاعيد تملأ وجهها، لكنه يدل بوضوح على أن هذا الوجه كان ذات يوم جميلا جدا، لم يحاول أحد أن ينظر إليها أو يهتم بها حتى لا يلفت انتباهها.. كل ما فعلوه هو اهتمامهم العادي بمن حولها من الزبائن، بنفس الطريقة التي اعتاد عليها الجميع.

حسب العادة حين سئلت ماذا تريد؟ سألتهم عن ثمن " كيك الشيكولاته" وسألت عن ثمن الرمان القندهاري، وحين تحركت هنا وهناك تتفحص البضائع المعروضة، انشغل فجأة جميع العاملين في المحل، وكأن أمامهم أعمالا كثيرة يجب عليهم إنجازها.

استمر هذا الحال مدة ستة أشهر، لكن ذات يوم لم تأت سارة بيغم إلى المحل، شعر الجميع على الفور بغيابها، وفي ذلك اليوم دار حديث أيضا بالهاتف بين الحاج كرم الدين وبين السيد سليمان عن هذا الموضوع، وحين لم تأت في اليوم الثالث، ذهب شاه دين إلى مسكنها، وهناك عرف من إحدى العجائز أن سارة بيغم مريضة،وهي طريحة الفراش، ولهذا فهي تقيم في شقتها لا تبرحها، فرجع ليخبر الجميع بمرض سارة بيغم، وكان يشعر بالقلق والخوف الشديد من وقوع مكروه، لا يدري عنه شيئا.

ورأى محمد دين أن يتخلص من هذا القلق، فوصل إلى حل، ورغم أنه في الظاهر رجل جاف حاد المزاج لكن الأسرة كلها تتعجب من قدرته على حل القضايا والمشاكلات المعقدة .

في الليل وحين انفض الزبائن، وأُغلقت أبواب المحل صاح محمد دين بصوت عال:

- ضع ثلاثة كيلوات من الرمان القندهاري في كيس وكيلو قهوة.. جاويد!

أخرج " كيكة بالشيكولاته" من الثلاجة، وضعها بطريقة طيبة في علبة جميلة.. أنت عمر دين..!

وهكذا طلب من كل واحد منهم أن يقوم بتجهيز شيء ما.

كان أولاد الحاج كرم الدين، وأولاد السيد سليمان رجل الأعمال متعاونين متفاهمين فيما بينهم، وكانوا يدركون أفكار بعضهم ويعقلونها، ويعتمدون على بعضهم، ولهذا كانت العلاقة بينهم متينة، وهكذا فهموا جميعا على الفور قرار محمد دين، وفي دقائق معدودات في ليلة من ليالي شهر يونيو الحارة، كانوا جميعا يحملون هذه الأشياء إلى بيت سارة بيغم.. وحين دخلوا المبنى وبدؤوا في صعود السلم، وجدوا بعض الأبواب مفتوحة.. فشموا روائح متنوعة ..

حين وصلوا إلى الطابق العلوي طرق محمد دين الباب، مرت لحظات لكن الباب لم يُفتح، فطرق الباب من جديد، لكنه لم يُفتح، فارتسمت على وجوه الجميع ابتسامة واسعة.

بدأ محمد دين يقرع الباب بشدة، فانفرج الباب قليلا، فمد رأسه إلى الداخل، ومن ورائه حاول الجميع أن يمدوا رؤوسهم، لينظروا ماذا في الداخل.!!

كان هناك مجلس تتوسطه طاولة كبيرة، تحتها سجادة قديمة

من النوع الرخيص، وعلى الحائط رف وضع عليه خمسة أو ستة كتب، وفي الناحية الأخرى من الحائط علقت صورة رجل يرتدي سروالا وقميصا، ويضع على رأسه قبعة مثل قبعة محمد علي جناح مؤسس باكستان، فعرف الجميع على الفور أنه زوج سارة بيغم.

تفحص محمد دين الطاولة لآخر مرة، ثم تقدم ناحية الباب المغلق، ووقف الجميع دون أن ينطقوا بكلمة واحدة في صف واحد، كان في مقدمته محمد دين، وفي مؤخرته شاه دين، الذي كان يصغرهم جميعا، مع أنه كان من ناحية الذكاء لا يقل عن أكبر واحد في الأسرة.

قرع محمد دين الباب لفترة طويلة ولم يرد عليه أحد، فدق الباب بشدة، ومع هذا لم يرد أحد، وفي

النهاية حرك مقبض الباب، وفتح الباب ببطء شديد.. كان كل ما في الغرفة كرسي جلست عليه سارة بيغم، وهي تمسك في يدها ورقة، بينما رأسها يميل ناحية اليمين، كأنها غارقة في عالم من التفكير..

لم ينطق محمد دين بكلمة، تراجع ببطء إلى الوراء، ثم أغلق الباب وهو في حالة من اللاوعي،واتجه ناحية السلم ليعود من حيث جاء، ومع أن عدة أشخاص كانوا في الغرفة لكنهم جميعا عادوا من حيث جاؤوا في صمت، وكأنهم يتصرفون بعقلية رجل واحد، لدرجة أنهم لم يحملوا أي شيء مما وضعوه على الطاولة، ماذا أدراهم.. فربما يتحول فرحها إلى حزن؟!

نزل الجميع دون وعي على درجات السلم، كانت الدموع تترقرق في عيون شاه دين، بدأ محمد دين يحاول طمأنة ولده، فقد شعر بمدى ما اعتراه من حزن وأسى، ذلك هو شاه دين الذي عادة ما يطالع الصحف في الصباح الباكر، وهو ولد ذكي، وفطن، طالما قال عنه الحاج كرم الدين أنه سيصل إلى أعلى المراتب.

في صالة الطعام، نشر الصحيفة أمام والده، وأشار في صمت إلى عنوان مكتوب بخط واضح...

نظر محمد دين بإمعان إلى عنوان الخبر وبدأ في قراءته: (عجوز تعيش بمفردها تهب لأحبابها مئة ألف روبية) وحين طالع الخبر وقع نظره على اسم سارة بيغم فتطلع ناحية زوجته شمسة، التي كانت تقرأ الجريدة من خلفه، ولم ينطق بكلمة، لكن شمسة فهمت ما يعنيه زوجها، فذهبت لتتصل هاتفيا بالسيد سليمان رجل الأعمال، وفي غضون ساعة، تجمع الجميع، واتجهوا إلى المجلس حيث كان الحاج كرم الدين يجلس على كرسيه ويدخن نارجيلته.

فهم الحاج كرم الدين على الفور بحكم سنه وتجربته أن هناك خطبا ما، لأنه فتح كلتا عينيه عن آخرهما، وسأل محمد دين:

– ما الخطب؟!

فقرأ عليه محمد دين الخبر المنشور في الصحيفة، المتعلق بسارة بيغم، لقد وجدتها الشرطة، وقد فارقت الحياة، وفي يدها رسالة، يوصي فيها أحد أقاربها لها بمبلغ مئة ألف روبية.

قرأ محمد دين العبارة الأخيرة بلهجة ذات معنى، بينما أخذ أولاد الحاج كرم الدين، والسيد سليمان يتطلعون إلى بعضهم، فقط كان شاه دين وحده يجلس وقد لفه الصمت، واعتراه سكون عجيب، ربما لأنه كان قد قرأ الخبر كله وعرف ما فيه من قبل.

قال الطبيب بعد الفحص والمعاينة إن قلب العجوز كان ضعيفا! لهذا لم تستطع أن تتحمل شدة الفرح، الناتج عن نجاتها من حالة الفقر المدقع التي كانت تعيش فيه، وطبقا لتحقيقات الشرطة، فقد وجدت وصية كانت العجوز قد كتبتها قبل وفاتها بيد مرتعشة، كانت وصية في سطور مختصرة جاء فيها:

«أوصي بجميع ممتلكاتي في هذه الدنيا، لأسرتي الحاج كرم الدين، والسيد سليمان التي أشفقت عليّ، وحفظت عليّ كرامتي، واحترمت عجزي وتقدم عمري، حفظهم الله جميعا في أمن وأمان».

وجدت الشرطة قليلا من الأمتعة في شقة سارة بيغم، لكن حين تسلمت الشرطة مبلغ المئة ألف الروبية قامت على الفور، بتقسيمه على أسرة الحاج كرم الدين، وأسرة السيد سليمان.

وضع محمد دين الصحيفة على الطاولة، ثم خلع نظارته وأخذ ينظف عدساتها، من الدموع التي بللتها..

ساد الصمت الحجرة فترة، لم ينطق أحد بكلمة، وفي النهاية تنهد الحاج كرم الدين، وانطلقت منه آهة باردة، ثم رفع حاجبيه اللذين غطاهما المشيب، وقال بلهجة رقيقة:

– يحصدون ما يزرعون●.■

● نشرت هذه القصة بصيغتها الأوردية في مجلة أردو دانجست الأدبية ، مايو ٢٠٠٢م.

عقبة بن نافع في الشعر الجزائري الحديث والمعاصر

دلالات وجماليات

د . جمال مباركي - الجزائر

الدارس للخطاب الشعري الجزائري الحديث والمعاصر يجده يضرب في أعماق تراث بالغ الغنى والرحابة، ويبدو له متن هذا الخطاب مسكونا بذاكرة التاريخ والشخصيات الفاعلة فيه، والنصوص القديمة.

ويعد هذا دليلا على أن الشاعر الجزائري لم ينطلق من فراغ في كتابة نصوصه، بل يكتب ووراءه تراث ضخم يمتاح من كنوزه مما يغني به تجربته الشعرية، ويأخذ منه ما يشاء مما يناسب رؤاه الفنية، وفي ذلك بعث لتراث الأمة وإحياء لتلك النصوص والشخصيات كي تظل معطاءة تغترف منها المخيلة التصويرية التي تستند لمخزونها الحضاري الإبداعي والفكري، فجاءت النصوص الشعرية الجزائرية الحديثة والمعاصرة مشبعة بتلك الإشارات واللمحات الدينية التاريخية، يستلهمها الشاعر ويدمجها في خطابه الشعري لتسهم في تشكيل البنية السطحية للنص وإغناء دلالاته المتنوعة، وإثارة التداعيات في أذهان المتلقين.

ولقد استهوت شخصية عقبة بن نافع الفهري (ت ٦٣هـ، ٦٨٣م) العديد من الشعراء الجزائريين المحدثين والمعاصرين فوظفوها في أشعارهم، مما جعل روح هذه الشخصية الجهادية ترفرف فوق هذه النصوص، فكان لتوظيف هذه الشخصية دلالات فكرية ومسح جمالية يستشفها القارئ أثناء قراءته لهذا المتن الشعري، ويمكن أن نوجز هذه الدلالات والجماليات فيما يأتي:

◁◁ دلالات التوظيف:

■ الدلالات التاريخية الحضارية:

الحق أنه لا يمكن لأي دارس أن يتناول قضية أدبية ما بمعزل عن دلالاتها الفكرية ووظائفها الجمالية التي تنهض بها، بل لابد أن تصبح دراسة استدعاء الشخصيات في الشعر عملا مشتركا بين ذاكرة المبدع الحصيف والمتلقي الكفء. واستحضار شعرائنا لشخصية عقبة بن نافع الفهري تولد من إعجابهم بهذه الشخصية الجهادية، وهدفهم أن يوقظوا فينا تلك الظلال التاريخية والروابط العاطفية التي يوحي بها اسم (عقبة) نظرا لما يملك هذا الاسم من هيبة وعظمة في المخيلة الإسلامية مما يجعل الشاعر له قدرة الاستحواذ على عقول وعواطف متلقيه، يقول محمد مصطفى الغماري:

الفاتحون.... وحبي فيض نخوتهم
المطرون على أبعادنا سحبا
يستل (عقبة) أوهام الألى سكروا
بالتيه واعتنقوا الظلماء والصلبا
وطارق يصنع التاريخ ملحمة
على المحيط ويلقي الرعب والخطبا
وقيس في درنة× تزهو طلائعه
ما فارق السيف حتى زلزل القضبا
كانوا..... فأزهر في التاريخ كونهم
وأفرع الفتح في راياتهم عجبا
فكل ظامئة من ضوئهم سكرت
وكل فقر على نعمائهم صلبا [1]

فالشاعر هنا يستحضر صورا من صور البطولات العربية الإسلامية ليحيي تاريخا وحضارة ويشخص به صور الرجولة الضائعة والخذلان القائم من خلال

■ استدعاء الشخصيات في الشعر عمل مشترك بين ذاكرة المبدع الحصيف والمتلقي الكفء.

استرجاعه لرموز الفاتحين: (عقبة، وطارق، وزهير بن قيس البلوي) وهي رموز فاعلة في التاريخ الإسلامي توقظ فينا الحس التاريخي لربط الحاضر والمستقبل بالماضي الزاهر.

ويقول أيضا:

كنا الصلاة وغيرنا (ضغث) وتصدية كذابْ
الله أكبر في الجوانح لاتغيب ولا تشاب

إن يدمنوا دعوى الشبابْ فنحن يا غدنا الشبابْ
نحن الذين (بعقبة) كانوا وهم كانوا الخرابْ
سكروا بدعوى الجاهلية.. إن دعواهم سرابْ [٢]

جلي في هذا المقطع الشعري – أن الشاعر يستحضر شخصية عقبة ليبث فينا الإحساس بالحاضر وتحقيق كينونة الذات ورغائبها، والثورة على الواقع المتآكل نتيجة فقدان الأمة كيانها، وذوبانها في شخصية الأمم الأخرى.

فالشاعر يوظف شخصية (عقبة) وما تحويه من ظلال تاركا للقارئ فرصة إنتاج المعنى،لأن الشاعر يفترض في القارئ الإلمام السابق والكافي بهذه الشخصية، وهذا الافتراض يناظر منح القارئ سلطة كي يدلي بأحكام عما يمكن أن يكون قد شعر به وفكر فيه في خلال عملية القراءة [٣].

ومن أمثلة هذا التوظيف الذي يسترجع أجواء الفتح المبين عن طريق استعارة شخصية (عقبة بن نافع) قول الشاعر محمد آل خليفة:

اليوم تأخذ ثورة عن ثورة
أسمى العهود، وثائر عن ثائر
اليوم يلقى (عقبة بن نافع)
فوق الجزائر (عقبة بن عامر)
عهد العبادلة استعاد فتوحه
فالصحب فيها وارد عن صادر
وجنود (عقبة) عبر أفريقية
تطوي الفجاج بمنسم وبحافر
الله أكبر عاد عهد (محمد)
والراشدين، وباد عهد الكافر [٤]

كما نجد الشاعر مصطفى بن رحمون يستعير شخصية (عقبة بن نافع) استعارة تفيض بإيحاءات بالغة الغنى والرحابة في وجدان المتلقي. يقول:

جُلْ معي في فتوح (عقبة) وانفض
يا أخي كل ضعف ويأس
وتوجه إلى الجزائر تبصر
من معاني الفداء أروع درس
ههنا تبصر الشهادة تكسو
مهج الفاتحين أفخر لبس
وطن عطر الإله ثراه
بضحايا الفتوح من خير جنس
وبنى فيه للعروبة والإسـ
ـلام صرحا يزهى بأمتن أسّ
لم يزل من جهاد (عقبة) مزدا
نا بأزكى جنى وأكرم غرس
أمة تعشق الهدى إلى التحرير
يحدو جهادها كل حدس
رشحتها إلى الخلود مساعٍ
بوأتها للمجد أفخر كرسي [٥]

ههنا يؤصل الشاعر تجربته الشعرية عن طريق ربطها بجذورنا في تراثنا العريق، وذلك عن طريق التفاعل البناء بين الشاعر وتاريخه باستدعائه شخصية (عقبة بن نافع) واستحضاره للتاريخ الإسلامي المجيد، وهو «باستغلاله هذه الإمكانات يكون قد وصل تجربته بمعين لا ينضب من القدرة والإيحاء والتأثر ؛ ذلك لأن المعطيات التراثية تكتسب لونا خاصا من القداسة في نفوس الأمة ونوعا من اللصوق بوجدانها »[٦].

فالحس التاريخي الذي تمتع به شعراؤنا هو الذي جعلهم يوظفون شخصية (عقبة بن نافع) في إطار المفارقة التصويرية لإبراز حدة التناقض بين ماضينا وحاضرنا، من خلال مقابلة ما يمثله عقبة من انتصار ومجد وعزيمة متأججة للفتح، وما يمثله واقعنا من ضعف وانكسار وتقاعس، و هي مفارقة بين روح الجهاد المتوقدة التي كانت تضطرم بين أضلاع المجاهد القديم، وروح الهزيمة التي تسري في أوصال خلفه.

■ **الدلالة الرمزية الشعرية:**

استعارة الذاكرة الشعرية بعض الشخصيات التي لها مكانة في التاريخ العربي الإسلامي لا يأتي من قبيل توشية الكلام أو التبرك بتلك الشخصية، وإنما يأتي على سبيل الترميز والتلويح.

ويستفيد القارئ المطلع على التاريخ الإسلامي، وعلى سيرة عقبة بن نافع الجهادية بالخصوص من قراءة متن الشعر الجزائري الحديث والمعاصر، ويلمس في رمز هذه الشخصية ظلالا وارفة ودلالات كثيرة؛ لأن شخصية (عقبة بن نافع) تتحول في النصوص المقروءة إلى نص قائم بذاته يفيض بالجهاد والنبل والإيثار...

يقول مفدي زكريا:

وُهبنا العروبة جنسا ودينا
وإنا بما قد وُهبنا رضينا
إذا كان هذا يوحد صفا
ويجمع شملا رفعنا جبينا
وإن كان يعرب يرضى الهوان
ويلبس عارا....أسأنا الظنونا
فأهلا وسهلا بأبناء عم
نزلتم جزائرنا فاتحينا
ومرحى لعقبة في أرضنا
ينير الحجى ويشيع اليقينا
ويعلي الصوامع في القيروان
ويرفعها للدفاع حصونا

■ **يؤصل الشاعر تجربته الشعرية عن طريق ربطها بجذورنا في تراثنا العريق، وذلك بالتفاعل البناء بين الشاعر وتاريخه باستدعائه شخصية (عقبة بن نافع).**

مفدي زكريا

محمد العيد آل خليفة

يبث المراحل في كل فج
فراعت أساليبه العالمينا[٧]

فالشاعر في هذه الأبيات ينزع إلى إضفاء لون من الموضوعية والدرامية العاطفية على عاطفته الغنائية، واستخدام رمز (عقبة) كمعادل موضوعي لتجربته الذاتية يعيد من خلاله زخم التاريخ، ويومئ إلى تلك الخطة العسكرية غير المسبوقة التي وضعها (عقبة بن نافع) للجيش الفاتح وهو في طريقه من مصر إلى المغرب.

ويستخدم الغماري شخصية (عقبة بن نافع) رمزا للجهاد الفرض المغيب في عصرنا، خاصة والأمة مسلوبة الأرض منتهبة الثروات يقول:

بيعت بأسواق الصغار حمائل الماضي السعيد
لا سيف (عقبة) لا جياد الفتح تختصر الحدود
ماذا؟ أردة أمة للجاهلية من جديد؟ [٨]

هكذا ينتقل الشاعر من التعبير عن عقبة إلى التعبير بعقبة حيث منحها قدرة على تخطي الزمن التاريخي ليعبر به عن هموم معاصرة، وقد عبر بعقبة لإبراز نوع من المفارقة الجماعية، بين الواقع التراثي لهذه الشخصية، وبين ما آل إليه أمر الأمة في الحاضر.

■ **الدلالة الإنسانية**

لقد شب عقبة – رضي الله عنه – على الطهر والعفاف والورع، وهي صفات بقيت ملازمة له طول حياته حتى اشتهر بها بين أصحابه فقدروه لأجلها، وأكبروا ما كان يتسم به من عزة نفس [٩] وقد أولع شعراؤنا بهذه الصفات الإنسانية النبيلة، فما ذكروا عقبة في شعرهم إلا أشاروا إليها، يقول الشاعر (محمد العيد آل خليفة) في قصيدة (نشيد عقبة):

يا أرض عقبة اسلمي
من الشرور واغنمي
فأنت أرض المسلم
وداره المفضلة
بلغت م المجد المدى
وكنت مطلع الهدى
وصنت دين أحمدا
من اليد المضللة
تاريخه الماضي لنا
في السناء والسنا
وفيه تصميم البنا
للنشأة المستقبلة
عقبة ضرغامٌ هَدَمْ
بأرضنا كل صنم
ونحن عقبان القمم
على البغاة مرسلة[١٠]

لقد تغنى الشعراء بما أرساه (عقبة بن نافع) من دعائم العدل والأخوة والمحبة وهي قيم إنسانية نبيلة نسعى لتربية أجيالنا الحاضرة واللاحقة عليها.

■ **يستفيد القارئ المطلع على التاريخ الإسلامي، وعلى سيرة عقبة بن نافع الجهادية بالخصوص من قراءة متن الشعر الجزائري الحديث والمعاصر.**

جماليات الاستدعاء:

إن الشاعر عندما يلجأ إلى استدعاء الشخصيات الفاعلة في التاريخ الإسلامي المجيد إنما يفعل ذلك ليكشف للقارئ عن ماض جهادي زاهر تدعوه لسعة الاطلاع عليه، ولكي يحرك نصه من المشاعر الذاتية الضيقة إلى سعة المتعدد المنفتح على التاريخ، ومن ثمة فإن استحضار «عقبة بن نافع» أو استدعاء أي شخصية تراثية في الشعر ليس مجرد توشية أو لعبة لغوية مجانية،

بل لهذا الاستدعاء جماليات عدة ينهض بها في مجال النصوص الشعرية، ومن هذه الجماليات:

■ جماليات إثارة الذاكرة القرائية:

تعتبر عملية استدعاء الشخصيات التراثية من الوسائل الفنية التي يوظفها الشاعر ليبعث تراثه الحضاري من جديد؛ فالشخصيات المغمورة أو المهملة بفعل أيديولوجيا معينة تحيا من جديد في النصوص التي تعيد كتابتها لتؤدي رسالتها مرة أخرى.

والشاعر عندما يستدعي تلك الشخصيات في نتاجه الفني، إنما يستحضر الشخصيات التي فرضت نفسها في التاريخ الممتد عبر الأجيال والأحقاب المختلفة، أو تلك التي كانت محط إعجابه واستولت على ذاكرته، أو كانت تجارب الشخصية المستدعاة من جنس تجربته الشعرية، فالتجربة الشعرية الجهادية تستحضر رموز الجهاد،وقد تكون تلك الشخصية مناقضة لها، فيعيد الشاعر كتابتها لينفر منها كشخصية (سجاح أو مسيلمة الكذاب).

من هنا فالشاعر(مصطفى بن رحمون) رحمه الله – يقف عند قبر عقبة بن نافع ليتذكر تلك الأمجاد في قصيد مترع بالحنين فيقول:

من رحيق الخلود أترعت كأسي
وشفيت الفؤاد منها ونفسي
وتمتعت من سناها مليا
وبروحي انتشيت منها وحسي
لم أزل بالخيال والعقل والرو
ح أناجيه في وقار وهمس
فأرى من ملائك المجد أسرا
با على جانبيه تضحي و تمسي
والعلا حوله أوانس ألبسـ
ـن بروداً من سندس ودمقس [11]

فالشاعر هنا يستثير ذاكرة القارئ من خلال استحضار مختلف الظلال عن طريق التداعي الوجداني والصوري في القراءة الأولى داخل القراءة الثانية.

■ جمالية إنتاج الدلالة الجديدة:

لاريب في أن الشاعر يعيد من جديد كتابة الشخصيات التراثية والوقائع التاريخية والماضية، ويحاورها ليعبر عن واقع راهن ليستشرف مستقبلاً زاهراً «وميزة هذا النوع أنه يمنح أدوات الخلق الشعري قدرة هائلة على التوصيل بسبب توظيف المخزون العاطفي لثقافة مشتركة بين المبدع والمتلقي»[12].

والشاعر عندما يلجأ إلى توظيف تلك الشخصيات ويعقد الحوار معها لا يعيد كتابتها على نحو صامت بحيث يشير إلى تلك المزايا التي تمتعت بها الشخصية التراثية، وإنما يستحضرها ليلقي عليها كثافة وجدانية جديدة «وينتزع الحكمة من التاريخ بأسمائه المنقوشة في الوجدان الجماعي، ويوقد الحس التاريخي والرغبة العارمة في تجاوزه وتعصيره للثورة على إحباطات الواقع المهين، ويستثير المكنون في الوعي الجماعي ليتجاوز العاطفة الفردية ويعزف على الشعور في طابعه القومي الإسلامي المشترك»[13]، ومن هنا تتولد الدلالة الجديدة للنص المقروء الذي قد يكون ثائرا على بعض الشخصيات أو ساخرا منها أو مشوها لها، لينفر القارئ منها، أو مهادنا ومتغنيا بها للاستفادة منها في إطار معاصر، كأن يستدعي الشاعر شخصية (عقبة) ليشير إلى الأخوة الراسخة بين العرب المسلمين الفاتحين والبربر، ويمنحها صفة الدوام.

يقول الشاعر (عامر شارف):

وهنا استفز الدهر أعظم فاتح
بعد الفتوح تعانق الأعداء
ذا عقبة الفهري حط رحاله
إن الرحاب بطهره خضراء
اليمن والإيمان كانا راية
وهنا التقى والسادة الأمناء [14]

وقد يشحن الشاعر نصه بحمولة تاريخية ليجسد بها أحداثا وهموما معاصرة. يقول الغماري:

يا راي (عقبة).. يا خيول (محمد) (بدر) بجرح الرافضين ثبات وعلى جناح الضوء تزرع نارها فتميد ملء دمائنا الواحات [١٥]

ههنا يشخص الشاعر من خلال توظيف شخصية (عقبة بن نافع) تغريب عقول المسلمين في عصرنا، وذلك بتشويه حقائق التاريخ الإسلامي،ودس الفرقة والعداوة بينهم، وإبعادهم عن دينهم وأصالتهم.

وبذلك يكتنز النص المقروء بدلالات جديدة معاصرة، من بينها افتتان المسلمين بالفكر الغربي الدخيل وتخليهم عن الفكر الأصيل، وذلك من خلال تبنيهم للنظريات الفاسدة والفلسفات الوافدة مما يؤدي إلى ميلاد حضارة مشوهة عرجاء [١٦].

■ **جمالية الإحالة والإيجار:**

الإحالة هي الإطار المرجعي للنص (frame of référence) الذي يؤلف مجموع الخبرات والمعارف التي تعمل على تشكيل النص وفعل التلقي، وينطوي على مخزون عام من التجارب والرؤى والإشارات والمشاعر التي قد تتباعد في مسافاتها وصلتها بالواقع الحضاري، وقد تتقارب[١٧].

فالإحالة هي المرجعية التي تكتب النص وفي ضوئها يقرأ ويفهم، وقد تكون هذه الإحالة تاريخا، أو ثقافة، أو شخصيات، أو حضارة، أو نصوصا، أو علوما...وكل ماله من امتداد داخل السياقات الخارجية للنص، وهذا ما أكد عليه أحد النقاد المعاصرين حينما رأى:«أن الهدف من الشعر ليس الصورة، بل العالم والعلاقات التي تربط بين الناس...فمطلب الشعر يتفق مع مطلب الثقافة»[١٨].

وقد تنبه إليها نقادنا القدامى، فقال ابن (رشيق):« ومن عادة القدماء أن يضربوا الأمثال في المراثي بالملوك الأعزة والأمم السابقة »[١٩] .

■ **الحس التاريخي الذي تمتع به شعراؤنا هو الذي جعلهم يوظفون شخصية (عقبة بن نافع) في إطار المفارقة التصويرية لإبراز حدة التناقض بين ماضينا وحاضرنا.**

وكلام ابن رشيق عن الإحالات التاريخية فصله حازم القرطاجي فقسم الإحالة إلى أنواع:إحالة تذكرة، إحالة مفاضلة، إحالة إضافة. واشترط على الشاعر أن يعتمد على المشهور منها والمأثور « وإذا وقعت الإحالة على الموقع اللائق بها فهي من أحسن شيء في الكلام»[٢٠].

ههنا يبدو حازم متفطنا إلى جمالية الإحالة، إذا كانت من الإحالات المشهورة المأثورة التي لها صلة متينة بالواقع حتى توفر قدرا دلاليا بين الخاصة والعامة، بين الشاعر والمتلقي « يسمح بوصول الدلالة مكتملة دون اعوجاج، ويحقق الغاية الاجتماعية الأخلاقية للشعر»[٢١].

لهذه الغاية نجد شعراءنا – المحدثين والمعاصرين – قد تنبهوا إلى شخصية (عقبة بن نافع) التي يشع نورها على الكون، ويستنشق عبيرها العالم الإسلامي

في مشرقه ومغربه، فأحالوا عليها في شعرهم، واستخدموها رمزا للجهاد والنضال والنبل والطهر والعفاف... يقول الغماري:

للنور للثورة الخضراء ينتسب
يمده بالإباء الرفض والغضب
تضمه ألف ذكرى ألف أغنية
خضراء يحنو عليه النخل والعنب
نسائل الأهل يا أحبابنا امتشقوا
سيوف (عقبة) جل السيف والطلب
على ترابك يا سمعي ويا بصري
دم المجاهد بالأضواء ينسكب
على يديه اشرأب الموت قنبلة
غضبى تعانق فيه النور واللهب (٢٢)

وإذا كانت الإحالة جمالية من جماليات استدعاء الشخصيات في الشعر فإن من جماليات الإحالة الإيجاز، لأن هذه الإحالة قد تكون عبارة شعرية موجزة تحيل إلى تاريخ أو مجتمع أو ثقافة أو حضارة بكاملها، يلخصها الشاعر ويسكبها على مربعات من ورق، عن طريق ذكره لمدينة أو مكان مشهور، أو شخصية مثل شخصية (عقبة بن نافع) يستخدمها الشعراء على شكل «تلميح» أو «إشارة» تحمل في طياتها دلالات واسعة فتتحول عند القارئ إلى نص قائم بذاته ■

هوامش:

(١) مصطفى محمد الغماري، قصائد مجاهدة، ط١، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ١٩٨٨، ص ١٢٥ – ١٢٦.

(٢) الغماري، قصائد مجاهدة، ص ١٨١.

(٣) قرادة سادونيك: مفاهيم الأدب بوصفها اطرادا للإدراك النقدي « ترجمة: حسن إسماعيل، مجلة فصول، م٦، ع٤، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، ص ٣٩.

(٤) محمد العيد آل خليفة، الديوان، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ١٩٦٧، ص ١٦.

(٥) مصطفى بن رحمون، الديوان، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ١٩٨٠، ص ٤٠.

(٦) علي عشري زايد، استدعاء الشخصيات التراثية، ص١٦.

(٧) مفدي زكريا، إلياذة الجزائر، المعهد التربوي الوطني، د. ت، ص ٢٧.

(٨) الغماري، عرس في مأتم الحجاج، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ١٩٨٢، ص٩٧.

(٩) ينظر: صلاح مؤيد العقبي، القائد الفاتح عقبة بن نافع الفهري القرشي، ط١، المطبوعات الجميلة، الجزائر، د.ت، ص٤١.

(١٠) – محمد العيد أل خليفة، الديوان، ص ٥٧٨.

(١١) مصطفى بن رحمون، الديوان، ص ٤٣.

(١٢) أحمد المعداوي، أزمة الحداثة في الشعر العربي الحديث، ط١، دار الأفاق الجديدة، المغرب، ١٩٩٣، ص ٩٠.

(١٣) مصطفى بن رحمون، الديوان، ص ٤٥. لجنة الحفلات لمدينة

(١٤) صلاح فضل، نبرات الخطاب الشعري، ص١١.

(١٥) عامر شارف، إلياذة بسكرة، ط١، لجنة الحفلات لمدينة بسكرة، ٢٠٠٢، ص٨.

(١٦) مصطفى محمد الغماري، أسرار الغربة، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر،١٩٨٢، ص١٨٥.

(١٧) مصطفى بلقاسمي، الإسلامية في شعر مصطفى الغماري، ص ٢٥٧، ٢٥٨.

(١٨) ينظر، إبراهيم رماني، الغموض في الشعر العربي الحديث، ط١، ديوان المطبوعات الجامعية، ١٩٩١، ص ٣٣٣،٣٣٤.

(١٩) سعيد الغانمي، اللغة والخطاب الأدبي (اختيار وترجمة)، ط١، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ١٩٨٩، ص ١٩.

(٢٠) ابن رشيق، العمدة في صناعة الشعر ونقده، تحقيق: محمد مفيد قميحة، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٣، ص ١٨٩.

(٢١) حازم القرطاجي، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تحقيق: محمد الحبيب بن خوجة، ط١، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٩،ص ١٨٩.

(٢٢) مصطفى محمد الغماري، الم وثورة، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ١٩٨٥،ص ٤٠.

خليليَّ عُوجا ..*

النابغة الجعدي - رضي الله عنه-

خليليَّ عوجا ساعةً وتهجَّرا ... ولوما علي ما أحدث الدهر أو ذرا
ولا تجزعا إن الحياة ذميمة ... فخفا لروعات الحوادث أو قِرا
وإن جاء أمر لا تطيقان دفعه ... فلا تجزعا مما قضى الله واصبرا
ألم تريا أن الملامة نفعها ... قليل إذا ما الشيء ولى وأدبرا
تهيج البكاء والندامة ثم لا ... تغير شيئا غير ما كان قدرا
لوى الله علم الغيب عمن سواءه ... ويعلم منه ما مضى وتأخرا

تذكرت والذكرى تهيج لدى الفتى ... ومن حاجة المحزون أن يتذكرا
ندامايَ عند المنذر بن محرق ... أرى اليوم منهم ظاهر الأرض مقفرا
كهولا وشبانا كأن وجوههم ... دنانير مما شيف في أرض قيصرا
أولئك أخداني مضوا لسبيلهم ... وأصبحت أرجو بعدهم أن أُعمرا
وما عمري إلا كدعوة فارط ... دعا راعيا ثم استمر فأدبرا

ومهما يقل فينا العدو فإنهم ... يقولون معروفا وآخر منكرا
وإنا أناس لا نعوِّد خيلنا ... إذا ما التقينا أن نحيد وننفرا
وننكر يوم الروع ألوان خيلنا ... من الطعن حتى نحسب الجون أشقرا
فما وجدت من فرقة عربية ... كفيلا دنا منا أعز وأنصرا
وأسرع منا إن أردنا انصرافه ... وأكثر منا دارعين وحُسَّرا
بلغنا السما مجدا وجودا وسؤددا ... وإنا لنرجو فوق ذلك مظهرا

ركبت الأمور صعبها وذلولها ... وقاسيت أياما تشيب الحَزوَّرا
وطوفت في الرهبان أعبر دينهم ... وسيرت في الأحبار ما لم تسيرا
وما زلت أسعى بين باب ودارة ... بنجران حتى خفت أن أتنصرا

تبعت رسول الله إذ جاء بالهدى ... ويتلو كتابا كالمجرة نيرا
وجاهدت حتى ما أحس ومن معي ... سهيلا إذا ما لاح ثم تغوّرا
ولا خير في حلم إذا لم يكن له ... بوادر تحمي صفوه أن يكدرا
ولا خير في جهل إذا لم يكن له ... حليم إذا ما أورد الأمر أصدرا

* أجمع الرواة على أن النابغة الجعدي - رضي الله عنه- أنشد هذه القصيدة بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأن رسول الله أعجب بها، وأثنى على صاحبها ودعا له ، وهذا وحده يبوئها مكانا رفيعا في الشعر الإسلامي في عصر النبوة . (معلقات الشعر في عصر النبوة ، جمع أحمد الجدع ، دار الضياء للنشر - عمان - الأردن ، ص ٦١ - ٧٨ .

إياك والأمانيّ..*

الحسن البصري

قيل: أحضر النضر بن عمرو – وكان واليا على البصرة – الحسن يوما فقال: يا أبا سعيد، إن الله عز وجل خلق الدنيا وما فيها من رياشها وبهجتها وزينتها لعباده. وقال عز وجل: ﴿ ... وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾ (الأعراف). وقال عز من قائل: ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ... ﴿٣٢﴾ (الأعراف) . فقال الحسن: أيها الرجل! اتق الله في نفسك، وإياك والأماني التي ترجَّحت فيها فتهلك، إن أحدا لم يعط خيرا من خير الدنيا ولا من خير الآخرة بأمنيته، وإنما هي داران، من عمل في هذه أدرك تلك، ونال في هذه ما قدر له منها، ومن أهمل نفسه خسرهما جميعا.

إن الله سبحانه اختار محمدا صلى الله عليه وسلم لنفسه، وبعثه برسالته ورحمته، وجعله رسولا إلى كافة خلقه، وأنزل عليه كتابا مهيمنا، وحد له في الدنيا حدودا، وجعل له فيها أجلا، ثم قال عز وجل: ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ... ﴿٢١﴾ (الأحزاب)، وأمرنا أن نأخذ بأمره، ونهتدي بهديه، وأن نسلك طريقته ونعمل بسنته، فما بلغنا إليه فبفضله ورحمته، وما قصرنا عنه فعلينا أن نستعين ونستغفر، فذلك باب مخرجنا، فأما الأماني فلا خير فيها، ولا في أحد من أهلها،

فقال النضر: والله – يا أبا سعيد – إنا على ما فينا لنحب ربنا. فقال الحسن: لقد قال ذلك قوم على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأنزل الله تعالى عليه: ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ ... ﴿٣١﴾ (آل عمران)، فجعل سبحانه اتباعه صلى الله عليه وسلم علما للمحبة، وأكذب من خالف ذلك. فاتق الله –يا أيها الرجل– في نفسك. وأيم الله! لقد رأيت أقواما كانوا قبلك في مكانك يعلون المنابر. وتهتز لهم المراكب، ويجرون الذيول بطرا ورياء الناس، يبنون المدن، ويوثرون الأثر، ويتنافسون في الثياب، أخرجوا من سلطانهم، وسلبوا ما جمعوا من دنياهم، وقدموا على ربهم، ونزلوا على أعمالهم، فالويل لهم يوم التغابن! ويا ويحهم يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه، وصاحبته وبنيه، لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه!

---

* كتاب الزهد للحسن البصري، ص١٦٣-١٦٤، جمع وتحقيق د . محمد عبدالرحيم محمد، نشر دار الحديث، القاهرة.

الإبداع الشعري في ديوان العشماوي

نقوش على واجهة القرن الخامس عشر الهجري

عبد الله بن علي الأنصاري - السعودية

لم أكن من محبي الشعر ولا قرائه ولا المستمعين إليه، بل كنت أرى أن الشعر مضر بالأمة العربية على طريقة أصحاب الغذاء عندما يقولون «مضر بالصحة». وعندما ركبت مع صاحبي ذات يوم سيارته سمعت شريط شعر فقلت له: يا أخي، لا أحب الشعر فالشعر أحلام وأوهام، والأمة العربية شبعت من الأحلام والأوهام. قال لي: أطلب منك الاستماع هذه المرة لهذا الشريط ثم أترك لك الحكم، فرضيت بما قال.

كان إلقاء رائعا وصوتا جميلا يأسر القلب. يا إلهي: أهذا هو الشعر الذي يقولون؟! وسرحت مع الشاعر ومع القصائد الرائعة ومع الإلقاء الأروع، شاعر يطرب ويبث في النفس الحزن والأمل، يكثر من نداء أمة الإسلام.. يردد في معظم قصائده –يا أمتي– يا أمة الإسلام – يا أمة الحق... نداءات رائعة...هنا مد صاحبي يده لإغلاق آلة التسجيل فصرخت به: لا.. دعها، قال لي ضاحكا: هل أعجبك الشعر؟ قلت له: ليس هذا بالشعر، هذا سحر، هذا صعود بالروح إلى الأعلى!!. وتحدث لي صاحبي عن هذا الشاعر الذي استطاع في لحظة واحدة أن يجعلني أحب الشعر حبا كبيرا. إنه عبد الرحمن العشماوي.. شاعر إسلامي سعودي يتألق..يبدع، يلقي الشعر فيأسر القلب، المعاني راقية، والعبارات جميلة، والصور الشعرية ممتعة.. عبدالرحمن العشماوي صوت شعري متميز في هذا العصر.. وأدخلني صاحبي إلى عالم الشعر العشماوي البديع، فصاحبي لا يفوته ديوان شعر لهذا الشاعر، ولا شريط كاسيت أو فيديو ولا قصيدة تنشر في صحيفة أو مجلة، ولا لقاء يجري مع العشماوي في الصحف أو التلفزيون أو الفضائيات، نعم أدخلني صاحبي إلى عالم العشماوي وأهداني ديوانه يا أمة الإسلام، فما أعظم الهدية! عشرات المرات قرأته، وحفظت معظم قصائده.

إنه ديوان أمة الإسلام...وبدأت أعتني بالشعر الإسلامي وتابعت بعض أعداد مجلة الأدب الإسلامي.. وكتبت بعض الانطباعات عن ديوان نقوش على واجهة القرن الخامس عشر الهجري. الذي أهداني إياه صاحبي المحب للعشماوي الشاعر الإسلامي الكبير.

صمت هذا الزمان نطق مبين
حين يقسو على الفتى ويلين
تتوالى الأيام تحصد أجيالا
وتفنى معاقل وحصون

هكذا يبدأ الديوان، بأبيات رقيقة معبرة عن الزمان، ومادام الديوان نقوشا على واجهة القرن الخامس عشر الهجري. فالأنسب أن يتحدث عن الزمان. نعم الزمان الذي ندور في فلكه في هذه الحياة إلى أن نفنى ويأتي غيرنا:

نحن نسعى إلى الرغائب سعيا
وبنا للفناء تجري السنون؟

إنمـــا الـعـمـر مـركـب يطلب
الـنـاس عـلـيـه المـنـى وفـيـه المنون
ســنـوات مـضـت ومـــازال قـوم
في مـتـاهـاتـهـم ومـــرت قـــرون.

في هذا الديوان يجد القارئ قصيدة عنوانها «قضي الأمر» أظن الشاعر كتبها حينما كانت تلك الزيارة المشؤومة لأول رئيس عربي إلى القدس مطلعها:

كـان غـنـمـا فـكـيـف أصـبـح غـرمـا
وشـفـاء فـكـيـف أصـبـح سـقـمـا
أيـهـا المـقـتـفـي طـريـق الأعـــادي
ورمـــا قـد رأيـتـه لـيـس شـحـمـا

ومنها:

أيـهـا الـلاهـثـون خـلـف الأعـــادي
هـل سـتـبـنـون أم تـريـدون هـدمـا
كـم رفـعـتـم مـن الـشـعـارات لكن
لم تـزل تـلـكـم الـشـعـارات وهـمـا
الـشـعـارات لا تـوحـد صـفـا
والخـــلافـــات لا تحـقـق حـلـمـا

الميزة التي وجدتها في شعر شاعرنا الإسلامي الكبير عبد الرحمن العشماوي صدق التعبير، وإشراق الكلمة، وشيوع الحكمة، والانفراد بروح شعرية خاصة تجعله مختلفا عن غيره، وتدعوك إلى الإعجاب به حتى وإن اختلفت معه أحيانا.

وقد جمعني صاحبي الذي أدخلني إلى عالم العشماوي الشعري ببعض الحداثيين الذين تخالف مدرستهم مدرسة العشماوي الشعرية،فوجدتهم يحترمونه جدا، ويعترفون بإبداعه الشعري رغم الاختلاف بينهم وبينه، بل إن أحدهم قال: أنا دائما أردد قول العشماوي:

تـرى الـعـين مـالا يـريـد الـفـؤاد
ويـبـغـي الـفـؤاد الـذي لا تـرى

يـريـد الـفـؤاد مـكـان الـثـريـا
ولا تـلـمـح الـعـين إلا الـثـرى
ألا أيـهـا الـقـلـب هـذا زمـان
يـبـاع الـكـريم ولا يـشـتـرى

نعم، الشاعر العشماوي يعجبك ويطربك، وهو لا يرضيك دائما، بل ربما كان سببا في إغضابك، ولكنه مع ذلك يظل ينال منك الإعجاب، في ديوان «نقوش».. قصيدة عن زلزال «ذمار» الذي وقع في اليمن قبل عشرين عاما تقريبا مطلعها:

بمـن ألـوذ ومـن أشـكـو لـه حـالي
سـواك يـا ربُ في حـلّـي وتـرحـالي

أوغلت في درب أحلامي فكم تعبت
رجلي، وكم شكت الأحلام إيغالي
بنيت لي في دروب العمر أروقة
من الخيالات لم تخطر على بال
ذمار واجهة التاريخ ترمقها
عين الزمان بإكبار وإجلال
في أرضها وقف التاريخ منبهرا
يروي حكايات أذواء وأقيال

ويتساءل الشاعر على لسان أحد أبناء ذمار:

ذمارُ، ماذا جرى هل أنت عاشقة
أهذه لهفة في صدرك الغالي؟!
أهذه زفرة المشتاق أرسلها
فؤادك المبتلى في شكل زلزال؟!

ويقول موغلا في تصوير مأساة ذمار:

بالأمس ألمح فيها زهو مملكة
واليوم ألمح فيها ذل أطلال
بالأمس تنشد للأفاق أغنية
واليوم تقرأ نعي الأهل والآل
بالأمس ترفع للآفاق جبهتها
واليوم تمضغها أشداق زلزال
ذمار، مازالت المأساة تلجمني
ماذا أقول وهل تجديك أقوالي؟!

هكذا يكون الفن الشعري، يحمل معه المتذوق إلى عالم آخر، يرسم أمامه صورا ملونة بألوان العاطفة الشعرية الصادقة.

في قصيدة بوح وشكوى التي أشار الشاعر إلى أنها كتبت في ١٤٠١هـ، في الرياض، يتجه الشاعر إلى ربه فيقول:

إلهي من سناك قبست نوري
وأنبت المحبة في ضميري
فقيرا جئت بابك يا إلهي
ولست إلى عبادك بالفقير
غني عنهمُ بيقين قلبي
وأطمع منك في الفضل الكبير
إذا لم أستعن بك يا إلهي
فمن عوني سواك ومن مجيري؟!

الديوان روضة شعرية بديعة، وهو واحد من دواوين أخرى للشاعر فيها من الفن الشعري الإسلامي ما يصلح أن يكون نقشا على واجهة الأدب الإسلامي في هذا العصر■

الأنس بالرحمن

محمد صالح الخولاني
اليمن

أتاك من أسفاره مجتهدا
يخطو بأثقال تروع المدى
يا مجري السحب ثقالا إلى
صحراء جرداء طواها الردى
ويا مسيل النبع من صخره
ويا منادىً ذاب فيه الندا
يا محيي الموت ويا واصلا
للورد في قطر الندا موعدا
يا واهب الدنيا سنا روحها
كي لا يضيع النور فيها سدى
يا فالق الإصباح تجلو به
دنيا تعاليت بها مفردا
رقرق سنا نورك في روحه
حتى يرى في الليل نور الهدى

أوغلت في درب أحلامي فكم تعبت
رجلي، وكم شكت الأحلام إيغالي
بنيت لي في دروب العمر أروقة
من الخيالات لم تخطر على بال
ذمار واجهة التاريخ ترمقها
عين الزمان بإكبار وإجلال
في أرضها وقف التاريخ منبهرا
يروي حكايات أذواء وأقيال

ويتساءل الشاعر على لسان أحد أبناء ذمار:

ذمارُ، ماذا جرى هل أنت عاشقة
أهذه لهفة في صدرك الغالي؟!
أهذه زفرة المشتاق أرسلها
فؤادك المبتلى في شكل زلزال؟!

ويقول موغلا في تصوير مأساة ذمار:

بالأمس ألمح فيها زهو مملكة
واليوم ألمح فيها ذل أطلال
بالأمس تنشد للأفاق أغنية
واليوم تقرأ نعي الأهل والآل
بالأمس ترفع للآفاق جبهتها
واليوم تمضغها أشداق زلزال
ذمار، مازالت المأساة تلجمني
ماذا أقول وهل تجديك أقوالي؟!

هكذا يكون الفن الشعري، يحمل معه المتذوق إلى عالم آخر، يرسم أمامه صورا ملونة بألوان العاطفة الشعرية الصادقة.

في قصيدة بوح وشكوى التي أشار الشاعر إلى أنها كتبت في ١٤٠١هـ، في الرياض، يتجه الشاعر إلى ربه فيقول:

إلهي من سناك قبست نوري
وأنبت المحبة في ضميري
فقيرا جئت بابك يا إلهي
ولست إلى عبادك بالفقير
غني عنهمُ بيقين قلبي
وأطمع منك في الفضل الكبير
إذا لم أستعن بك يا إلهي
فمن عوني سواك ومن مجيري؟!

الديوان روضة شعرية بديعة، وهو واحد من دواوين أخرى للشاعر فيها من الفن الشعري الإسلامي ما يصلح أن يكون نقشا على واجهة الأدب الإسلامي في هذا العصر■

الأقصى بالروح بالدم

محمد صالح الخولاني
اليمن

أتاك من أسفاره مجتهدا
يخطو بأثقال تروع المدى
يا مجري السحب ثقالا إلى
صحراء جرداء طواها الردى
ويا مسيل النبع من صخره
ويا منادىً ذاب فيه الندا
يا محيي الموت ويا واصلا
للورد في قطر الندا موعدا
يا واهب الدنيا سنا روحها
كي لا يضيع النور فيها سدى
يا فالق الإصباح تجلو به
دنيا تعاليت بها مفردا
رقرق سنا نورك في روحه
حتى يرى في الليل نور الهدى

هموم امرأة موظفة

ابتسام شاكوش - سورية

أم جابر صديقتي، تنتظرني في مزرعتها، دعتني مع مجموعة من الصديقات لنمضي يوم العطلة بين تفاصيل الطبيعة، مصطحبات أولادهن، أما أولادي فقد تزوجوا وحملوا هموم بيوتهم بعيدا عن بيتي، سأمضي هذا النهار في المزرعة، هناك حيث كل ورقة تسقط عن غصنها، وكل مزقة غيم تعبر فوق كف الريح الباردة، تذكرنا بأن الله عظيم.

ستحضر سعاد ووداد وفاطمة، وأخريات، سنترك الأولاد يتراكضون ويمرحون بعيدا عن أسوار المنازل ونظام المدارس، وننشغل نحن بما يسرنا، سيمتلئ الجو مرحا، هذه الرحلة لا ينبغي أن تفوتني، أنا المحتاجة دوما للخروج من رتابة الحياة، محتاجة لما يزيح عن خاطري هذا الوزر الزائد من المشقة.

مازلت مترددة، هل ألبي دعوتها؟ أتراني أستطيع الاندماج في حديث النسوة ومرحهن؟ أتراني قادرة على الخروج من قوقعة همّي، مستعدة للقيام بواجبي من المهمات التي تنتظرني لتحضير غداء خاص اتفقنا على كيفية إعداده، سنأكله بعيدا عن جدران الأبنية الطابقية المقيتة، بعيدا عن النوافذ المحجوبة بستائر تضاهي الجدران صفاقة وظلاما، سنتناول طعامنا هناك، مقتعدات التراب ملتصقات بالطبيعة، منعتقات من كل مظاهر التهذيب المصطنع والنفاق الاجتماعي.

وأعود لأسأل نفسي: أتراني أستطيع؟ الأستاذ فادي يملأ ساحة فكري منذ ظهر الأمس، ينفرش ظله على كل دقائق ساعتي وثوانيها، يقتحم علي تأملاتي، أحاول إبعاده عن مجرى همومي، أحاول البحث عن حلول لمشكلتي معه، لا أصل إلى شيء، لا أحد ممن أثق بهم يملك تجربة في هذا الميدان ليرشدني، بمن أستعين؟ ليس سوى الله أبتهل إليه وأطلب منه عونا.

بعد جولات عصبية في جنبات بيتي الصغير أجلس مقابل التلفاز، أتابع برنامجا وأتساءل: أهذه نشرة الأخبار؟ وأكتشف أني أمام برنامج اقتصادي يشرح حركة السوق المحلية والدولية، قلت لنفسي: سأتابعه علني أفهم شيئا مما يدور

حولي ويحاول إغراقي في تياره، جلست صامتة،الصور تتحرك على الشاشة وعقلي يتحرك بعيدا في مكان آخر، انتبهت إلى الشاشة، وجدت صورا تتحرك بلا صوت، لراقصين وراقصات،متى انتهى عرض البرنامج الاقتصادي؟ أأنا من أغلق مفتاح الصوت؟ متى؟

وعاد الأستاذ فادي من جديد، يجتاح ساحة خيالي،، هذا المدير الجديد يقارب في عمره أصغر أولادي، لكنه مدير، ويشتغل خيالي ليعيد مشهدا حدث عصر هذا اليوم، وقف أمام مكتبي، انحنى بوجهه قبالتي، تراجعت بجذعي للخلف، لكني ما غضضت الطرف حياء، لا، فلست في موقف يتطلب حياء، بل لبثت أتفرس في ملامحه، أراقب التماعة عينيه وارتعاشة أنفه، بلطف وتهذيب لا يليقان بأمثاله! همس:

– يا آنسة...

لم أجب، بل واصلت التحديق في وجهه منتظرة منه البوح..

– تعالي نتفاهم.

– وهل اختلفنا لا سمح الله؟ هل بيني وبينك سوء تفاهم؟ أجبت بتهكم!

– أجل..

– حول ماذا؟

سألته متغابية، كأني لم أسمع ما نقله لي بالأمس صديقه يوسف، وكأني لا أعلم أن يوسف ذاك نقل إليه ردة فعلي مضيفا الكثير من الملح، ومن الفلفل. اصطبغ وجهه بحمرة الغضب كمن تلقى صفعة مفاجئة، هرب منه الكلام فترك المكان محترقا بنيرانه، ابتسمت في سري، هذه جولة رابحة، لكن المعركة لم تنته بعد، بدأت استعدادي للجولة القادمة.

أمر نزهتنا في المزرعة حسم منذ أيام، ما عاد بوسعي الاعتذار لمثل هذا النهار السعيد، لابد لي من تحضير زاد للرحلة، يداي تشتغلان بتحضير الزاد، وذاكرتي تستحضر الأستاذ فادي،القلق يشملني ببردة الخوف،مصدر رزقي في خطر، وهذا المدير الغامض جاء إلينا مدعوما من حيث جاء، عالما بأن مؤسستنا البعيدة عن المركز، أرض خصبة للرشوة والسرقات، واعدا نفسه ومن دعموه باستخدام ذكائه في طاقته القصوى، للعودة ظافرا في وقت قصير.

عاد إلي بعد ساعة والغضب يحرق أدمة وجهه، حاول كظم غيظه، تلطف كثيرا في مخاطبتي، فرش راحتيه على الطاولة أمامي وانحنى بجذعه.

مرة أخرى تراجعت مجفلة، وتركت نظري يطوف بين تفاصيل المشهد، رقبته النحيلة تنبت من فوق نحره تمتد وتتلوى كجذع دالية، مانعة بركان الكلام البعيد عن التهذيب من الانفجار في وجهي، ربطة عنقه العريضة جدا، استراحت على كومة الأوراق أمامي، خلتها لسانا آخر نفر من حنجرة الأستاذ وتدلى ليلهث تعبا،من كثرة اللف والدوران حول فكرة أراد إيصالها لي وسد غبائي عليه كل طريق،فما عاد لديه من الوسائل سوى مخاطبتي بالكلام المقشر، بعد كثير من التلميح عن الفروق الشاسعة بين جيلنا المتمسك بأخلاق أبلاها الزمن، وجيلهم الطموح، المستعجل على بناء الثروة والوصول إلى قمة المجد:

– يا آنسة ..!

بقيت صامتة..

– الناس هنا يتناولون سيرتك بالسوء، وأنا لم أجد ما أدافع به عنك.

– من كلفك بالدفاع عني؟ أرح نفسك واتركهم يثرثرون، سيسكتون حين يعدمون الرد، وسأسامحهم.

– يقولون إنك غبية ، لكني لا أسخو بك، لا أعتقد أنك كما يقولون

– أنت حر فيما تعتقد

مرة أخرى خرج من الغرفة اتقاء الانفجار، ردودي الباردة الغبية تكاد تقتله، أتراني انتصرت في هذه الجولة أيضا؟ النتيجة لم تظهر بعد، والأستاذ ما زال يناور، في هذه اللحظة جاءني مواطن يسأل عن أوراقه، دققتها له، وضعت عليها إمضائي، سألني: كم تريدين؟ هنا دخل الأستاذ فادي مرة أخرى، وقد

اتخذ قراره، لكنه فوجئ برؤية الرجل فوقف منتظرا خروجه.

قلت للرجل: أوراقك هذه تسير في دائرتنا مجانا (ببلاش)، لو طلب منك أحدهم نقودا فقل له: إن الآنسة أوصتني ألا أدفع.

سألني: وأجرتك؟

قلت له: إن أجرتي أقبضها مرتبا من المؤسسة في بداية كل شهر.

كان الأستاذ ينقل النظر بيني وبينه بعينين توشكان على الخروج من وقبيهما، تؤازرهما كل عضلات الوجه في التشنج.

قبل هذا المواطن جاء مواطنون آخرون، أوصيتهم بمثل ما أوصيته، لكنهم عادوا إلي بأوراق رفض الأستاذ فادي وضع خاتمه عليها (ببلاش)، أخذتها منهم، واقتحمت مكتبه، ختمت لهم الأوراق بيدي، ثم وضعتها أمامه مشيرة إليه أن ضع توقيعك هنا! ما كان يملك الاعتراض، مد يده بالقلم، وببطء محتضر يتنازعه الموت والحياة، وضع توقيعه، أخذت الأوراق، سلمتها لأصحابها وعدت لمكتبي.

- اسمعي...بصراحة.. أنت تقطعين رزقي في هذه المؤسسة وتسببين لي المشاكل مع الإدارة ومع المواطنين، الناس هنا صاروا يعرفون – على يديك - حقوقهم، ويعرفون كيف يعترضون على مطالبي، اسمعي، أنا أحترم قدمك في الوظيفة، لذلك سأعطيك مهلة حتى آخر الشهر، شاوري نفسك، إما أن تتصاعي لرأي المجموعة وتعملي كما نعمل جميعا، ويكون الخير لك ولنا، وإما أن أقترح على الإدارة نقلك إلى منطقة نائية، أنت موظفة متعبة، عنصر نشاز،لا حاجة لنا بك هنا..!

- أنا القديمة هنا في هذه المؤسسة وأنت الجديد..

- أنا المدير وأنت موظفة عندي...

- في الحقيقة يا سيدي المدير، هذا ذنب أبي، لقد أخطأ في تربيتي خطأ فادحا لا يغتفر، لم يعلمني السرقة ولا علمني التسول، والأفظع من هذا وذاك، أنه رباني وأنفق عليّ من ماله الحلال، لم يعلمني اقتناص المال الحرام لبناء الثروة، لذلك تراني أتعامل مع مراجعي المؤسسة بهذا الغباء، سأعود إلى أبي لأحاسبه على تقصيره، وحين يعلمني أبي اللصوصية أو التسول سأعود إليك عودة المنتصر، سأضم يدي إلى يدك، لنبني لكل منا ثروة ما استحقها أبي ولا أبوه من قبله...

هي جولة من معركتي معه،هذا المدير يختلف عمن سبقوه، أعرف أن له يدا طولى، أعرف أن له أعوانا داخل المؤسسة وخارجها، أعرف أنه قادر على تنفيذ ما توعد به، وأنا مالي من معين سوى الله، أرسلت نظرة ضارعة إلى السماء ودعوت: اللهم اكفنيهم بما شئت!.

الحافلة التي ستنقلنا إلى المزرعة أطلقت أبواقها في الشارع، لبست حجابي، لحقت بها وأنا أمني النفس بجلسة للتأمل، أرقب فيها بزوغ القمر ■

لمن نحمل الرصاص

قراءة في قصص جهاد الرجبي

سمير أحمد الشريف – الأردن

«لمن نحمل الرصاص»، مجموعة الأديبة جهاد الرجبي القصصية، الصوت الجريء الذي آثر أن يقول في زمن الصمت أشياء كثيرة ويلامس موضوعات ساخنة داخلا في عوالم تألمنا لغيابها عن كتاباتنا الأدبية.

الانتفاضة، هذا الفعل الذي لم يرصد أدبيا بهذه الجرأة، وظلت حبيسة اللقطة التلفزيونية الخجلى في عيون من يحلمون بانتصار يأتي من شعاع كاميرات التصوير أو هدير الميكروفونات، في الوقت الذي يحاصر أدب الأرض المحتلة حتى لا يرى الناس صدى ما يحدث مكتوبا بالدم وأزيز الرصاص ونزيف الجراح، بأقلام من عايشوا الأحداث نبضة نبضة.

أتاحت هذه المجموعة رصد الشارع الفلسطيني ونبضه بعيدا عن تزييف الإعلام.

وفي حين قصر الأدب المعاصر عربيا في التعبير عن حرارة الانتفاضة وظل أسير الدهشة، حاولت جهاد الرجبي ملأه فنجحت بدرجة عالية.

مجتمع السجون داخل المحتل من وطننا له نصيب حيث استنبطت الكاتبة من خلاله هموم السجناء ومشاعر ذويهم، ووقفت على أحقر الأساليب التي ابتدعتها آلة صهيون لتعذيب المناضلين.

في «لمن نحمل الرصاص» وقفة طويلة تصور المجتمع الفلسطيني من الداخل ترصد تماسكه واختلافه بموضوعية وصدق، إضافة لتكثيفها الشديد لحالة التردي التي يعيشها بنو صهيون.

ومما أبدعت فيه القاصة حديثها عن الانتفاضة برؤية أجنبية، وعبر الصحافة العالمية التي أظهر الكثير من أعضائها انحيازا للعدالة في قضيتنا.

عالم موار هذا اقتحمته «جهاد الرجبي» وقضايا كثيرة طرحتها، ملامسة ما أصاب الناس من تبدل إزاء عملية السلام، وتعريضها من ثم بصحافة الأبواق التي تمنع حرية الرأي، مشيرة إلى الداخل، بسبب ما اعترى بعض جوانبه من اختلافات.

امتلكت القاصة قدرة على الحوار الذي كان مسهبا ومباشرا في بعض المواقف، متفوقة على نفسها في توظيف نهايات مفتوحة لقصصها التي أعطت أكثر من معنى فاحترمت عقولنا، وتركت المجال أمامنا واسعا لإعمال الفكر وصولا لما توحي به القصة:

«في اليوم التالي كان محمد يعطي ظهره للسجن، كان الذين يخرجون من السجن يستعيدون خطواتهم إلا محمدا، فقد أبقى خطواته بباب السجن وسار بلا قدمين (ص٢٥)و..» طالت طريق عبد الجبار، تعدى نقطة المراقبة، لم يشعر به أحد، لم يكن يحمل غير سلاحه، بعض الرصاص ورسالة قديمة تحمل وجه محمد (ص٣٥) اختيار الأسماء كان موفقا، فقد حملت هي الأخرى دلالات تاريخية موحية.

وعلى الرغم من أن أجواء النصوص تنهل من معين الغربة والإحساس الدائم بالفقد، إلا أن بعض القصص امتلكت خيطا من الأمل والسخرية الناقدة، مما أضفى على النص روحا مرحة:

...عندما أعود إلى الوطن سأجعل منصورا يشتري لك قميصا جديدا.

وإذا لم نعد؟...

بسيطة، نعمل من هذه الأمتار القليلة دولة وسيرسل اليهود إلينا بقية المواطنين «(صـ٤٤)و...» أخشى أن يفلت الوطن من بين أصابعي ! عندما اعتقلوني كانت زوجتي تعاني من الطلق، أخسر عمري كله يا أبا أحمد وأعرف ماذا أنجبت زوجتي.

– إما بنتا أو ولدا، وكلاهما لن ينفعك بشيء ص٤٧ .

ولما كان موضوع السلام هو الأكثر سخونة، فقد كان للمجموعة فيه رأي، وإن حاولت القاصة تصوير مختلف الآراء، فإن انحيازها للجهاد واضح بين:

صاح أحد الجالسين بسخرية:

– غدا نعود لبلادنا، وربما تعود الدنيا كما كانت ! الحياة تلتفت لمن خلفها!!

لن نحصل من السلام إلا على صفحة سوداء أخرى في تاريخنا....

ما معنى سلام تتنازل في سبيله عما هو لك؟

السلام أن تشتري الدم بالدم.

إن صنع السلام للأغبياء دولة، فلن أكون مواطنا فيها (ص١٤١).

خارج دنيا السياسة ودنيا الاعتقال والانتفاضة، تحدثت نصوص «الرجبي» عن عوالم الطفولة باستخدام الجملة الشعرية والصور الموحية:..... وجوه رسمها التعب، عيون مشتعلة بالدمع...

«لمن نحمل الرصاص»، للقاصة «جهاد الرجبي» – القلم الذي غيبته الشللية ووصلنا من خارج الحدود، استطاع أن يقول كلمته ويسمع صوته للذين أغرقوا في محيطات الكلام المشوه والادعاءات الكاذبة.

هذه المجموعة، كما هي كل البدايات فيها الوضوح والعفوية والفكر، وفيها النبرة العالية والانفعال الحاد والعبارات النارية. ومهما قيل تظل الانتفاضة أجمل القصائد وستبقى في مقدمة كل النصوص الإبداعية.

ولئن كان هذا الفن هو طريق الوضوح في تناول الأشياء العميقة والعويصة والمتشابكة على خلاف ما يدعيه بعض المحرومين من الإبداع النقدي ممن يرون في الأدب وسيلة معقدة لقول الأشياء الواضحة أو السهلة، فإن «جهاد الرجبي» قد حققت بمجموعتها شرطنا هذا بتميز، ويكفيها أنها بعملها هذا أضاءت لنا طريق تحرير الأرض وكشفت عن أعيننا بعد رحلة طويلة، قضاها البعض متخبطا، فعلمتنا طريق الخلاص ■

أمانة الكلمة عند المبدع المسلم

د . صالح أبو عرّاد - السعودية

عضو هيئة التدريس بكلية المعلمين في أبها

إهداء:

- إلى الذين يؤمنون بالله تعالى رباً،وبالإسلام ديناً، وبمُحمد صلى الله عليه وسلم نبياً ورسولاً.
- إلى من يؤمنون برسالة الإنسان المُسلم المُبدع في كل مجالٍ من مجالات الحياة، وكل فنٍ من فنون الإبداع، وكل ميدانٍ من ميادين العلم والمعرفة.
- إلى من يحكمون على مُجريات الأمور بعقولهم الواعية، ويُحاربون الهوى في نفوسهم الضعيفة.
- إلى من قالوا خيراً فغنموا، أو سكتوا عن شر فسلموا.
- إلى من يؤمنون ويُصدّقون بقوله تعالى: ﴿ وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِراً وَلا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَداً ﴾.

أقول: الحمد لله القائل: ﴿ مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾ ﴾ (سورة قّ). والصلاة والسلام على نبينا ومعلمنا وقائدنا وقدوتنا محمد بن عبدالله الذي صحّ عنه أنه قال: " وهل يكُبُّ الناس في النار على وجوههم أو على مناخرهم إلاّ حصائدُ ألسنتهم " (رواه الترمذي، الحديث رقم ٢٦١٦، ص ٥٩٠). أما بعد؛

فأقدّم - مستعيناً بالله وحده - هذه الكلمات الموجزات حول أمانة الكلمة عند المُبدع المسلم قائلاً:

من العجيب أن نكون محاسبين عندما نسكت، ولكن الأعجب من ذلك أن نكون محاسبين عندما نتكلم؛ وما ذلك إلا لأن " الكلمة بما أودع الله فيها من الأسرار والتأثير، وبما هيأ الله لها من القبول في نفوس البشر، ذاتُ فعلٍ عظيم وخطير، قد يبلغ حد السحر، فتسحر أعين الناس، وتموّه الواقع، ولاسيما حين تتجلى في معارض التأثير والخصومة؛ إذ تصور الحق باطلاً والباطل حقاً، أو تجعَلُ مطيةً يبلُغُ بها الدعيُّ، حين يعجز عن ركوبها العييّ " (١: ١١).

من هنا فإن تعاليم وهدي ديننا الإسلامي الحنيف، وتعاليم وتوجيهات تربيته الإسلامية توجب علينا أن نُحاسب أنفسنا قبل أن نُحاسب، وأن نُراقب الله تعالى

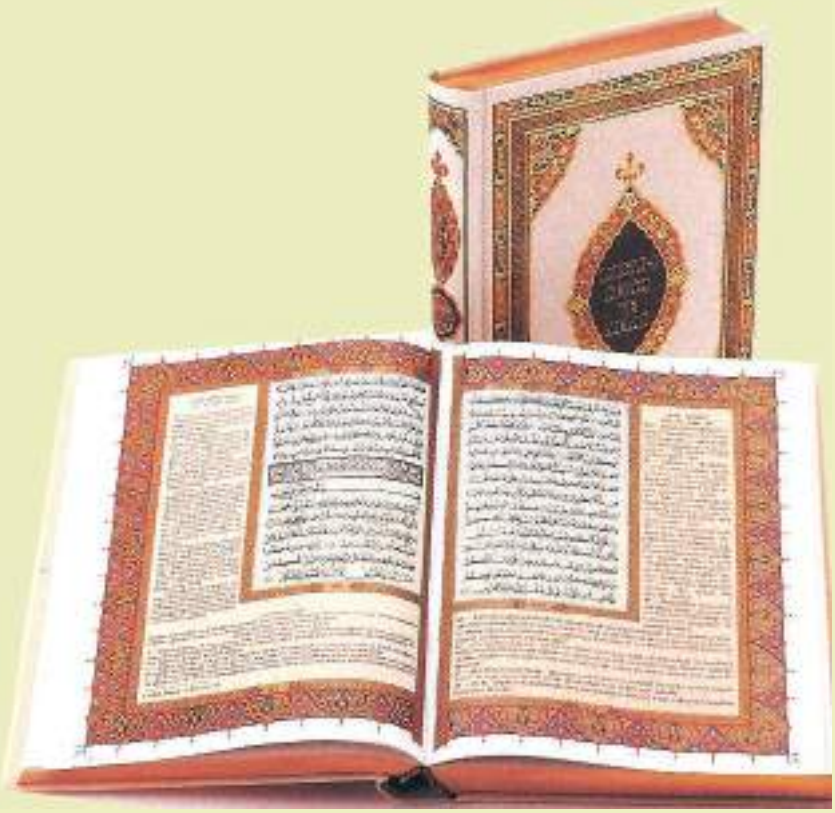

في كل قول أو عمل أو نية، وأن يكون هدينا في ذلك قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ (سورة الأنعام).

ولهذا فقد حث ديننا الإسلامي الحنيف، ودعت تربيته الإسلامية السامية إلى أن يلتزم الإنسان المُسلم في قوله - على وجه الخصوص - بالهدي الرشيد والقول السديد الذي قال فيه تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ (سورة الأحزاب). وأن يحذر من سيّئ القول وفاحش الكلام تحقيقاً لقوله تعالى: ﴿ لا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ ... ﴿١٤٨﴾ (سورة النساء).

وما ذلك إلا لعظيم شأن الكلمة التي يقول فيها أحد الكُتّاب: " ستظل الكلمة شمساً تضيء أو ناراً تحرق.. وهي مصدر هداية أو غواية، وأداة هدم أو بناء، وينبوع سعادة أو شقاء، ونذير حرب أو بشير سلام، وريح إيمان أو وسوسة شيطان، ودعوة فضيلة أو إغراءٌ برذيلة " (٦: ٧٢).

وإذا كانت الكلمة المنطوقة أو المكتوبة تمثل أهم أدوات الإبداع، فإن مهمة المبدع أياً كان نمط إبداعه أو مجاله أو ميدانه، أن يجعل من محاولاته الإبداعية وبيانه اللفظي أو الكتابي سحراً حلالاً يدعو إلى الفضيلة، ويُحذّر من الرذيلة، ولاسيما أن " كل أداء (أو عمل أدبي) تقبله الأذواق السليمة، ولا ينعكس أثره السيئ على الأخلاق، ولا يُثير الغرائز الحيوانية؛ يُعدُ من الأدب المقبول، وإن لم يكن في خدمة الدين المُباشرة والمُنقطعة " (٢: ١٧).

وما ذلك إلا لأن أمانة الكلمة تفرض على المبدع المسلم أن يكون إبداعه نظيفاً طاهراً زكياً، لأنه ينطلق من نفس سوية زكية، ويُعبّر عن مشاعر حية فياضة زاخرة بكل معاني الحب الصادق، ويلتقي مع عناصر الفطرة السليمة السوية التي قال فيها الحق تبارك وتعالى: ﴿ فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ﴿٣٠﴾ (سورة الروم).

من هنا فإن على المبدع في أي فن أدبي أن يحمل هم تبليغ الآخرين بالحق، مع الاحتفاظ بكل مقومات إبداعه الإيجابية الكفيلة بتقويم السلوك الخاطئ، ومُعالجة الأخطاء المُشاهدة؛ فإن لم يكن ذلك ممكناً فلا أقل من أن يحذر الإساءة إلى المُتلقي الذي أرعاه سمعه، وبخاصة أننا مُحاسبون عن كل ما نقوله أو نتلفظ به. وفي هذا الشأن يقول الدكتور / سعد أبو الرضا: " إن الأدب بلاغٌ مثل الرسالة يصدع بها الرسول، فيجب أداء البلاغ بطريقة لا تتجاوز عقيدةً ولا تُغفلُ سلوكاً إسلامياً" (نقلاً عن ٣: ٣٣).

وإذا كانت الكلمة كما يقول أحد الباحثين " أمانةٌ قبل أن تكون بياناً، ولذلك كانت جهاداً كما كانت جمالاً " (١: ١١)؛ فقد علّمنا معلم الناس الخير من خلال الكلمة أن نحرص من منطلق الإيمان على المنطق السديد والقول الرشيد؛ فإن لم يكن ذلك كذلك، فلا أقل من الصمت مصداقاً لما صحّ عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: ".. ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل

خيراً أو ليصمت " (رواه البخاري، الحديث رقم ٦١٦٣، ص ١٠٦٩).

وهنا يبرز أثر التربية الإسلامية في هذا الشأن حيث إن النبي الكريم - عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم - حثنا في هديه التربوي العظيم على تجنب السيئ من القول، فإن لم يكن ذلك مُمكناً؛ فلا أقل من الستر وتجنب المُجاهرة بالمعاصي؛ وهو ما يؤكده الحديث الصحيح عن سالم بن عبد الله قال: سمعتُ أبا هريرة رضي الله عنه يقول: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول:

■ إن على المبدع في أي فنٍ أدبي أن يحمل هم تبليغ الآخرين بالحق، مع الاحتفاظ بكل مقومات إبداعه الإيجابية.

" كل أُمتي معافىً إلا المُجاهرين " (رواه البخاري، الحديث رقم ٦٠٦٩، ص ١٠٥٩).

والمعنى أن الدين الإسلامي وتربيته الإسلامية تُحمّل المبدع المسلم شاعراً كان أو قاصاً أو كاتباً أو باحثاً أو مُترجماً أو ناقداً أو دارساً أو غير ذلك " مسؤولية الكلمة التي يكتبها أو ينطقها، لما لها من أثر في نفوس وتوجهات المُتلقين " (٥: ٧٥)؛ فلا كفر ولا فسوق ولا كذب ولا اختلاق، ولا تبذُل ولا انحلال، ولا إسفاف ولا مجون، ولا فضائح ولا شذوذ، ولا انشغال بما لا فائدة منه ولا نفع فيه؛ لأن أمانة الكلمة تفرض على المبدع المسلم أن " يُنزّه قلمه ولسانه عن أن يخرج على الناس بعمل أدبي ليس من ورائه غايةٌ جادةٌ أو هدفٌ مُثمر؛ لأنه يحرص علىً ألّا يضيع جهده وجُهد قارئيه عبثاً دون فائدة. لذلك فهو لا يكتب إلا بعد أن يسأل نفسه عدة أسئلة:

لماذا أكتب؟ وماذا أكتب؟ وكيف أكتب؟ ولمن أكتب؟ " (٥: ٧٧).

وفي هذا المعنى يقول الشاعر العربي المُسلم الذي - لا شك أنه - استشعر أمانة ومسؤولية الكلمة:

وما من كاتبٍ إلا سيفنى
ويُبقي الدهر ما كتبت يداه
فلا تكتب بكفك غير شيءٍ
يسُرك في القيامة أن تراه

إن أمانة الكلمة عند المُبدع المسلم تفرض عليه أن يعتز أولاً بهويته المُسلمة المُتميزة في نظرتها للكون وللإنسان وللحياة، وأن يحذر ثانياً - كل الحذر - من الانجراف المقصود أو غير المقصود مع تلك التيارات والمذاهب الفكرية الوافدة من الشرق أو الغرب، البعيدة كل البعد عن مقومات الإبداع الأصيل الجميل الجليل الذي يسمو بالإنسان فكراً وروحاً وسلوكاً.

وكم هو مؤسفٌ ومؤلمٌ أن يتخلى بعض المبدعين المسلمين عن هويتهم الإسلامية، ومبادئهم الكريمة، وأخلاقهم الفاضلة انسياقاً وراء هوى النفوس الأمّارة بالسوء، أو انجرافاً مع بريق التيارات المُنحرفة، أو انبهاراً ساذجاً بما يُسمى (النظريات الفنية، أو المذاهب الإبداعية، أو المدارس المعاصرة) التي انخدع بها البعض من أبناء الإسلام في عصرنا؛ فكانت النتيجة المؤلمة مُتمثلةً في " صدور بعض أدبائنا عن نظرات غريبة، بعيدة عن الأخلاق والعفة في علاقة الرجل بالمرأة، وتبنيهم نظرات الكشف والعُري، وتضخيم جانب الجنس على حساب العواطف الأخرى، مُتابعين بعض فلاسفة أوروبا وشعراء الجنس فيها، مخالفين في ذلك قيمنا وأعرافنا وطبيعة أمتنا " (٤: ٦٦).

إن أمانة الكلمة عند المبدع المسلم تعني الفهم الحقيقي لطبيعة تلك الكلمة؛ فالكلمة الطيبة تختلف - بلا شك - في طبيعتها عن الكلمة الخبيثة؛ وإذا كان الله - جل في عُلاه - قد حسم ذلك الأمر في كتابه العزيز

بقوله تعالى في بيان طبيعة الكلمة الطيبة: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ﴿٢٤﴾ (سورة إبراهيم)، وقوله تعالى في بيان طبيعة الكلمة الخبيثة: ﴿ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ ﴿٢٦﴾ (سورة إبراهيم)؛ فإنه - جل جلاله - يُبيّن الغاية من ذلك بقوله سبحانه: ﴿ ... وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ (سورة إبراهيم).

وهنا يحضرني قولٌ جميلٌ، ومُبدعٌ، ومُنصفٌ في هذا المعنى لأحد الكُتّاب جاء فيه قوله:

" هذا الفهم لطبيعة الكلمة وقيمتها، لا يعني الحجر على التعبير، أو التضييق على أرباب البيان، فالدين متينٌ لا يضيقُ بحاجات الإنسان الفطرية، وميله الطبيعي إلى اللهو البريء.. والدين كما أن فيه (العزائم) فيه (الرُخص). ومساحات التعبير مُشرعةٌ وواسعةٌ كما هو المُباح الفقهي بالنسبة للمُحرم الفقهي " (١: ١١).

وختامًا أقول: أما و قد علمنا أن من الخطأ السكوت عندما ينبغي الكلام، وأنه لا ينبغي أن نتكلم حينما يكون الصمت أنفع، فإن النفوس المؤمنة بالله تعالى، المتشبعة بهَدي القرآن الكريم والسنة المطهرة، والألسن الصادقة المُبدعة التي تخشى الله تعالى وتتقيه، تحيا بين هذا وذاك حياةً عمليةً شاملةً، وتتمثل أمانة الكلمة في كل شأنٍ من شؤون هذه الحياة، وكل جزئية من جزئياتها؛ ولاسيما في (أزمنة الفتنة) التي نحتاج فيها أن نُبدع في معرفة متى يكون الكلام، ومتى يكون الإمساك عنه، وأن ندير الدفة في شتى فنون الإبداع بمهارة وحكمة.. فهل لنا أن نفعل ذلك؟؟!!

إن أمانة الكلمة - أيها الأحباب - مسؤوليتنا جميعاً، وهي تفرض علينا أن نستشعر بحق عِظم هذه الأمانة التي تستوجب أن يتواءم سلوك المثقف والمُبدع المُسلم وواقعه التربوي العملي، مع الفكر والثقافة التي يدعو إليها ويؤمن بها في قوله وعمله وفكره.

وختاماً / أسأل الله العلي القدير أن يوفقني وإياكم لجميل القول، وصالح العمل، وأن يكتب لنا التوفيق والسدّاد، والهداية والرشاد، والحمد لله رب العباد ■

الهوامش:

● صحيفة الجزيرة - السعودية - ١٥ جمادى الآخرة ١٤٢٨هـ الموافق ٣٠ يونيو ٢٠٠٧م، العدد ١٢٦٩٨.

١- أحمد آل مريع. (١٤٢٥هـ). المُباح اللفظي.. المُباح الفقهي. المجلة الثقافية. العدد (٥٩). السنة (٢). صحيفة الجزيرة. الرياض: مؤسسة الجزيرة الصحفية. الإثنين.٢٨ ربيع الأول ١٤٢٥هـ.

٢- حسن بن فهد الهويمل. (١٤٢٦هـ). النص الهادف تربيةٌ وتهذيب. صحيفة الجزيرة. العدد (١١٩٥٤). الثلاثاء ١٤ جمادى الأولى ١٤٢٦هـ الموافق ٢١ يونيو ٢٠٠٥م.

٣- محمد أحمد حمدون. (١٤٠٧هـ / ١٩٨٦م). نحو نظرية للأدب الإسلامي. ضمن إصدارات المنهل رقم (٧). جدة.

٤- محمد عادل الهاشمي. (١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م). في الأدب الإسلامي تجارب.. ومواقف. دمشق: دار القلم.

٥- محمود شاكر سعيد. (١٤١٣هـ). في الأدب الإسلامي. الرياض: دار المعراج الدولية للنشر.

٦- نجيب الكيلاني. (١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م). آفاق الأدب الإسلامي. ط٢. بيروت: مؤسسة الرسالة.

بقوله تعالى في بيان طبيعة الكلمة الطيبة: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ﴿٢٤﴾ (سورة إبراهيم)، وقوله تعالى في بيان طبيعة الكلمة الخبيثة: ﴿ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ ﴿٢٦﴾ (سورة إبراهيم)؛ فإنه - جل جلاله - يُبيّن الغاية من ذلك بقوله سبحانه: ﴿ ... وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ (سورة إبراهيم).

وهنا يحضرني قولٌ جميلٌ، ومُبدعٌ، ومُنصفٌ في هذا المعنى لأحد الكُتّاب جاء فيه قوله:

" هذا الفهم لطبيعة الكلمة وقيمتها، لا يعني الحجر على التعبير، أو التضييق على أرباب البيان، فالدين متينٌ لا يضيقُ بحاجات الإنسان الفطرية، وميله الطبيعي إلى اللهو البريء.. والدين كما أن فيه (العزائم) فيه (الرُخص). ومساحات التعبير مُشرعةٌ وواسعةٌ كما هو المُباح الفقهي بالنسبة للمُحرم الفقهي " (١: ١١).

وختامًا أقول: أما و قد علمنا أن من الخطأ السكوت عندما ينبغي الكلام، وأنه لا ينبغي أن نتكلم حينما يكون الصمت أنفع، فإن النفوس المؤمنة بالله تعالى، المتشبعة بهَدي القرآن الكريم والسنة المطهرة، والألسن الصادقة المُبدعة التي تخشى الله تعالى وتتقيه، تحيا بين هذا وذاك حياةً عمليةً شاملةً، وتتمثل أمانة الكلمة في كل شأنٍ من شؤون هذه الحياة، وكل جزئية من جزئياتها؛ ولاسيما في (أزمنة الفتنة) التي نحتاج فيها أن نُبدع في معرفة متى يكون الكلام، ومتى يكون الإمساك عنه، وأن ندير الدفة في شتى فنون الإبداع بمهارة وحكمة.. فهل لنا أن نفعل ذلك؟؟!!

إن أمانة الكلمة - أيها الأحباب - مسؤوليتنا جميعاً، وهي تفرض علينا أن نستشعر بحق عِظم هذه الأمانة التي تستوجب أن يتواءم سلوك المثقف والمُبدع المُسلم وواقعه التربوي العملي، مع الفكر والثقافة التي يدعو إليها ويؤمن بها في قوله وعمله وفكره.

وختاماً / أسأل الله العلي القدير أن يوفقني وإياكم لجميل القول، وصالح العمل، وأن يكتب لنا التوفيق والسدّاد، والهداية والرشاد، والحمد لله رب العباد ■

الهوامش:

● صحيفة الجزيرة - الرياض - ١٥ جمادى الآخرة ١٤٢٨هـ الموافق ٣٠ يونيو ٢٠٠٧م، العدد ١٢٦٩٨.

١- أحمد آل مريع. (١٤٢٥هـ). المُباح اللفظي.. المُباح الفقهي. المجلة الثقافية. العدد (٥٩). السنة (٢). صحيفة الجزيرة. الرياض: مؤسسة الجزيرة الصحفية. الإثنين.٢٨ ربيع الأول ١٤٢٥هـ.

٢- حسن بن فهد الهويمل. (١٤٢٦هـ). النص الهادف تربيةٌ وتهذيب. صحيفة الجزيرة. العدد (١١٩٥٤). الثلاثاء ١٤ جمادى الأولى ١٤٢٦هـ الموافق ٢١ يونيو ٢٠٠٥م.

٣- محمد أحمد حمدون. (١٤٠٧هـ / ١٩٨٦م). نحو نظرية للأدب الإسلامي. ضمن إصدارات المنهل رقم (٧). جدة.

٤- محمد عادل الهاشمي. (١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م). في الأدب الإسلامي تجارب.. ومواقف. دمشق: دار القلم.

٥- محمود شاكر سعيد. (١٤١٣هـ). في الأدب الإسلامي. الرياض: دار المعراج الدولية للنشر.

٦- نجيب الكيلاني. (١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م). آفاق الأدب الإسلامي. ط٢. بيروت: مؤسسة الرسالة.

يا أطفال العالم: اتحدوا..!

د . سعد دعبيس - مصر

«إلى أطفالنا الذين ذبحوا في أعيادنا.. في بغداد والقدس..!
وإلى ما تبقى من ضمير العالم..!»

صوت من أطفال القدس :

لا تحزني.. يا أم.. إن طلع النهار.. بلا ضياء..!
وأطل وجه العيد.. مختنقا.. خريفيَّ الرواء..!
الشمس في الآفاق.. تطويها أعاصير البكاء..!
والليل في القدس الحزينة سد أبواب السماء!

صوت من أطفال بغداد :

يا إخوة القدس الحزينة :
لن تغيب الشمس.. لن يغتالها ليل الفناء..!
إن يذبحوا الأطفال في بغداد
إن أمست جراح الشمس تفهق بالدماء..!
إن يقتلوا المرضى..
ويغتالوا العجائز في الصباح وفي المساء..!
إن يحرموا الأطفال في الأعياد
من مرح الطفولة والبراءة والنقاء..!

إن يجعلوا الأعياد.. لهوا للمذابح
والمشانق.. بالضحايا والأبرياء..!
أو يصبح السجن الرهيب
هو التحررَ والتقدمَ والرخاء..!
إن يهتكوا الأعراض
ثم يقال : تحرير النساء !
إن يصنعوا.. بجماجم الأطفال كأسا
إن يخنقوا.. في الأفق شمسا..!
إن يغرسوا.. ليل المذابح
أنجما سوداء.. تعول.. في الفضاء..!
كيما.. تهيم الشمس في الآفاق
شلاء الضياء...!
مهما استبد الليل بالآفاق
واغتالوا منارات المحبة والصفاء..!
لن يخنقوا.. شمسا.. بنور الله
تسطع في السماء..!

■ ■ ■

صوت من أطفال القدس :

العيد.. إعصار.. وموتى.. في المقابر
والخلاء..!
الغاصب المحتل.. لم يترك لنا.. بيتا..
نلوذ به.. إذا عصف الشتاء..!
العيد.. أطلال المنازل..
نحن.. في برد الشتاء.. بلا كساء أو
غطاء..!
يا من يعيش العيد.. أفراحا
ترفرف بالسعادة والغناء..!
إنا نسائلك الإجابة عن سؤال
قبل أن تلقى الذي نلقاه.. في ليل الشتاء..!
إنا نسائل :
كيف تقضي العيد رقصا
بينما الأطفال في بغداد
والقدس الحزينة
ترقص الأشلاء منهم
في أعاصير التعاسة والشقاء..؟؟
يا من يعيش العيدَ.. هل أدركت معنى :
أن يهيم الطفل.. في ليل الشتاء

ولا يرى.. إلا المقابر والدماء..!
لا أم تحضنه.. لا بيت يؤويه
سوى الإعصار والموتى..
وجوع الليل.. في برد الشتاء..!
الصمت.. يغتال المدينة.. لا نشيد ولا غناء..!
لا بسمة فوق الشفاه.. ولا صلاة ولا دعاء..!
الحزن عملاق رهيب سد أبواب السماء..!

■ ■ ■

صوت من أطفال العالم :
المجد للأطفال والزيتون [1]
يا أحبابنا الأطفال في قلب العراق..!
والفجر آت.. يا عراق
الفجر آت.. يا عراق
المجد للأطفال والزيتون.. للشادين ألحان المحبة والصفاء..!
الساكبين قلوبهم شمسا..
إذا تاهت.. منارات الضياء..!
المجد للشادين لحن الحب
لا.. لمعابد.. يعوي بها ليل الفناء..!

■ ■ ■

صوت آخر من أطفال العالم :
الفجر آت يا عراق
وإن طغى ليل التمزق والفراق..!
وملاحم الأمطار.. حبلى
بالعواصف والزلازل والصواعق
يا عراق..!
الفجر آت.. يا عراق
الفجر آت.. يا عراق
لن يخنقوا.. شمسا.. بنور الله تسطع في العراق..!

■ ■ ■

صوت آخر من أطفال العراق :
أنشودة الأمطار[2].. في الآفاق
تسكب لحنها الثوري.. من دمها المراق..!
أمطار دجلة ظامئات
للرعود والاحتراق..!
وبكاء واحات النخيل.. يثير أحزان العراق..!
وعواصف الثوار حين تهب
ترعد.. فجأة.. دون اتفاق..!
مطر هنا.. مطر هنا.. مطر هنا
متدفق يجتاح ليلا طال
في أرض العراق
طوبى.. لأمطار العراق.. إذا التقى طوفانها
بالقدس.. ما أحلى.. إذن هذا العناق..!

(١) عنوان ديوان للشاعر العراقي عبدالوهاب البياتي.
(٢) إشارة رمزية إلى قصيدة الشاعر العراقي بدر شاكر السياب (أنشودة المطر).

إلى زوجة تاجرة ·

د. عبد الحكيم الأنيس – دبي

أريـدك فاتنة ساحرةْ ... لها نفس النضرة الطاهرةْ
تـقـوم عـلـى بيتها حـرةْ ... وتمسي على شأنه ساهرةْ
تربي العقول على منهج النـ ... ـبـي وسـنـتـه الـزاهـرةْ
وتخرج للناس من عزمها ... رجـالاً لهم عزمة باهرةْ
لعمركِ أنت شعاع الهدى ... بهذي الحياة إلى الآخرةْ
ولـكـنـنـي بـت أبـصـر في ... ملامحك البضة الناضرةْ
تجاعيد همٍّ وغـمٍّ وفي الـ ... ـثنايا شكايتك الظاهرةْ !
وتلك هموم التجارة والـ ... معاناة من صفقة خاسرةْ
فـإن شئت كُفّي فـإني لها ... أروض مصاعبها القاهرةْ
وعودي إلى البيت في عزةْ ... تـظـلـين نـاهـيـة آمـــرةْ
لعل بـريـق الجـمـال يعو ... د وترجع نظرتك الآسرةْ
إذا كنت – سيدتي – تاجرا ... فما حاجتي بعد للتاجرةْ؟!

● ختمت بهذه القصيدة حلقتين من الحديث عن «المرأة والتجارة وضوابط عملها في التجارة» في برنامج «الضاربون في الأرض» على قناة دبي الاقتصادية .

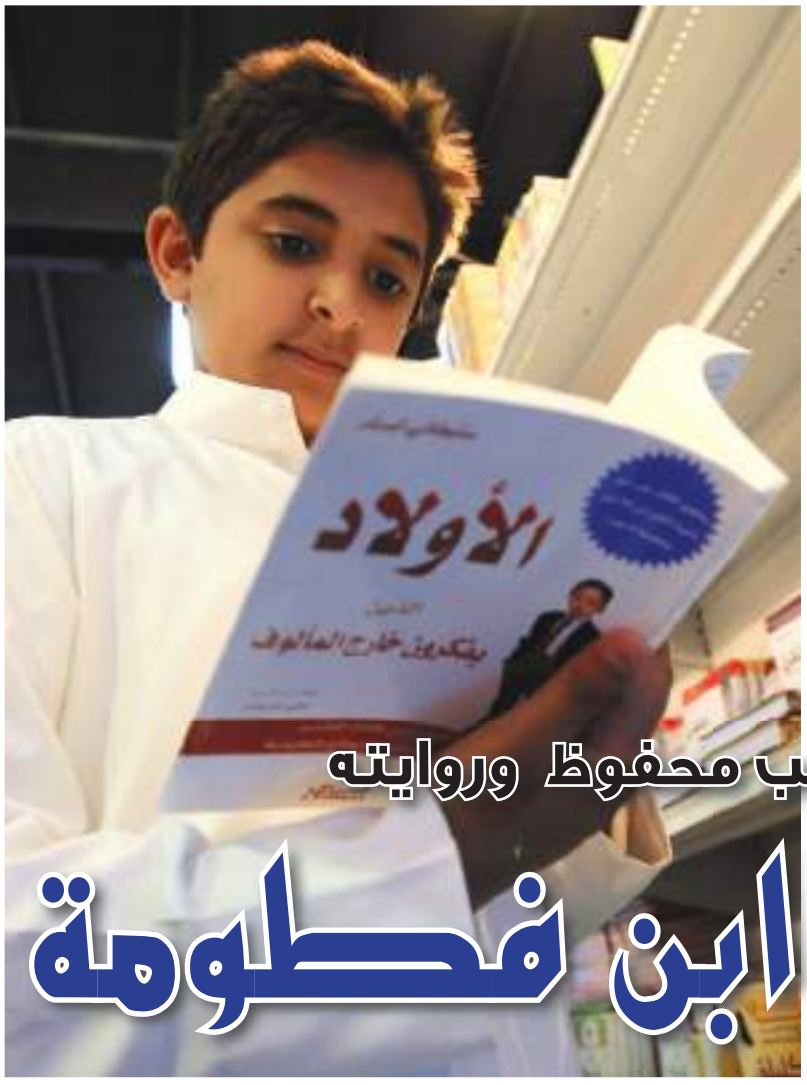

كان لفوز الكاتب نجيب محفوظ بجائزة نوبل للأدب عام ١٩٨٨م/١٤٠٨هـ هزة قوية في الساحة الثقافية، وتأثرت بها بطبيعة الحال ثقافة الأطفال، وكان من أبرز المهتمين بالكاتب نجيب محفوظ الكاتب عبد التواب يوسف الذي قدّم لأدب الأطفال إسهاما طيّبا غزيراً لا يخلو من مجازفات وأخطاء، ومن أخطائه الترويج لنجيب محفوظ وأعماله.

وقفة مع نجيب محفوظ وروايته

رحلة ابن فطومة

محمد بسام ملص - الأردن

لقد اهتم الكاتب عبد التواب يوسف بالكاتب نجيب محفوظ اهتماًما كبيرا، فدعا أولاد الأمة ليقرؤوا ثلاثيته (بين القصرين ـ قصر الشوق ـ السكرية)[١] وأعماله الأخرى بقلب وعقل مفتوحين بسبب قدرتها على التأثير بالجمال والصدق والقيم التي تحويها [٢]، فلا بد لهم أن يقرؤوا أعماله قراءة للتفكير[٣].

لا يُخفي الكاتب عبد التواب يوسف إعجابه الشديد بالكاتب نجيب محفوظ، فيصرّح قائلا: " كان نجيب محفوظ (أمامي) دائما رسالته تنوير وتثقيف"[٤]. وقد خصّ الكاتب يوسف روايته " رحلة ابن فطومة " بدفاع قوي مشيداً بها: " وقد أدانا عمل روائي رائع هو " رحلات ابن فطومة " إذ ذهب الرجل في رحلات

إلى بلاد الأدغال، ثم إلى بلدان الحرية الغرب. ثم إلى أرض « العدالة ». يعني الدول الشرقية. ووجد أن لديها ما هو أفضل مما لدينا نحن في ديارنا: ديار الإسلام، كان صاحبها يقول لنا: استيقظوا.. اصحوا.. أفيقوا.. ورأى بعضهم فيما يقوله نقدا حادا لحالنا ومآلنا، وأصبح العمل ضده، بدلا من أن نتنبه لما يقول، ويحذرنا منه.. أدانوه به، مع أنه يديننا لأنه يريد لنا اليقظة.. ونريد لأنفسنا السبات العميق والهروب، لا المواجهة.. " [٥].

لقد ورد هذا الدفاع المستميت في مقالة للكاتب عبدالتواب يوسف نشرتها مجلة " الأدب الإسلامي " في العدد السابع عشر، والتي نقدّرها لمكانتها ولكونها المجلة المتخصصة الفريدة في بابها والتي تسعى إلى إبراز الأدب الإسلامي وكتّابه، وبذلك تكون غير مسبوقة في ريادتها.

اللافت للانتباه في المقالة المذكورة أنها تتناول كثيرا من اهتمامات كاتبها يوسف عبدالتواب، حفظه الله ورعاه وهداه للخير، بالأدب الإسلامي ورؤيته له وإسلامياته إضافة إلى ما ذكره عن رواية الكاتب نجيب محفوظ " رحلة ابن فطومة ".

◂◂ الكاتب نجيب محفوظ..

نتناول في هذا الباب رواية الكاتب نجيب محفوظ " رحلة ابن فطومة " كما نطل إطلالة سريعة موجزة على بعض أعماله حتى نتعرّف رؤيته وتوجهاته.

◂◂ مع رواية " رحلة ابن فطومة ":

ذكر الكاتب عبدالتواب يوسف أن الرواية عمل رائع، فصاحبها يريد لنا اليقظة، وقد رأى أن في ديار الآخر أفضل مما عندنا في ديار الإسلام [٦].

تدور حوادث الرواية التي صدرت عام ١٩٨٣م/١٤٠٣هـ) حول شاب اسمه قنديل نشأ نشأة إسلامية حسنة في ديار الإسلام، ولكنه يضطر إلى تركها بعد أن يتعرّف واقع الديار القاسي، يتركها بحثا عن الحكمة والدواء الشافي ليعالج بهما أمراض واقعه في ديار الإسلام.

لقد تعرّض قنديل لمِحن على المستوى الذاتي والعام، فترك الديار وهو يقول: " خانني الدين، خانتني أمي، خانتني حليمة، ألا لعنة الله على هذه الدار الزائفة " [٧].

إنه " يرى سيف الجلاد وهو يضرب الأعناق، وكل فعل جميل أو قبيح يستهل باسم الله الرحمن الرحيم " [٨]، وتزدحم الطرقات بالفقراء والجهلة والمظلومين[٩]، والحاكم لا يحسن التصرف [١٠]، والإسلام قابع في الجوامع لا يتعداها إلى الخارج [١١]. وإن افترضنا جدلا أن نية الكاتب نجيب محفوظ تجاه الأمة حسنة، وأن ما كتبه يتسق مع الواقع الذي يعيشه قنديل، فإننا نخالفه في قوله: إن الدين يخون الناس وإن صورة الواقع مظلمة إلى هذا الحد، فالأدب يبني ولا يهدم، وله رسالة، ولكن ليس على طريقة الكاتب.

ومع ذلك سنجاري الشاب قنديل ورؤيته إلى حد بعيد، ونرقب بحذر الحكمة التي يريد أن يأتي بها والعلاج الشافي لأمته وقد تحلل من معتقده وانسلخ عن قيمه.

لقد أرسل الكاتب بطل روايته قنديل إلى بلاد جديدة تمثّل القيم التي يريدها حقا دواءً لديار الإسلام، فما هي تلك البلاد وما قدّمته لقنديل من توجهات ورؤى؟

◂◂ دار المشرق:

في هذه الديار يرى قنديل الجنس مباحاً والناس عرايا يجتمعون في " ليلة البدر " (ألا تذكّرنا هذه بليلة القدر وقد اختارها الكاتب هزءاً وسخرية بها؟!) ويرتكبون

الفواحش في حضور كاهنهم [١٢]، ويشاركهم قنديل فجورَهم ولا يبدي استنكارا، وقد هيأه الكاتبُ لهذا [١٣]، ويُجري الكاتبُ حواراً بين قنديل وكاهن الدار: " في دارنا يأمرنا الله بغير ذلك! " عرفت أشياء عن داركم، عندكم الزواج وكثيرا ما يتمخّض عن مآس مؤسفة، والناجح منه يستمر بفضل الصبر، كلا يا صاحبي، حياتنا أبسط وأسعد. فتساءلتُ بقلق: ـ قد تزهد المرأة عندكم في رجلها وهو ما زال مقيما على حبها؟ النساء كثيرات، والسلو يسير، كل متاعبكم تجيء من الحرمان " [١٤].

وينسى قنديل رسالته التي خرج من أجلها وهو يعيش حمأة الشهوة ببساطة وقد أصبحت مثل الهواء والماء والغذاء لا يمكنه أن يستغني عنها [١٥]. وهذا تأكيد من الكاتب على أن الجنس أساس السلوك البشري، وأن إيمان المسلم ينهار أمام الشهوة.

وعندما يسأل الحكيم: " هل ترون إلهكم؟ "، يجيب قنديل: " إنه فوق العقل والحواس "، فيرد الحكيم قائلا: " إذن فهو لا شيء " [١٦]. ويرضى قنديل بواقع دار المشرق وقد آمن به [١٧]، فالإله هناك لا يتدخل في شؤونها، ويترك أهلها يعبثون كما يشاؤون. هكذا أصبح ولاء قنديل للدار، وعندما تحرّك في نفسه إيمانُه بعقيدته جرّ ذلك عليه الويلات وطُرد من الدار، وهذه رسالة من الكاتب تؤكد على أن الإسلام يجر المصائب على معتنقيه.

دار الحيرة:

فيها يؤمن الناس بدين يكون ملكه إلهاً [١٨]، ويثني قنديل على حاكم دار الحيرة فإنه يراه إلها عادلا [١٩]، ويتذكر ما يحدث في دار الإسلام: حروب تنشب بين أناس على دين واحد يدعو للتوحيد والأخوّة [٢٠]، وقصد الكاتب هنا إزالة بقايا إيمان قنديل من جهة، وإعداده ليتلقى قيما جديدة من جهة أخرى: حاكم الدار إلهٌ يتلقى منه أهلُ الخير الحكمةَ الأبدية في كل شيء [٢١].

قنديل راضٍ بحضارة دار الحيرة وجمالها وقوة نظامها ومعتقدها ولهوها وتجارتها [٢٢]، ويعتبر هذا الكمال بعينه [٢٣]. في هذه الدار يتذكر قتلى دار الإسلام المتصفة بالجنون والظلم والقهر لمجرد أنها تطبّق حكم الله وشرعه [٢٤]، كما يتذكر من يدّعي الألوهية عن جهل ويطوّع القرآن لخدمة مصالحه الشخصية [٢٥]. إن قنديل يتهيأ تماما لهجر القرآن الكريم، فإنه لا يصلح أن يكون منهاج حياة المسلمين. لقد أوصلت دارُ الحيرة قنديل إلى التحير والتردد.

نجيب محفوظ

دار الحلبة:

إنها دار تبيح الشذوذ الجنسي وشرب الخمر وحرية المرأة دون ضوابط[٢٦]، واسمها ـ كما اختاره الكاتب وهو دقيق وذكي في اختيار ألفاظه. يحمل معنى الانطلاق والجولان بحرية. في هذه الدار يبلغ قنديل سن الأربعين[٢٧]، وهذا له دلالة عند الكاتب، فقنديل الآن مهيأ ليصول في دار الحلبة ويتلقى تعاليم المعتقد الجديد: تعايش أصحاب الملل من يهود ونصارى وبوذيين وملحدين ووثنيين [٢٨]، ويرضى فيها المسلمون بأن يكون الحاكم وثنيا[٢٩]. إنها دار يرى قنديل فضائلها أكثر مما يرى مساوئها [٣٠]، في حين أنه لا يرى في دار الإسلام فضيلة واحدة، بل كلها مساوىء: ضيق الحال وارتفاع الأسعار، والإسلام يذوي على أيدي المسلمين أنفسهم، والرحمة سيئة تشجع العجزة على البقاء في حالة عجز، والإسلام بلا عقل وقد أقفل بابُ الاجتهاد فيه، والحاكم مستبد وعلماء الإسلام يطوّعون الدين لخدمة الحاكم، والناس يسعون نحو لقمة العيش دون أي أساس خُلُقي [٣١].

في دار الحلبة يروّج الكاتب لإسلام جديد يرضى أهلُه بالفواحش مجاراة للجو والتقاليد، كما يقول الشيخ المسلم [٣٢]، فإن قنديل يقابل شيخا مسلما مع أسرته، وتتوطد العلاقة بينه وبين الأسرة: " وتناولنا الغداء على مائدة واحدة، بل قدمت إلينا أقداح نبيذ. إنه عالم جديد وإسلام جديد " [٣٣]. المسلم في هذا العالم الجديد الذي يدعو إليه الكاتب يجهر بالفواحش ويرتكبها إرضاء للتعايش مع أصحاب الملل دون أن يهتم بأن تكون الحاكمية لله وحده. أما إسلام دار الوحي فهو قد تهرّأ ولا يصلح أن يكون دينا.

دار الأمان:

ينقل الكاتب نجيب محفوظ بطله إلى دار الأمان، وهي دار الدولة الشاملة التي تقوم على النظام الاشتراكي الشيوعي، فيها " العدل الذي لم تستطع دار أخرى أن تحقق جزءا منه"[٣٤].

وفي إطار الموضوعية المخادعة الزائفة التي يحاول الكاتب أن يضفيها على عمله يرى قنديل في دار الأمان سلبيات [٣٥]، غير أنه يُبدي إعجابا مدهشا بنظامها، وبالمقابل يعمد الكاتب إلى ذكر أكبر قدر من السيئات التي يراها قنديل في دار الإسلام، ففي دار الأمان يُعد الإيمان بالله سبحانه وتعالى أوهاما وخرافات، فقد تهرّأ الدين بالخرافات والأباطيل [٣٦]، وتاريخ الإسلام دموي ومؤلم[٣٧]، أما الخليفة فإنه منحرف مستبد يجهر بانحرافاته [٣٨]، وفي دار الإسلام يفترس الأمةَ الجهلُ والفقر والمرض وقد خانت دينها[٣٩].

دار الغروب:

فيها يهيىء الكاتب بطله قنديل ليعيش الروحانيات في إطار التأمل الروحي بعيدا عن ضغوط الحياة، فالناس فيها يمارسون نشاطات تأملية طلبا للاسترخاء والهدوء، ويُقبِلُ قنديل على هذه الروحانيات وقد امتلأ وعاؤه بالثقة، وتبرق في ظلماته بوارق الإلهام [٤٠]، وفي هذه الدار يُعدّ شيخُها الحائرين لزيارة دار الجبل وهي الدار التي تعد دار الكمال، ولا كمال بعدها [٤١].

هكذا يستعد قنديل، كما صوّره الكاتب، وقد امتلأ وعاؤه بالثقة يتخيّل اليوم الذي يسلّط فيه قواه الكامنة على كل معوجّ في وطنه ليبنيه من جديد مقاما صالحا لقوم صالحين [٤٢]. والعلاج الذي يأمله الكاتب على يدي قنديل يكمن في إقامة المجتمع الشيوعي وما يخطر على بال المرء من فواحش وكبائر و " حريات " تمارس سرا وجهرا.

عبدالتواب يوسف

رحلة قنديل تلك هي رحلة من رحلات الكاتب نجيب محفوظ في ديار الإسلام والمسلمين وعقيدتهم، يسعى من خلالها إلى محاولة اقتلاع المسلمين من جذورهم، وقنديل هو شخصية من شخصيات الكاتب - مثلما هو كمال في الثلاثية - قد أطلق حكما قاطعا لا رجعة فيه:

الإسلام لا يصلح للحياة، فاستبدل الذي هو أدنى بالذي هو خير.

نجيب محفوظ وأعماله.. حقيقة التنوير والتثقيف:

قد يظن المرء أن رواية " رحلة ابن فطومة " هي الوحيدة التي أبدى فيها الكاتب نجيب محفوظ رؤيته وموقفه من الإسلام وأهله، ولكننا نقول: إن هذه الرؤية تنطلق من معظم أعماله لتكشف عن منهجه وتوجهاته.

سنحاول هنا الإشارة إلى موقفه الثابت من قضايا عدة تسهم في إلقاء مزيد من الضوء على موقفه من الإسلام والمسلمين.

موقفه من الإسلام:

يؤمن الكاتب نجيب محفوظ إيمانا راسخا بأن الإسلام قد انتهى دوره [٤٣]، وقد وظّف إمكاناته الفكرية والفنية الفذّة ليزيل عن الطريق كل ما هو إسلامي [٤٤]، وهو يدرك أن الإسلام يشكّل ركيزة في بناء القيم، فبذلَ جهدَه على أن يدخل عالمه حتى يستبدل قيمه وأفكاره وتوجهاته بقيم الإسلام [٤٥]. لذلك راح يدعو في أعماله وعلى لسان شخصياته إلى مقولة: إن الإسلام مجرد مرحلة تاريخية قد انتهى دوره [٤٦] اتباعاً لفكر أساتذته من أمثال دارون وماركس وفرويد وسلامة موسى، كما أخذ ينادي بمقولة: إن الإنسان قد أوجد الدين قديما [٤٧]، وأن بقاء عقيدة أكثر من ألف سنة آية على حطة بني الإنسان، فإنها ضد معنى الحياة المتجددة [٤٨]. وفي رواية " أولاد حارتنا " . وهي أكبر آثامه وليست إثمه الوحيد [٤٩] . يتعرّض بجرأة غير مسبوقة في ثقافة الأمة للذات الإلهية والرسل . لا سيما النبي صلى الله عليه وسلم . ويقول عن الرواية: إنها نقد للأسطورة عن طريق الواقع [٥٠].

وعندما يتناول الشخصيات المسلمة يقدمها في أعماله شخصيات منافقة كاذبة مدعية فاسدة ضعيفة سلبية ترتكب كثيرا من السيئات والفواحش [٥١].

موقفه من العلم:

العلم هو الدّين عنده. لقد هوت قبضة العلم الحديدية على الدين فكانت القاضية [٥٢]، وأمسى الدين ماضيا خرافيا أمام العلم وهو الغد النوراني [٥٣] . لقد حلّ عرفة . الذي يمثّل العلم والاشتراكية . محل الأنبياء موسى وعيسى ومحمد عليهم السلام، فقد رأى الكاتب أن هؤلاء الرسل قد عجزوا عن تحقيق حلم الإنسان، في حين أن عرفة قد امتلك العلم، وهو مفتاح أسرار الكون وجلاله، يُنشىء فردوس الناس على الأرض فينشر السعادة ويتمكن من قهر الموت نفسه [٥٤].

يُعلي الكاتبُ من شأن علماء من أمثال كوبرنيكوس وداروين وفرويد، فإنه يعتبرداروين من رسل العصر الذين صنعوا التاريخ [٥٥]، وأعلن أن أباه الحقيقي حبيس قفصه[٥٦]. وفرويد عبقري من رسل العصر الحاضر قد هيأ فكره الفرد للنجاة من أمراض الحياة الجنسية [٥٧].

موقفه من الاشتراكية والشيوعية:

قال الكاتب متحدثا عن تشكيل فكره الاجتماعي بأن سلامة موسى[٥٨] قد وجّهه فيما بين أعوام ١٩٣٠ ـ ١٩٣٤ م إلى معشوقين لم يتخل عنهما طوال حياته: الاشتراكية والعلم [٥٩]، والاشتراكية التي روّج لها هي الاشتراكية العلمية وهي مرحلة التحول إلى الشيوعية، وجاءت أعماله [٦٠] لتمهّد لإحلال الاشتراكية محل المجتمع المؤمن بقيم الإسلام [٦١]، والشيوعية ليست مذهبا اقتصاديا كما قد يُظن، وإنما هي تصور شامل للكون والحياة والإنسان [٦٢]، لذلك يعلن على لسان أحمد الاشتراكي أن بقاء الإسلام أكثر من ألف سنة ليست آية على قوته وإنما على حطة بني الإنسان، وهذا ضد معنى الحياة المتجددة، فلا بد أن يكون المرء على دين ماركس [٦٣]، فماركس هو رسول من رسل العصر الحاضر قدّم منهجا للناس ليتحرروا من الشقاء الاجتماعي [٦٤] ويصعدوا في سلم الرقي والتحرر [٦٥]. ويدفع الكاتب بشخصياته من الاشتراكيين والشيوعيين

للهجوم على المسلمين الذين يرون فيهم رجعيين ، العلم كفيل بطردهم كما يطرد النورُ الخفافيش [٦٦].

ومثلما يسيء إساءات بالغة إلى المسلمين في معظم أعماله، فإنه يعظّم من شأن الشخصيات الاشتراكية والشيوعية ويجعلها فاعلة لها دور في التغيير، فعرفة في " أولاد حارتنا " يرى أن خلاص الناس إنما يكمن في الاشتراكية والعلم [٦٧]، والاشتراكية هي المذهب الذي سيسود العالم [٦٨]، ومعها سيسود الاشتراكيون والشيوعيون، كما يظن الكاتب ويتمنى. ونحن ندَعُ التاريخ بحوادثه المتأخرة يحدّثنا عن انهيار المجتمع الشيوعي في عقر داره [٦٩].

موقف من الجنس:

لقد تفوّق الكاتب في قضية الجنس وعرضه في أعماله إفشاء للرذيلة في صورها كافة وإمعانا منه في إشاعة الفاحشة بين الناس [٧٠]، وقد آمن إيمانا عظيما بفكر فرويد في ضرورة إشباع الرغبات والغرائز خارج إطار الزواج والعلاقات الشرعية [٧١]، كما وجّهه سلامة موسى أستاذه وأخذ يروّج فكرة أن الزواج وإنجاب الأطفال هو نوع من الإيمان وهو موضة قديمة [٧٢]. ومن يقرأ كثيرا من أعماله ير أنها تحتشد بمواخير البغاء وأماكن تعاطي الحشيش والمخدرات والخمر [٧٣].

وقفة قصيرة أخرى:

نقف هذه الوقفة القصيرة مع الكاتب في مسألة موقفه من المسلمين من خلال مقالتين:

في المقالة الأولى حديث له نُشر عام ١٩٨٨ م تعرّض فيه لمفكر وكاتب إسلامي اتهمه بالانتهازية وساوره شك من ناحية صدقه وأمانته، وبقي في نفسه نفور دائم منه [٧٤]، وقد سبق له أن رسم شخصيته في عمله " المرايا" وقال إنه لا يرتاح أبدا لسحنته ولا لنظرة عينيه الجاحظتين [٧٥]. هذا الموقف من هذا المسلم لا نجده أبدا عندما يرسم شخصيات اشتراكية أو شيوعية أو حتى وثنية.

في المقالة الأخرى وقد جاءت ضمن حوار معه بعد محاولة الاعتداء عليه عام ١٩٩٤ م بنحو عام ونصف، فيها يتحدّث عن التعصب والتطرف، وطبيعي أن يكون كلامه هنا رد فعل لما حدث له، ولكن الذي يثير الاهتمام في المقالة قوله عن المسلمين في مصر إبّان مرحلة صباه: " ولكن لم تكن لهذه الفئة أي تأثير يذكر، لأن غالبية المجتمع في ذلك الوقت كانت مع الديمقراطية والوحدة الوطنية أيام الحركة الوطنية من خلال الأهداف القومية، ولذلك كنا ننظر لمثل هذه الأفكار باعتبارها من الأشياء الطريفة، ونتداولها فيما بيننا على سبيل الدعابة " [٧٦]، في حين أنه أثنى على غير المسلمين الذين كانوا يرفعون شعار: " الدين لله والوطن للجميع " [٧٧] وهو شعار ينبع من فكر كهنوتي يبقي الإسلام في المسجد، فلا علاقة له بالحياة.

لقد أردنا أن نظهر حقيقة رسالة نجيب محفوظ كما هي في أعماله وأقواله، وندعو كل منصف أن يقرأها قراءة متأنية فاحصة حتى يتبيّن له الحق. ونحن هنا لا نقلل أبدا من شأن نجيب محفوظ وملكاته الفنية الفذّة المدهشة، وهي نعمة من نِعم الله عليه، ولكنه سخّرها بغير وجه حق، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

حقيقة التنوير والتثقيف:

ذاك كان شأن الكاتب نجيب محفوظ، فما شأن الكاتب عبد التواب يوسف وهو يشيد بأعمال نجيب محفوظ ويعده قدوة له في التنوير والتثقيف؟

لقد أخطأ الكاتب عبد التواب يوسف في عنوان الرواية فجعله " رحلات ابن فطومة " وهو " رحلة ابن فطومة". وأخطأ الكاتب مرة ثانية عندما أسقط اسم الكاتب نجيب محفوظ من مقالته وهو يتحدث عن عمله " رحلة ابن فطومة " الذي وصفه بأنه رائع، ومن حق القارىء أن يسأل: لمَ فعل هذا؟ فإن من حقه أن يعرف صاحب هذا العمل الذي يدعو فيه المسلمين إلى أن يفيقوا من سباتهم! وأخطأ الكاتب مرة ثالثة وهو يمدح الرواية وقد جعلها عملا رائعا، ولا نظن أنه لم يقرأها قراءة عميقة وهو المعروف باهتماماته الثقافية الواسعة. إن من حق المربين المهتمين في ثقافة الأطفال أن يسألوا عن حقيقة موقف عبد التواب يوسف من الكاتب نجيب محفوظ، لا سيّما أنه صرّح بأن ما يقدّمه - أي يوسف - يتسق مع إسلامياته ويسايرها ويواكبها [٧٨].

إن مكانة الكاتب عبد التواب يوسف في ثقافة الأطفال تدعو المهتمين المربين الحريصين على تربية الأولاد التربية الخيّرة تدعوهم إلى أن يروا فيه من ينير مصباحا في الدرب، لا أن يدعو بدعوة غريبة تحيد

الهوامش:

١ - نحو رواية عربية للفتيان والفتيات الفيصل، عدد ٢٠٣، ص ٤٩.
٢ - فصول حول الطفل والقراءة، ص ٩٥ - ٩٦، عمان ، دار يمان ، ١٩٩٢م.
٣ - عن أدب الطفل، ص ٦٢، الهيئة المصرية العامة لقصور الثقافة، ١٩٩٥م.
٤ - تجربتي وماذا بقي منها؟ ص ٩، عمان ، بيت الأفكار، ١٩٩٨م.
٥ - الأدب الإسلامي في مواجهة اللاأدب، مجلة الأدب الإسلامي، عدد ١٧، ص٦.
٦ - المرجع نفسه، ص ٦.
٧ - رحلة ابن فطومة، ص ١٧، مكتبة مصر، القاهرة، ١٩٨٣م.
٨ - المرجع نفسه، ص ٥.
٩ - المرجع نفسه، ص ٧ - ٩، ١١.
١٠ - المرجع نفسه، ص ٨.
١١ - المرجع نفسه، ص ٨.
١٢ - المرجع نفسه، ص ٣٦.
١٣ - المرجع نفسه، ص ٣٦.
١٤ - المرجع نفسه، ص ٤٢ - ٤٣.
١٥ - المرجع نفسه، ص ٤٩.
١٦ - المرجع نفسه، ص ٤٥.
١٧ - المرجع نفسه، ص ٤٣.
١٨ - المرجع نفسه، ص ٥٨.
١٩ - المرجع نفسه، ص ٥٩.
٢٠ - المرجع نفسه، ص ٥٩ - ٦٠.
٢١ - المرجع نفسه، ص ٦٥.
٢٢ - المرجع نفسه، ص ٦٤.
٢٣ - المرجع نفسه، ص ٦٦.
٢٤ - المرجع نفسه، ص ٦٢ - ٦٣.
٢٥ - المرجع نفسه، ص ٦٧.
٢٦ - المرجع نفسه، ص ٨٧، ٩٠، ٩٥ - ٩٦.
٢٧ - المرجع ، ص ٨٣.
٢٨ - المرجع نفسه، ص ٨٩.
٢٩ - المرجع نفسه، ص ٩٠.
٣٠ - المرجع نفسه، ص ٨٤، ٨٥.
٣١ - المرجع نفسه، ص ٨٧، ٩١، ٩٦، ١٠٢، ١٠٣، ١٠٩، ١١٤.
٣٢ - المرجع نفسه، ص ٩٥ - ٩٦.
٣٣ - المرجع نفسه، ص ٩٥.
٣٤ - المرجع نفسه، ص ١٢٥.
٣٥ - المرجع نفسه ينظر على سبيل المثال: ص ١٢١، ١٢٢، ١٢٣، ١٢٧، ١٢٩، ١٣٠، ١٣٢.
٣٦ - المرجع نفسه، ص ١٣٣.
٣٧ - المرجع نفسه، ص ١٣٠، ١٣١، ١٣٢.
٣٨ - المرجع نفسه، ص ١٣٣.
٣٩ - المرجع نفسه، ص ١٣٣، ١٣٦، ١٣٨.
٤٠ - المرجع نفسه، ص ١٥٢.
٤١ - المرجع نفسه، ص ١٤٨.
٤٢ - المرجع نفسه، ص ١٥٢.
٤٣ - يُنظر على سبيل المثال: أولاد حارتنا، نجيب محفوظ ، ط ٥، بيروت، دار الآداب، ١٩٨٦ م، ، ورحلة ابن فطومة، وحكاية بلا بداية ولا نهاية، ط ٧، القاهرة، مكتبة مصر، ١٩٨٧م.
٤٤ - أدب نجيب محفوظ وإشكالية الصراع بين الإسلام والتغريب، ص ٩، السيد أحمد فرج، المنصورة، دار الوفاء، ١٩٩٠م.
٤٥ - المنتمي، دراسة في أدب نجيب محفوظ، ص ٢٣٩، القاهرة، دار المعارف، ١٩٦٩م.
٤٦ - يُنظر على سبيل المثال: أولاد حارتنا، ص٤٩٨، ٥٠٣، ٥٤٢، ورحلة ابن فطومة، ص ٥٣، ٥٩ - ٦٠، وحكاية بلا بداية ولا نهاية ص ١٠، ١٢، ١٣.
٤٧ - القاهرة الجديدة، ص ٢٣، ط ١٣، القاهرة، مكتبة مصر، ١٩٨٧ م.
٤٨ - السكرية، ص ١٣٥، ط ١٤. القاهرة: مكتبة مصر، ١٩٨٧ م.
٤٩ - أدب نجيب محفوظ، ص ٢٢١.
٥٠ - المنتمي، ص ٢٤١.
٥١ - يُنظر على سبيل المثال: الحب تحت المطر، ص ٣٦، ط ٤، القاهرة، مكتبة مصر، ١٩٨٠ م.
وثرثرة فوق النيل، ص ١٦، ٤٣، ١١٥، ط ٧. القاهرة: مكتبة مصر، ١٩٨٧م.

بهم وبأولاد الأمة عن الصراط. ومن حقهم عليه أن ينبههم على المزالق والأخطاء في مسيرة ثقافة الأمة، ضمن دائرة اختصاصه واهتماماته الثقافية، فلا يدعو بأية دعوة فيها شبهة، فإنه كاتب إسلامي كما يقول، والحق بيّن.

هذه من حقوق المربين المهتمين الحريصين على ثقافة أولاد الأمة على الكاتب، ومن حق الكاتب عليهم أن ينصحوه، فالدين النصيحة كما قال الرسول صلى الله عليه وسلم [٧٩].

بعد ذلك يظهر الحق وتتبين حقيقة الكاتب نجيب محفوظ للمربين وغيرهم حتى لا تقودهم دعوات خاطئة إلى الضلال. والخطأ طبيعة من طبائع الإنسان، وباب التوبة مفتوح على مصراعيه، والله سبحانه وتعالى الرحيم بعباده يقبل التوبة منهم، وخير الخطائين التوابون كما قال النبي عليه أفضل الصلاة والسلام [٨٠].

والله نسأل أن يغفر لنا ويهدينا سبل الرشاد، ويوفق الكاتب عبد التواب يوسف لما فيه خير الأمة وصلاحها، ويغفر له ويهديه ■

والمرايا، ص ٢٠١، ٢٠٨، ٢٠٩، ط ٥، القاهرة، مكتبة مصر، ١٩٨٠ م، والقاهرة الجديدة، ص ١٠، ١١، ١٣.
وبين القصرين، ص ٣٧، ط ١١، القاهرة، مكتبة مصر، ١٩٨٢ م.
ينظر أيضا: أدب نجيب محفوظ، ص ١٤١، ١٩٤.

٥٢ ـ قصر الشوق، ص ٣٤٧، ط ١٤ ـ القاهرة: مكتبة مصر، ١٩٨٧ م.

٥٣ ـ المرجع نفسه، ص ٣٠٥.

٥٤ ـ أولاد حارتنا، ص ٤٩٨، ٥٣٥، ٥٤٢، ٥٥١، ٥٥٢.

٥٥ ـ السكرية، ص ٣٦.

٥٦ ـ قصر الشوق ص ٣٩٨.

٥٧ ـ خان الخليلي ص ٥٦ ـ ٥٧ ، ط ١٠ ـ القاهرة: مكتبة مصر، ١٩٧٩ م.

٥٨ ـ يُنظر: أباطيل وأسمار، ص ١٤٧ ـ ١٤٨، محمود محمد شاكر، ط ٢، القاهرة، ١٩٧٢ م، وجيل العمالقة والقمم الشوامخ في ضوء الإسلام، ص١٦٣، ١٦٤، ١٦٩، ١٧٠، ١٧٣، أنور الجندي، القاهرة، دار الاعتصام، ١٩٨٥م، وسلامة موسى وأزمة الضمير العربي، غالي شكري ، ط ٢، صيدا، المكتبة العصرية، ١٩٦٥ م، ومن أعمال الكاتب نجيب محفوظ في أدب الأطفال: دراسة نقدية، ص ٢٠٩ ـ ٢١٥ ، محمد بسام ملص، عمّان، ٢٠٠٥م.

٥٩ ـ نجيب محفوظ: حياته وأدبه، ص ١٧، نبيل فرج، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٦ م.

٦٠ ـ يُنظر على سبيل المثال: القاهرة الجديدة، والثلاثية، وأولاد حارتنا.

٦١ ـ أدب نجيب محفوظ، ص ٥٢، ٥٦.

٦٢ ـ مذاهب فكرية معاصرة، ص ٢٥٩ ـ ٢٦٨، محمد قطب ، ط ٤، القاهرة، دار الشروق، ١٩٨٨ م.

٦٣ ـ السكرية، ص ١٣٥، ٢٧٦.

٦٤ ـ خان الخليلي، ص ٥٦، ٥٩.

٦٥ ـ السكرية، ص ٢١٠.

٦٦ ـ المرجع نفسه، ص ٢٩٧.

٦٧ ـ المنتمي، ص ٢٤.

٦٨ ـ المرجع نفسه، ص ٢٥٩ ـ ٢٦١.

٦٩ ـ رؤية إسلامية في قضايا معاصرة، ص ٤٣ ـ ٤٤، ٤٦، عماد الدين خليل، الدوحة، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية القطرية، ١٩٩٥م.

٧٠ ـ أدب نجيب محفظ، ص ٢٦٣ ـ ٣١٦.

٧١ ـ المرجع نفسه، ص ٣٠٣، ٣٠٧.

٧٢ ـ السكرية، ص ٢٩٣، وينظر المنتمي ص٦٦.

٧٣ ـ يُنظر على سبيل المثال: أولاد حارتنا، والقاهرة الجديدة، وخان الخليلي، وبين القصرين، والسكرية، وثرثرة فوق النيل، والحب تحت المطر، وملحمة الحرافيش، ط ٤، القاهرة، مكتبة مصر، ١٩٨٥ م، يُنظر أيضا أدب نجيب محفوظ، ص ١٦٩، ٢٢٢.

٧٤ ـ الهلال، عدد ديسمبر ١٩٨٨ م، نقلا عن: بين سيد قطب ونجيب محفوظ، الفيصل، عدد ١٨٨، ص ٥٤.

٧٥ ـ المرجع نفسه، ص ٥٣.

٧٦ ـ نجيب محفوظ في أجرأ حوار: أنا والأقباط، روز اليوسف، عدد ٣٥٤٢، ص ٤٠.

٧٧ ـ المرجع نفسه، ص ٤٠.

٧٨ ـ الأدب الإسلامي في مواجهة اللاأدب، ص ٧.

٧٩ ـ صحيح البخاري كتاب الإيمان، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: الدين النصيحة، ج ١، ص ٢٢، مطابع الشعب، القاهرة، ١٩٨٥م.

٨٠ ـ صحيح سنن الترمذي، أبواب صفة القيامة، ج ٢ ، ص ٣٠٥ وهو حديث حسن، تحقيق العلامة الألباني، مكتب التربية العربي لدول الخليج، ١٩٨٨م.

في ندوة الشيخ عبد العزيز الرفاعي

فاضل السباعي - سورية

تعود معرفتي للشيخ عبد العزيز الرفاعي - رحمه الله - إلى ما قبل حضوري الأول لندوته التي كانت تعقد كل خميس عندما يكون موجودا بالرياض. وكنت قد جريت وأنا بدمشق،على أن أزود المجلة الفصلية عالم الكتب ، التي تصدر عن مؤسسته دار ثقيف للنشر والتأليف، بمقالة ترصد بعض ما يصدر من كتب في سورية، وهكذا جعلت من همي، مذ نزلت الرياض في أول زيارة لي إلى المملكة العربية السعودية في ربيع العام ١٩٨٥ (رجب ١٤٠٥هـ)، أن أتوجه إلى إدارة المجلة للتعرف إلى رئيس تحريرها يحيى محمود ساعاتي، وعلى صاحبها الشيخ عبد العزيز الرفاعي، الذي ذاعت شهرته هو وندوته الخميسية. وقد علمت من رئيس التحرير، الذي استقبلني بحفاوة مضفيا على لقائي به كثيرا من الود، أن الشيخ موجود في مكتبه، ولاح لي أنه يعرف أني إن التقيته الساعة فسوف أربح دعوة منه لحضور الندوة في اجتماعه الآتي بعد يومين اثنين. وهذا ما كان.

ولأن العاصمة الرياض أصبحت، بامتدادها الجغرافي الأفقي، بعيدة الأرجاء واسعة فإن زميل الدراسة بحلب، صديق العمر، الدكتور عبد القدوس أبو صالح (الأستاذ بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية منذ ثلاثين عاماً ويزيد)، أخذ على عاتقه أن يصحبني إلى دارة الشيخ الرفاعي، ولما دخلناه، جلسنا أنا وعبد القدوس متجاورين في مقعد وثير واحد، ووجوه القوم، في الأدب والثقافة، تعمر الندوة التي رأيت في وسطها سيبا قد ركب عليه لاقط للصوت يفضي شريطه الممتد إلى حيث يسجل الكلام والحديث. وكان، في جانب من القاعة باب عريض ينفتح على غرفة جانبية، قد انتظم فيها شبان محبون للعلم والمعرفة جاؤوا يستمعون ويستمتعون. و كان بين الحاضرين وجوه سورية عرفت منها: الأديب اللغوي عبد الرحمن الباشا، والدكتور "معروف الدواليبي، رئيس مجلس النواب ومجلس الوزراء في عهد مضى.

وكان الشيخ عبد العزيز يجلس في مهابته متخذا ركنا، وقد رحب بالحاضرين... ثم بدأت الجلسة.

وبدا أن «التقليد» في الندوة جرى على أن يتكلم الضيف، الذي يحضر للمرة الأولى أو يعود إليها بعد غياب طويل معرفا بنفسه.

واتفق أن كان في هذا الاجتماع «محمد أسد» (المستعرب النمساوي «ليوبولد فايس») صاحب الكتابين الشهيرين «الطريق إلى مكة» و «الإسلام على مفترق الطرق» فالتمسوا منه التعريف، فاعتذر بلطف، والحق معه، فهو أشهر من أن يعرِّف أو يعرَّف فضلا عن شيخوخة فيه تم على أنه تكلم وعرف قبل هذا اليوم كثيرا. ولكنهم سألوه - وإن له ابنا في المغرب - عن حال الابن و ما إذا كان يتابع مسيرة أبيه في الدعوة إلى الإسلام؟ وأذكر إن لم تخني الذاكرة، أنه أفاد بأن ابنه الآن أكثر عناية بالعلم والعمل الأكاديمي.

وجاء الدور لضيف مصري، كان يشغل آنذاك نائب رئيس جامعة القاهرة هو الدكتور «أحمد هيكل» (شغل

بعد ذلك اليوم منصب وزير الثقافة) فعرف بنفسه: أكاديمي، متخصص بالأندلسيات في جامعة مدريد، وعلمت أنه يقول الشعر أيضا، وأسمعنا من جميل شعره ما أطربنا.

ولما كنت أصغر سنا بين الضيوف الجدد، فقد جاء دوري بالتعريف أخيرا. وماذا يسعني أن أقول عن نفسي سوى أني كاتب يهوى كتابة القصة و الرواية، وأن لي نحو عشرين كتابا (في ذلك العام)، وأنَّ شيئا من أدبي قد ترجم إلى بعض اللغات، وأني درست الحقوق بجامعة فؤاد الأول (جامعة القاهرة فيما بعد)، وأني تركت آخر وظيفة لي عند الحكومة، مديرا في وزارة التعليم العالي، محيلا نفسي على التقاعد قبل الأوان كي أتفرغ للكتابة؟!... ثم أمسكت عن الكلام.

عبدالعزيز الرفاعي

ولكن جاري الدكتور عبد القدوس، إلى يميني، لم يرضه من صديق العمر هذا القدر من التعريف، فتدخل ليفتح بابا للقول عريضا، وأخبر أن صديقه يكتب قصصا يتوسل فيها بـ «الفانتازيا» ليقول ما لا يمكن أن يقال!

– فـ...لو يحدثنا عن هذا الاتجاه في أدبه!

فارتفعت الأصوات، يريدون أن يسمعوا جديدا، وقالوا: هات!

فتحدثت عن أن الكاتب – وقد حلا لي أن أصفه بأنه «ضمير أمته» يرى الخطأ يشيع حوله، وهو إن صرح تعرّض، ،إن تصامم توجّع وتمرّض... هنا يتوسل بالخيال سبيلا إلى التعبير عما يعاني، تقرأ له فتظن أنه يحلم، أو أنه يذهب في الخيال بعيدا، ولكنك تتبين أنه يتكلم في الصميم، ثم ما تلبث أن تعود إلى الظن بأنه يتخيل... وهكذا يؤرجحك بين التصديق والتكذيب، قبل أن تنتهي من قراءة النص، فتدرك أن الكاتب كان يحلم، ولكنه قال ما يريد.

قلت هذا وما يماثله من القول، وذكرت ابن المقفع و«كليلة ودمنة»، وترددت على لساني كلمة «الفانتازيا» غير مرة... ذلك كله على مشهد من وجوه الثقافة، وعيونها التي كانت ترمقني، قالوا:

– والأنموذج؟ هات مثالاً على ما تقول!

فقلت: وقع أحدهم يوماً، تحت أيدي الجلادين، اتهموه:

أنت قلت! قال: لم أقل! قالوا: أنت فعلت! قال: لم أفعل! قالوا: أنت تواطأت مع الأعداء! صرخ: بريء، بريء، بريء أنا يا ناس! أخضعوه للتعذيب!، ففاضت بين أيديهم روحه، التي صعدت، لتعود إليهم شبحا، في يده هراوة، انهال بها عليهم حتى أثخنهم. كان يراهم ولا يرونه، وكان يسمعهم ولا يسمعونه، وكان، وكان... ولكن المتجاوبين مع القصة، لم يدعوني أكمل، منعني عجبهم مما أسمعتهم، وضحكهم المتعالي، من أن أصل بالقصة إلى منتهاها! أو لعلهم ما منعوني، فأكملت، وزدت شرحا وتفصيلا... فظُنَّ خيرا! ولا تسأل عن الخبر!

أقول: أمتعتهم، وأضحكتهم، ولكني لم أحملهم على النوم فأخرج متسللا، كما فعل الفارابي يوما ■

النازحان

فيصل عبدالرحيم - السودان

.. كعيني سمكة ميتة.. كانت عيناه.. تطلان عليه من خلف مرآة دولاب الملابس القائم ملاصقا لأحد أضلاع الغرفة المتساوية الزوايا.. صفحة المرآة ووجه ماء النيل.. وصورته المنعكسة تنداح متداخلة بينهما.. فلا يدري على وجه الدقة.. أيقف على شاطئ النيل.. أم يقف أمام هذه المرآة الباردة!!..

.. يهرب بعينيه السمكيتين بعيدا.. شجرة نخيل.. انغرست بين مسامات طمي النيل.. وتجذرت عميقا في باطن الأرض.. ثم تنامت متباسقة.. حتى أثمرت رطبا جنيا.. على حين غرة.. ثمة خطر داهم.. ريح عاصفة.. تجتث الشجرة من جذورها.. تنحسر أشعة الشمس الواهنة.. وهي تطوي آخر نفس بين أتون وهجها الآخذ في الخمود.. فلا يجد مناصا من الانسحاب مندحرا.. أمام جيوش العتمة الزاحفة خببا!!..

.. من يضيء العتمة؟

.. كان يوما مشهودا.. المصادفة أنبتته.. رغم بوار التربة وجفافها.. كانا كفرسي رهان.. منذ جلسا على (برش الخلوة) وخطا أول حروف الأبجدية على اللوح (الأردواز) ورددا معاً مع بقية (حيران) الخلوة.. تلقينا لفواتح المعرفة..

.. التنافس.. الغلبة.. النكوص.. حلاوة الانتصار.. مرارة الهزيمة.. ثم فيما بعد الود الخالص والرفقة الحميمة.. واقتران الاسمين وتلازمهما.. من يعرف (نصار) يتحتم عليه أن تتوثق صلته بـ (خليفة).. لكن موجة الكساد والبطالة.. وما أعقبهما من تضخم.. أورثا الناس عنتا.. وضيقا في التنفس وذات اليد على السواء.. مما عجل بنزوح جماعي من مسقط الرأس إلى المراكز المتاخمة والمدن الكبيرة.. إلا أن المقام.. لم يطب للعديد من النازحين كانوا يجولون بين الأزقة والحواري كالقطط الضالة.. والأفضل وضعا.. من ذوي المهارة والمهن.. غزاهم شعور كاسح بأنهم ملفوظون من هذا المجتمع الجديد

كالأجسام الغريبة.. فهداهم البعض إلى الوقوف أمام بوابة مكتب العمل ومداخل السفارات.. وبعد جهاد ومجالدة.. حظيت نسبة منهم بالفوز بما حسبوا أنه سيحفظ لهم ماء الوجه.. فمضوا لا يلوون على شيء.. تسبقهم أحلامهم.. مخلفة وراءهم مذاق الخيبة ومرارة الإحباط!!..

.. هكذا كان حال (نصار) وهو يركب على متن الطائر الميمون محلقا فوق السحاب.. وربما لم يختلف حال (خليفة) كثيرا عن حال صفيه.. غير أن كليهما قد هبطا في مدينة غير التي استقطبت الآخر..

* * *

„.. أزاح (نصار) خياله المنعكس على صفحة المرآة بعينيه السمكيتين.. وبصره ينصرف إلى أمر آخر يشغله!!..

.. طفق يعيد نسيج أحلامه.. كم كان ساذجا حينما وطئت أقدامه أرض هذه المدينة وبنى على سواحلها قصورا من زجاج سرعان ما انهارت متشظية تحت ضغط ثقل أول صدمة تلقاها.. بينما كان يقف على قارعة الطريق حائرا (هنا مفترق الطرق.. العودة خالي الوفاض مخزية.. والبقاء قاس)!!..

.. لحظتها.. حسب أنه لن يصمد طويلا.. لكنه علل النفس بأنها ربما تكون فترة موقوتة غير قابلة للتمديد.. إلا أن السنين توالت متراكمة وناء بها كاهله حتى كاد يسقط من فرط ثقلها.. ثمة خيوط خفية.. كانت تشده.. وتلف حول عنقه أنشوطة..

-أهو ضرب جديد من الخنوع؟

مرة أخرى تجتذبه المرآة فينقاد مسحوبا.. آملا في كسر محارة العزلة.. علّه يعثر على من يشاركه في الخروج من هذه الدائرة المحكمة الإغلاق.. وعند صدر دولاب الملابس يصطدم بعيون سمكية تبسط هيمنتها مندحة بسعة مساحة المرآة.. صدى الصوت يصل أذنيه ممزقا كأنه يأتي من عالم الأموات..

- أنت من صنع هذا الخنوع.. واستجاب له..

- والأنشوطة التي تلتف حول عنقي؟!

- من نسيج خنوعك..!!

يلغم حجرا.. فكيف عن محاولة الخروج من هذه العزلة الموحشة.. موليا ظهره إلى من ظنه قرينا له يشاطره هذه المحنة.. يعود مرة أخرى إلى الحال الأولى.. وشعور بالنفي يجترحه فيقعي مقرفصا ويداه تلتفان حول ركبتيه.. بينما هامته تسقط منكفئة.. ولسان حاله يصرخ كظيما: ما أبشع هذا العالم! غربة وكربة!!..

* * *

أمضى (خليفة) الشهور الأولى مفتونا بكل ما يدور حوله.. كان كل شيء يبدو جديدا.. لعل الجدة أسرته منذ الوهلة الأولى وجعلته مرهونا بها.. يدور حول فلكها.. ولا يجرؤ على الانفلات من إسارها.. لكن دبيب السأم مع كرور دورات الفصول.. أخذ يغزل نسيجه اللزج حاجبا بتداخله المتشابك في تلوي طزاجة المرئيات وعذريتها.. ولم يلبث أن أصبح كل شيء أمام ناظريه باهتاً.. فقد شاخ الطفل في داخله.. ووئدت ينابيع الدهشة في عينيه فضاق ذرعا ببهاتة الأيام.. وتكرار نسخها الكربونية!!..

أكان في مكنته الانعتاق؟

.... كيف؟.. ودولاب الحياة هناك.. من يمد شرايينه بالإنباض؟!.. ثمة آصرة رحمية تجذرت في أعماق أسلافه الأقدمين.. وانتقلت إليه عن طريق (الجينات) وهيمنت على الوجدان.. لتتمثل سلوكا.. يستحيل الإقلاع عنه!!؟..

.. (كالجرح والضمادة) بهذا التوصيف اختزل حياته.. كان جرحا نازفا.. وفي ذات الوقت ضمادة لجراح الأقربين.. أحيانا.. كان يترسخ لديه هذا الضرب من القناعات فيستسلم موهوما بالرضا.. ولكن هاجس السؤال يدنفه فيظل مسهدا يحصي النجوم.. ويرصد مساراتها.. ولا يجد لهذا الأسر فكاكا!!!.

-أهو وهم الرضا بالاستسلام.. أم هو ضرب جديد من الخنوع!!؟

.... يزيح صورة السماء عن عينيه.. ولكن عنقه يتدلى

معلقا في فضاء هائل من الفراغ..

تنحسر أستار العتمة.. ويتخافت وهج النجوم وتأخذ في التباعد.. حتى تبدو كابية ومتناهية الصغر.. لتختفي تماما عند نقطة التلاشي مع البدايات الأولى، الإرهاصات، ببزوغ الفجر..

.. يتهاوى رأسه المعلق متساقطا.. فيدفنه بين ركبتيه المحاطتين بذراعيه إحاطة كاملة وصراخه المكتوم.. يرتج له صدره ارتجاجا.. بينما الكلمات تخرج من شفتيه ممزقة.. (أهي عقوبة على جرم لم أرتكبه؟!!)

* * *

يوم اللقاء.. كان وليد المصادفة.. كل منهما كان لا يذكر.. الآخر.. ربما البعد الذي امتد سنين ومسافات.. طمس صورة كل منهما في ذهن الآخر فأصبح أحدهما لا يذكر الآخر إلا إذا ارتبطت تلك الذكرى بموقف له علاقة بمسقط الرأس.. كأن يكون سباقا في السباحة.. من يصل إلى أبعد نقطة من الشاطئ أو من يظل تحت الماء أطول مدة ممكنة.. أو أيهما يجرؤ على الغوص في أعمق منطقة في النيل؟! وثمة مجالات أخرى لقياس الأفضلية بينهما.. من أكثرها هوى في النفس تسلق أشجار النخيل الباسقة.. من يكون في مكنته الصعود إلى أطول نخلة بالقرية مع إسقاط أكبر (سبيطة) من التمر الرطب من فصيلة القنديلة.

كل منهما كان يمتلئ حماسة.. ويضج بالعنفوان وهو ينافس الآخر ليهزمه.. ويعلن نصره على رؤوس الأشهاد.. لكن نهايات الأشواط كانت دائما تسفرعن المماثلة والتعادل في أغلب المنافسات.. وحينما يفضل (خليفة) نصارا.. أو يفوق نصار خليفة.. في ضرب ما من ضروب السباق.. يتيقن الآخرون أن المنتصر سيقيم القرية ولن يقعدها.. إلا إذا أحرز الآخر انتصارا في جولة أخرى من جولات اعتراكهما.. ولكن يحدث أحيانا لدهشة أهل القرية أن يقبل الغالب على المغلوب بروح رياضية فائقة هاشا باشا لا يشوب صفوه كدر.. فيشد يده في ود بالغ!!؟..

.. من كان يصدق.. عندئذ.. إذا قيل: إن (نصارا وخليفة) سيتركان القرية.. فما بالك إذا قيل: إنهما سينزحان نزوحا دون أن يكون ثمة أمل في عودتهما!!؟

– ألا ترى أن الدنيا تقف على رأسها؟!!

همس أحد شيوخ القرية حينما أشرقت عليها شمس يوم جديد ولم يعثر لهما على أثر..

– بلى.. لعل مسارات دورات الفصول اعتورها خلل.

– الخلل أصاب النفوس!!؟

انقضى عقدان من الزمان.. ولا زال صدى هذا الحوار المقتضب يرن بين أهل هذه القرية التي هجرها معظم شبابها.. وغزا الشحوب جريد نخيلها وتيبست جذوعها.. فبدت من بعيد كأنها شواهد قبور!!؟..

* * *

لحظة اللقاء فجرت نهرا من الأسى.. أعاد ما انقطع من الوصل.. فكانا المنبع والمصب في آن..

في البدء كان حوارا صامتا.. أجرته الأصابع التي تشابكت في توتر محموم والصدور التي التحمت تحاضنا.. ثم وقفا ساكنين كأنهما لسان من دم لا يجد الشفتين.. ولكن لم يلبث اندفاع تيار الدم أن احتفر له مخرجا.. فتدفق الحوار معيدا الوجه القديم لعالمهما الأثير ولكن مذاق الغربة.. طغى على حلاوة الذكرى.. فتشبثا بالتواصل على مضض.. ولكن سرعان ما تعسر تدفق الحوار.. واعتوره التمزق.. فبدا لكليهما أن ثمة حاجزا يتعامد بينهما.. حاجبا نضارة الماضي وحيويته.. إلا أن رغبتهما العارمة في كسر هذا الحاجز خففت شيئا ما من خاصيته على الفصل بينهما فصلا تماما.. فأخذ كل منهما يسعى لفتح مداخل للتواصل رغم قناعتهما اليقينية بعبثية هذا المسعى.. في الداخل كان يمور هاجس العودة.. وجاء هذا اللقاء الذي أنبتته المصادفة ليفجر كوامن الحنين الجارف إلى العودة لرحم الأرض.. لكن ثمة خيوط خفية.. لا تني تشدهما شدا.. لا يدانيه إلا شد الأصفاد.. سارا مترافقين ومتباعدين في آن.. حتى وصلا إلى نقطة فارقة.. فعرج كل منهما إلى طريق مختلف.. دون أن يقولا شيئا. ■

متى تعودين ؟

محمد عبدالباري - السعودية

عامان...جرحان في الأعماق ما التأما ... والبعدُ يشعلُ في وجداني الألما
عامان..ما افترّتْ النُعمى..ولا خفقت ... روحٌ ..ولا السعدُ في أحداقنا ارتسما
عامان ..لو سُكبا في البحر لاتقدت ... شطآنُه ..وغدتْ أمواجُه حمما
منذُ ارتحلت وهذا الأفقُ أشرعةٌ ... من الأسى ضجّ فيها الحزنُ وازدحما
هل تذكرينَ الليالي حين تجمعُنا ... ونحنُ ننسجُ من أشواقنا حُلُما ؟
نتيهُ في مدن الأحلام .. نبحرُ في ... مشاعر موجُها مازال ملتطما
وكم ركضنا إلى الميعاد في جذل ... والشوقُ في خاطرينا بالحنين همى
وكم عزفنا لحونَ الصمت أغنيةً ... عذراءَ لم تبق في أذن المدى صمما
أتذكرينَ زمانَ الوصل يُمطرُنا ... حباً .. وينثرُ في أيامنا النعما
هنا لعبنا .. هنا طرنا .. هنا رقصت ... أرواحُنا .. وهنا الحبُ البريءُ نما
هنا شكونا إلى الظلماء غربتنا ... وحزننا .. وشكونا للسراب ظما !!
هنا بكينا وجفتْ كل أمنية ... هنا شدونا وسلسلنا الهوى نغما
يا فتنتي . وأنا المقتولُ من زمن . ... يداك من جرح قلبي تقطران دما
ظلمتني وظلمت الذكريات ..وهل ... من راحلٍ في دروب العشق ما ظُلما ؟
أنا المسافرُ في عينيك ما تعبت ... مراكبي وشراعي . بعدُ . ماهُزما
أنا الذي صاغَ نورَ الشمس أسورةً ... على يديك التي لوحت لي بهما !!
أنا دفنتُ الليالي في ضفائرك الـ ... سوداء أسكنتُ في أطرافها الظُلما
فرشتُ دربك أحلاماً منضرةً ... وقلتُ : يا أنجمي كوني لها خَدما
وكم عزفتُ لك الأشواقَ ملحمةً ... من الحنين وصيرتُ الزمانَ فما
أنا الذي قالَ للأقمار معذرةً !!! ... فما عشقتُ سواها ..ما عشقتُ وما
يا أنت ياحلوةَ العينين في ألقٍ ... كم كنتُ أعشق من عينيك سحرَهما
تعبتُ من لفحة الحرمان .. وانطفأتْ ... مواسمي .. وأنا أستنطقُ العدما
والليلُ يَخنُقُ لحنَ الفجر في شفتي ... ويزرعُ اليأسَ في عينيّ والسأما
معذبٌ وجنونُ الجرح يعصفُ بي ... سئمتُ ...والقلقُ المورُ ماسئما !!
أخبئُ الدمعَ في الأعماق أكتمهُ ... وأصدقُ الدمع . يا حسناءُ . ما كُتما
أبكي الأماسي التي بالعطر كم خفقتْ ... والجرحَ والحزنَ والعمرَ الذي انصرما
متى تعودين ؟؟ كم طافَ السؤالُ على ... مدائن الوهم ثم ارتد منهزما
ما زلتُ في شرفة الأشواق منتصباً ... أسائلُ الأملَ المذبوحَ والألما
عامان أستمطرُ الأقدارَ أرقبُها ... والوعدُ في شفة الأقدار قد هرما

قصر في الجنة

علي أحمد باكثير

المشهد الأول

(في منزل أبي محمد حبيب الفارسي بالبصرة)

حبيب: مرحبا بك يا أبا سعيد. أي حظ سعيد جاءنا اليوم؟ الحسن البصري يزور بيتي؟!

الحسن: إن معي ضيفاً عزيزاً من خراسان ،ومعه أهله يا أبا محمد.

حبيب: أهلاً بك وبضيفك وبأهل ضيفك. (ينادي) مشكدانة.

مشكدانة: (من الداخل) لبيك يا حبيب.

حبيب: ادخلي بهاتين الضيفتين عندك وأكرميهما.

مشكدانة: أهلاً وسهلاً. هلمّا ادخلا.

(تدخلان البيت).

الحسن: هذا حمزة الزيات الخراساني يريد أن يحج العام بأهله، ثم يقيم في البصرة. وهو لا يستحب النزول بالخان، فجئت به لينزل بأهله عندك في بيتك.

حبيب: (في لهجة مازحة) أمن أهل الدنيا هو أم من أهل الآخرة؟

الحسن: تأبى يا أبا محمد إلا مزاحاً.

حبيب: أجبني يا أبا سعيد.

الحسن: من أهل الآخرة.

حبيب: ينبغي إذن أن تنزله عندك لا عندي.

الحسن: إنما كان هذا فيما مضى يا أبا محمد. أما اليوم فقد أصبحت أنت لأهل الدنيا ولأهل الآخرة معاً.

حبيب: إنك يا أبا سعيد لا يغلبك أحد.

الحسن: بلى، لقد غلبتني ذات يوم في طالب العلم الذي جاء من أقصى المغرب ليأخذ عني، فما زلت به حتى صرفته إليك فجعلته سمسارا يعمل عندك.

حبيب: (يقهقه ضاحكاً) أتذكُرُه بعد يا أبا سعيد؟

الحسن: ومن ذا ينسى أفعالك؟

حبيب: (يمضي في قهقهة ثم ينقطع عنها فجأة) مرحباً بك يا ضيفي العزيز. إنما كان هذا مزاحاً بيني وبين هذا الإمام الحسن بن أبي الحسن، وإلا فلو أخذكم مني لقاتلته عليكم.

الحسن: إني منصرف يا أبا محمد لئلا تقاتلني (يخرج).

حبيب: مع السلامة يا أبا سعيد. (لحمزة) تسمعون صيت هذا الإمام عندكم في خراسان؟

حمزة: نعم، ولذلك قصدته أول ما نزلنا بالبصرة.

حبيب: كأنك تريد الحج هذا العام؟

حمزة: نعم.

حبيب: هل لك أن تخبرني: لم لا تريد أن تعود إلى خراسان؟ أنت الآن أخي فينبغي أن تحدثني بكل شيء.

حمزة: إني بعت كل ما كان لي هناك، لخلاف طال بيني وبين إخوتي من أجل أني تزوجت ابنة عمنا هذه، وكان بين عمنا وبين أبينا شر، فلما توفي أبونا حل إخوتي محل أبينا في عداوة عمهم ما خلاي.

حبيب: أنت إذن هارب من قرابتك؟

حمزة: نعم، أشتهي أن أعيش ما بقي من حياتي في سلام.

حبيب: ستجد السكينة والسلام إن شاء الله في هذه المدينة.

حمزة: ومعي عشرة آلاف دينار سأودعها عندك، لتشتري لي بها منزلاً في البصرة.

حبيب: عشرة آلاف دينار. هذا كثير.

حمزة: فاحفظ عندك ما يبقى بعد شراء المنزل.

حبيب: ألا تخشى على مالك عندي وأنت لا تعرفني؟

حمزة: سألت عن آمن رجل في البصرة. فكلهم أشار إليك. ثم إن شهادة الحسن عندي تعدل كل شيء.

حبيب: قال لك الحسن: إنني رجل أمين؟

حمزة: قال لي: إنك الأمانة ذاتها، والصدق كله.

حبيب: أتدري ماذا كان الحسن لي فيما مضى؟

حمزة: ماذا كان؟

حبيب: كان عدوي الأكبر، كان يجلس في مجلسه الذي يأتيه فيه أهل العلم من كل مكان، وكنت أجلس في مجلسي الذي يأتيني فيه التجار من كل مكان.

حمزة: وكان المجلسان متجاورين؟

حبيب: نعم، فكنت أثني الناس عنه جهدي، وكان يثني الناس عني جهده، فكان حينا يغلبني وكنت حينا أغلبه إلى أن جاء يوم عظيم!!

حمزة: كيف؟

حبيب: ما شعرت ذلك اليوم إلا والحسن ومن معه من أتباع ومريدين لا يقل عددهم عن خمسين قد اقتحموا مجلسي حتى امتلأ بهم الدكان، وجلس الحسن في صدر المجلس فأخذ يلقي درسه ووعظه.

حمزة: ولم تصنع أنت شيئاً؟

حبيب: لم أنبس ببنت شفة، وإنما استمعت إلى حديثه فنسيت نفسي ونسيت كل ما كنت فيه، وانسابت الدموع من عيني، فقمت إليه فعانقته وقبلت يديه، وتبت على يديه، وأصبحنا منذ ذلك اليوم صديقين بل أخوين حميمين.

حمزة: وحديث الأربعين ألفاً التي تصدقت بها في يوم واحد؟

حبيب: أو قد حدثك الحسن عنها؟!

حمزة: نعم، قال لي: إنك اشتريت بها نفسك من الله!!

حبيب: نعم، والله أكرم الأكرمين.

حمزة: كيف فعلت؟

حبيب: أحضرت معي أربعين ألفاً.. فتصدقت بها على الفقراء والمحتاجين.

حمزة: عظيم.

حبيب: أسأل الله القبول.

المشهد الثاني

(في منزل أبي محمد حبيب الفارسي بالبصرة)

حبيب: أين الأمانة التي وضعتها عندك يا مشكدانة؟

مشكدانة: المال الذي للخراساني؟

حبيب: نعم.
مشكدانة: تريد أن أخرجها لك؟
حبيب: نعم.
مشكدانة: هل وجدت له منزلاً حسناً تشتريه؟
حبيب: لا يا مشكدانة.
مشكدانة: فماذا أنت صانع بمال الخراساني؟
حبيب: المجاعة كل يوم تشتد يا مشكدانة، والناس تموت بالمئات والألوف.
مشكدانة: هل تريد...
حبيب: نعم سأشتري له بها منزلاً في الجنة بقصوره وأشجاره وأنهاره وحوره وولدانه.
مشكدانة: يا سيدي.. أذهبت مالك كله في الإنفاق على المجاعة، والآن تعمد إلى مال صاحبك الذي وضعه أمانة عندك فتريد أن تنفقه كذلك؟!
حبيب: إنما وضعه أمانة عندي لأشتري له منزلاً في البصرة، أو ليس منزل في الجنة يا مشكدانة خيراً من منزل في البصرة؟
مشكدانة: أعتقد أن لا حق لك في ذلك.
حبيب: بل لي الحق كل الحق.
مشكدانة: هل استشرت الحسن البصري في ذلك؟
حبيب: يا حبيبتي إني أعرف ربي كما يعرفه الحسن البصري.
مشكدانة: ما ضرك لو استشرته؟
حبيب: سبحان الله! المسلمون يموتون في الطرقات من الجوع وفي يدي عشرة آلاف دينار أستطيع أن أنقذ بها ألفاً منهم من الموت فأتردد وأستشير الحسن؟! كلا يا مشكدانة لا أفعل. ولكني سأمضي الليلة إلى الجامع وأصلي في جوف الليل وأسأل ربي أن يأذن لي فأشتري منه للرجل الخراساني حمزة الزيات منزلاً في الجنة ذا قصور وأشجار وأنهار وولدان بعشرة آلاف دينار.
مشكدانة: لكن الناس لن يصدقوك يا حبيب. سيقولون: إنك أخذت المال لنفسك.
حبيب: ما لي وللناس؟ الذي اشتريت منه يا مشكدانة يعلم الحقيقة.
مشكدانة: لكن الذي اشتريت له لن يرضى بهذه الصفقة.
حبيب: إنه رجل صالح وما أحسبه إلا سيفرح بهذه الصفقة الرابحة.
مشكدانة: وإذا لم يرض يا أبا محمد؟
حبيب: فإني سأرد عليه ماله.
مشكدانة: من أين؟
حبيب: غدا يفرج الله عنا يا مشكدانة ويرزقنا الخير الكثير.

المشهد الثالث

(في المدينة المنورة)

أسماء: كيف أنت اليوم يا حمزة؟
حمزة: لا ينبغي أن أكذبك يا أسماء ونحن هنا مغتربون. تجلدي يا أسماء فإني لن أعيش.
أسماء: بل ستعيش يا حمزة.. أنت اليوم خير منك أمس.
حمزة: إني سعيد يا أسماء أن أموت هنا، في مدينة رسول الله ﷺ وبجواره. إذا أنا مت يا أسماء فعودي إلى البصرة لتقيمي بها أنت وابنتنا حبيبة بجوار صديقنا حبيب الفارسي.
أسماء: (بصوت يخالطه البكاء) سأفعل يا حمزة.
حمزة: لقد بلغنا أن بها مجاعة طاحنة ولكنها لن تدوم وسترفع بإذن الله ويعود الرخاء والسلام إليها .
أسماء: وستقيم أنت معنا يا حمزة إن شاء الله.
حمزة: (يتنهد) أردت أمراً يا أسماء وأراد الله لي أمراً آخر. وما يريده الله خير دائماً وأفضل. لقد رأيت البارحة مناماً حسناً يا أسماء، أتحبين أن تسمعيه؟
أسماء: خيراً يا حمزة.
حمزة: رأيت البارحة كأنني في الجنة فجعلت أطوف في أرجائها وأنا أرى ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر. ثم إذا أنا أمام منزل فريد استهواني بقصوره ورياضه وأشجاره وأنهاره فسألت لمن هذا؟ قيل: هذا لحمزة الزيات

الخراساني اشتراه له من رب العزة أبو محمد حبيب الفارسي بعشرة آلاف دينار.

أسماء: هذا منام عجيب! عسى أن يحققه الله لك بعد عمر طويل.

حمزة: أتدرين يا أسماء ماذا ألقي في روعي حين انتبهت من هذا المنام؟

أسماء: ماذا يا حمزة؟

حمزة: أن الله قد ألهم أبا محمد الرجل الصالح الطيب لما فشت المجاعة في البصرة وما حولها فتصدق بعشرة آلاف الدينار التي أودعتها عنده لينقذ بها آلاف المسلمين من الموت، فيشتري لي بذلك قصراً في الجنة، وهذه عادة هذا الرجل الصالح فقد اشترى نفسه ذات مرة من الله عزوجل بأربعين ألف دينار.

أسماء: لا تُجهد نفسك يا حمزة بمثل هذه التصورات.

حمزة: كلا، هذه ليست بتصورات يا أسماء، لقد أُلقي في روعي أن هذا هو الذي حدث حقاً من أبي محمد.

أسماء: إن كان قد فعلها أبو محمد فلا تبتئس، فإن الله سيرزقنا يا حمزة ولن يضيعنا.

حمزة: كلا. أنا غير مبتئس يا أسماء. أنا مسرور. أنا سعيد بما فعله أبو محمد ولكني أخشى عليه هو.

أسماء : تخشى عليه ماذا؟

حمزة : أخشى عليه من إخواني عباس و عبدالله و أحمد أن يطالبوه بالمال إذا علموا أنني أودعته عنده.

أسماء: وأنى لهم أن يعلموا؟

حمزة: لن يعسر عليهم علم ذلك يا أسماء، فأبو محمد رجل معروف في البصرة وكثير من الناس قد علموا بما كان من اتصالنا به.

أسماء: سألتك بالله ألا ترهق نفسك يا حمزة، فإن كان عندك شيء تريد منا أن نصنعه فخبِّرنا ننفذه لك.

حمزة: أجل، إني سأكتب لأبي محمد براءة مما لي عنده، وأشهِد عليها اثنين من حجاج البصرة، وتحملين أنت البراءة فتسلمينها لأبي محمد.

أسماء: أليس ذلك يعني يا حمزة أننا لا يبقى لنا شيء نعيش به؟

حمزة: أنت لا تعرفين هذا الرجل الصالح يا أسماء، إنه لن يترككم أبداً. سيخلطكم بأهله.

أسماء: ألا يجوز يا حمزة أن نجد وديعتك عنده بحالها كاملة لم تمس، أو أنه قد اشترى لك بها منزلاً في البصرة؟

حمزة: لا ضير يا أسماء، فسيظهر هو حينئذ هذه البراءة لإخوتي إذا جاؤوا إليه، ويحفظ المال كله لك ولابنتك، فإن إخوتي كما تعلمين قد جاؤوا إليّ في ميراث أبي فاستولوا على نصيبي منه.

المشهد الرابع

(إخوة حمزة الثلاثة عباس وعبدالله وأحمد عند أبي محمد)

عباس: أنت أبو محمد حبيب الفارسي؟

حبيب: نعم.

عباس: لقد سمعنا ثناء طيبا عليك من جميع الناس في هذا البلد.

حبيب: الحمد لله.

عبدالله: فقد أحسن أخونا حين اختارك لترك وديعته عندك.

حبيب: من تكونون؟

عباس: نحن أشقاء حمزة الزيات الخراساني الذي مات في المدينة المنورة هذا العام وترك لنا عندك مبلغا كبيراً من المال.

حبيب: هل عندكم ما يثبت أنكم أشقاؤه؟

عباس: نعم قد جئنا بالشهادات معنا.

حبيب: كأنكم تطمعون في المال الذي تركه أخوكم عندي؟

عبدالله: نعم، نحن ورثته العصبة، إذ ليس له ولد ذكر.

حبيب: لقد كان حدثني أخوكم حمزة رحمه الله أنكم استوليتم على نصيبه من تركة والدكم فلم تعطوه شيئاً، فهلا تركتم هذا لابنته الصغيرة وزوجته الأرملة واكتفيتم بما أخذتموه من قبل؟

عباس: كلا لن ننزل عن ميراثنا فيه لأحد.

حبيب: فاعلموا إذن أنه لم يبق في يدي من مال أخيكم شيء.

الثلاثة: كيف؟ أين ذهب؟ أنت مسؤول عن ذلك.

حبيب: اشتريت به لأخيكم حمزة منزلاً في الجنة بقصوره ورياضه وأشجاره وأنهاره وحوره وولدانه.

عباس: هذا كلام لا نعقله.

حبيب: ينبغي لكم أن تعقلوه إن كنتم مؤمنين. فالله تبارك وتعالى يقول في كتابه العزيز ﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ ... ﴿١١١﴾ (التوبة).

عبدالله: حدثنا إذن كيف اشتريت له قصراً في الجنة؟

حبيب: اشتريت بعشرة آلاف الدينار دقيقا فخبزته ففرقته على المسلمين والمسلمات في المجاعة الطاحنة التي فشت عندنا منذ وقت قريب.

عباس: ومن الذي خّولك أن تفعل ذلك؟

حبيب: صاحب المال نفسه. أخوكم حمزة.

عبدالله: كان حمزة قد رحل من عندكم إلى الحجاز، فكيف خوّلك؟

حبيب: لما سمع بالمجاعة أرسل إلي يأمرني بأن أنفق جميع ماله لإنقاذ آلاف المسلمين من الموت.

عبدالله: عندك دليل على ذلك؟

حبيب: نعم، هذه البراءة منه أرسلها إلي من الحجاز، وأشهد عليها اثنين من حجاج البصرة فاقرؤوها إن شئتم.

عباس: اقرأها يا محمد.

أحمد: (يقرأ) بسم الله الرحمن الرحيم. هذه براءة لأبي أحمد حبيب الفارسي البصري مني أنا حمزة الزيات الخراساني، فقد كنت أمرته أن يتصدق بعشرة الآلاف دينار التي تركتها وديعة عنده على المسلمين والمسلمات في أيام المجاعة التي انتشرت في البصرة وما حولها، فنفذ ما أمرته به خير تنفيذ، فقد أبرأ بذلك نفسه، وأبرأته أنا من كل حق لي عنده، فليس لي ولا لأحد غيري أن يطالبه بشيء والله شهيد.

وكتب حمزة الزيات الخراساني بخطه وشهد حسان بن عمر الكواء من البصرة، وشهد علي بن أحمد المسعودي من البصرة.

عباس: وابنته وزوجته ألم يترك لهما شيئاً؟!

حبيب: ويلكم أتريدون أن ترثوهما أيضاً وهما على قيد الحياة؟

عبدالله: كلا، بل نريد أن نطمئن على مصيرهما في دار الغربة.

حبيب: فاطمئنوا من هذه الناحية، فقد نزلتا عندي في بيتي مكرمتين معززتين.

عباس: لابد أن في الأمر خديعة.

حبيب: اذهبوا فقاضوني إلى أي حاكم أو قاض يعجبكم إن شئتم.

عباس: أنتم يا أهل البصرة يواطئ بعضكم بعضاً على كل غريب لتأكلوا حقه بالباطل.

حبيب: سامحكم الله.. ارجعوا إذن إلى خراسان قبل أن يسلب أهل البصرة منكم هذه الثياب التي عليكم.

المشهد الخامس

(في منزل أبي محمد حبيب الفارسي بالبصرة)

مشكدانة: لا تبتئسي يا أختاه فستبقين مقيمة عندي أنت وابنتك حبيبة حتى يجد لك أبو محمد منزلاً تقيمان فيه بجوارنا، وسنكون نحن جميعاً في خدمتكما دائماً في كل شيء.

أسماء: كنا سنسعد كثيراً بالإقامة في جواركم لو كان معنا حمزة يرحمه الله فقد كان يحبكم كثيراً ويعزكم كثيراً.

مشكدانة: هذه سنة الدنيا يا أسماء لا يدوم فيها شيء على حال. والحمد لله إذ حج زوجك بيت الله الحرام، وزار المصطفى عليه الصلاة والسلام، ثم جاءه الأمر المحتوم في المدينة المنورة ، فأي ميتة أفضل من هذه؟

أسماء: هو أيضاً قد قال ذلك ، وقال: إنه سيموت وهو مطمئن النفس لوجود أبي محمد سنداً لنا وعوناً

على الخطوب والأيام.

مشكدانة: ها هو ذا أبو محمد قد أقبل مسرعاً كأنه يريد أن يبشرنا بشيء.

حبيب: هل عندكم أحد يا مشكدانة؟

مشكدانة: لا.. لا أحد غير أختي أسماء وابنتي حبيبة.

حبيب: عندي لهما خبر سار.

مشكدانة: ألم أقل لك يا أسماء؟

حبيب: الأخوة الثلاثة قد رحلوا اليوم إلى بلادهم خائبين.

أسماء: الحمد لله.

حبيب: رحمة الله على حمزة، ما أبعد نظره وأحسن تدبيره!

مشكدانة: رحمة الله عليه.

حبيب: وبشرى ثانية يا أسماء.

أسماء: ما هي يا أبا محمد؟

حبيب: قد وجدنا لك بيتاً حسناً تقيمين فيه بجوارنا على خطوات منا.

أسماء: شكر لله لك يا أبا محمد، وجزاك عنا خير الجزاء.

حبيب: وعشرة آلاف الدينار سأدفعها إليكما قليلاً قليلاً كلما تيسر لي ذلك.

أسماء: لكن حمزة كان مسروراً بقصره الذي اشتريته له في الجنة، فلا ينبغي أن تأخذه منه يا أبا محمد.

حبيب: كلا لن آخذه يا أسماء ، فالقصر سيبقى قصره. والصدقة في المجاعة ستبقى صدقته ، وهذا مال من عندي أشتري لي به قصراً في الجنة مثله أو أصغر قليلاً منه.

أسماء: لكنا لا نستحق هذا المال منك يا أبا محمد، ولا يصح لنا أن نقبله.

حبيب: ويحك يا أسماء! ما كنت أظنك تكرهين لي الخير!

أسماء: معاذ الله. أنا أكره لك الخير يا أبا محمد؟!

حبيب: إذن فلا تمنعيني أن يكون لي قصر في الجنة مثل قصر حمزة ■

ستار

شعر حسين علي محمد (١٩٧٧ - ٢٠٠٠م) دراسة فنية

تقدم هذه الرسالة نموذجا شعريا معاصرا يجهله كثيرون، عن أحد الأصوات الشعرية المعاصرة في محافظة الشرقية بمصر.

وهي تقع فيما يقرب من (٧٦٠) سبعمئة وستين صفحة، وتنقسم إلى تمهيد، وبابين وتوصيف إحصائي. وقد اتبع فيها الباحثُ المنهج التكاملي الذي يوظف المناهج النقدية الأخرى مجتمعة للبحث والتحليل، مثل المنهج التاريخي والمنهج النفسي والمنهج التحليلي الموضوعي ثم المنهج الفني.

رسالة ماجستير للباحث

السيد مختار جاب الله الحسيني القهوجي

فى التمهيد يقدم الباحث تعريفا شافيا بالشاعر في نشأته الأولى، وأثر والده في ذلك إذ كان يلبي كل احتياجاته التي تختص بالقراءة حتى إنه اشترى له (سيرة النبي ﷺ) لابن هشام و(صحيح مسلم)، و(تجريد الأغاني) لابن واصل الحموي وهو في المرحلة الإعدادية. بالإضافة إلى نحو خمسمئة كتاب من سلاسل وزارة الثقافة. الأمر الذي ساعده على نشر مقالاته وهو في الصف الأول الثانوي. وتواصلت المسيرة في الجامعة في قسم اللغة العربية بآداب القاهرة فتأثر بالأساتذة الدكاترة: شوقي ضيف، ورشاد رشدي، وحسين نصار، وعبد المحسن طه بدر، وعبد المنعم تليمة، ونعمان القاضي.

ثم عمل بالتعليم العام بعد حصوله على الليسانس، ثم تقدم للماجستير فحصل عليها في المسرح الشعري عند عدنان مردم. كما حصل على الدكتوراه في الأدب المعاصر سنة ١٩٩٠م.

وكان أول مقال في حياته نشر في مجلة «الرسالة» عام ١٩٦٤م بعنوان «أفريقيا في شعر هاشم الرفاعي».

فرج عبد الوهاب – مصر

وصدر له عشر مجموعات شعرية في مرحلة الدراسة، هي: «السقوط في الليل» ١٩٧٧م، و«شجرة الحلم» ١٩٨٠م، و«أوراق من عام الرمادة » (١٩٨٠م)، و«رباعيات» ١٩٨٢م، و«الحلم والأسوار » ١٩٨٤م، و «الرحيل على جواد النار» ١٩٨٥م، و«حدائق الصوت» ١٩٩٣م، و«غناء الأشياء» ١٩٩٧م، و«النائي ينفجر بوحاً» ٢٠٠٠م. كما قدم العديد من المسرحيات الشعرية، ومنها: «الرجل الذي قال»، و«الباحث عن

النور»، و«الفتى مهران ٩٩»، و «بيت الأشباح»، و«سهرة مع عنترة»، و«الزلزال».

وله «مذكرات فيل مغرور»، وهي شعر قصصي للأطفال في إصدارات رابطة الأدب الإسلامي العالمية.

هذا بالإضافة إلى عشرات الدراسات النقدية والكتب الإبداعية الأخرى..

في الباب الأول يتناول الباحث «شعر حسين علي محمد.. الموقف الفكري» فنجد الفصل الأول بعنوان الرؤى الموضوعية العامة قراءة وتحليل ونقد، فقد كان للشاعر رؤى فكرية منوعة تجاه قضايا حياتية خاصة وعامة تشكلت بفاعلية ونضج في إبداعه الشعري فكان يرى المرأة من منظور عاطفي خالص، بعيدا عن التعقيدات الفكرية المتشابكة، فجاءت المرأة في شعره انسيابية / براقة / من الوجهة العاطفية.

كذلك استثمر غرض المدح ليدعم الصلات النفسية بينه وبين الأصدقاء والأسرة والرموز القيمة التي أثرت في حياته.

أما الرثاء فكان وسيلته الفاعلة للتعبير عن انكسار الذات والبحث عن المفقودات، فكان ينتقل دائما من العام الى الخاص، وكانت انطلاقته الأكثر فاعلية عندما عبر عن اغترابه داخل الوطن وخارجه مدعما رؤاه الاغترابية بمنظومة حاكية تامة النضج طرفاها (الموت والحنين).

أما رؤاه الإسلامية فاستحدث فاعليتها من تفعيل بعض الرموز الإسلامية الخالدة وإعطائها أدواراً معاصرة للذود عن هموم المسلم المعاصر.

ويتناول البحث الرؤى الموضوعية للمضامين التقليدية من الغزل والمدح وقضايا الرثاء وصنوف الاغتراب، ثم الرؤية الوطنية، ومنظومة الوطن من حيث المفهوم العام والقيمة، والرموز، والثورة، وقضايا

د. حسين علي محمد

وأحداث خالدة.

أما الفصل الثاني: «من قضايا الذات الشاعرة» وهو قراءة نقدية في المؤثرات والمضامين، وفيه يتناول أربع فرضيات بحثية – شكلت قضايا فكرية ومواقف عقلية أصيلة في الموقف الفكري لدى الشاعر:

أولها:العوامل النفسية الضاغطة التي شكلت تجربته النفسية المغلقة.

ثانيها: يتناول الحلم الذي صنعه شاعرنا شعرا تميز بالفردية حينا وبالجمعية حينا آخر، ومع الآخر في موضع ثالث.

ثالثها:: مواجهات متأزمة بين الذات الشاعرة والآخر، وهي مواجهات ذات طابع تصادمي يرصد البحث مبررات تداعياته، وماهية الصدام، وكيف ينعكس على الموقف الفكري.

رابعها: الرؤى النقدية المتفاوتة من حيث الأهمية لشاعرنا، وهي ثلاث فئات: نقد الشاعر لذاته، ونقد الشاعر لقضايا سياسية، ونقد الشاعر للواقع الجمعي.

◁◁ استدعاء الشخصيات التراثية والحس القصصي الشعري:

يرى الباحث أن شاعرنا عندما يوظف شخصياته التاريخية والتراثية لا يقصد التواصل الضمني والفني

مع إيقاع الحياة المعاصرة فحسب، بل هو في المقام الأول: يحاول مجاراة ما يقبع داخل نفسه من هواجس وآلام وصراعات، ويحاول خلالها التنفيس الانفعالي عن عواطف ضاغطة من التوتر والقلق بفعل الغربة، فكل شخصية يصادقها شاعرنا (مستدعيا/موظِّفا) تمثل قضيتها جانبا مما في حياته، ونفسه.

ويرى الباحث أن الحاجة الإبداعية قد تدفع الشاعر أيضا إلى أبعد من مجرد التستر وراء حجاب أو قناع متهربا من قهر بعض السلطات التي اعتادت قصف الأقلام، فالشاعر العربي المعاصر ربما احتاج من خلال استدعاء الشخصيات التراثية إلى تبني قضايا بعينها هي قضايا شخصياته المستدعاة، وقد تكون قضاياه هو، من وحي أزمته الخالصة في تنفس عن أزمته تلك تنفيسا لا إراديا، كذلك قد تعلن الشخصيات المستدعاة عن مواجهات صاحبها النفسية والفكرية والاجتماعية. ولعل صاحبها يستملح كثيرا أن يعبر عن نفسه من خلالها، وهي تشير أيضا إلى نوعية ثقافة صاحبها.

ويتناول البحث بعد ذلك مصادر الشخصيات التراثية في شعر حسين علي محمد، ووجوه التأزم في قضايا الشخصيات التي استدعاها والتقنيات الفنية في استخدام الشخصية التراثية، ثم المآخذ التي رآها الباحث على ظاهرة استدعاء الشخصيات التراثية عنده.

أما الحس القصصي في شعر حسين علي محمد فيقدم الباحث عنه قراءة في المحتوى والتقنيات، فيتناول الأنساق المضمونية لتجارب الحس القصصي من خلال قصيدة (عصفوران) المنشورة بديوان «حدائق الصوت»؛ حيث يصنع النسق القصصي مقاربة ذكية، مركزة بين قصة العصفورين المتحاربين / المنهارين وبين أزمة الإنسان المعاصر في افتقاد القيمة مدفوعا بالضغوط الحياتية.

وقد استعان شاعرنا بتقنيات الحس القصصي في شعره من فني القصة والمسرح وأعانه ذلك على بث حس قصصي دينامي في قصائده تشكل من مخزونه الانفعالي بالحدث/القضية الفكرية التي يتبناها ذاتيا/جمعيا، واستعان بالسرد والحوار واللغة، والشخصيات /و الراوي والصراع الدرامي ليقدم نصّه الجديد.

الدراسة الفنية:

والباب الثاني من الدراسة يتضمن الدراسة الفنية لشعر حسين علي محمد من خلال فصول ثلاثة، يتحدث الفصل الأول: عن الموسيقى في شعر حسين علي محمد، وكانت رؤية الباحث تتمثل في البحث عن القيم الفنية الجمالية والفكرية عبر أطر عدة:

الأول: دراسة موسيقاه الظاهرة عبر شعره التفعيلي/العمودي، واضعا في الاعتبار الاعتماد المنهجي على أوزان الخليل.

الثاني:: الوقوف عند أهم مثيرات الإيقاع الداخلي لفظا ومعنى وأكثرها شيوعا.

الثالث: الموسيقى الشعرية وقد ارتبطت ارتباطا تلقائيا وثيقا بفكره ومضمونه، ونلتمس ضربا من ضروب تلك العلاقة الجدلية بين البحر وقوافيه / والمضمون من وجهته الدلالية، وذلك لرسم رؤية نقاشية جدلية قد تربط بينهما.

واللغة والتركيب عند شاعرنا لغة معاصرة تميزت بإطارها التصويري، فكانت أداة منطقية لمزج المركبات الحسية بالمشاعر والانفعالات على المستوى المعنوي المجرد، وقد تتميز بالحزن أحيانا.

أما الصورة الفنية فيقسمها الباحث إلى ثلاثة أنماط موضوعية، وهي:

- الصورة الدرامية.
- الصورة الذهنية / التجريدية
- الصورة الحسية.

وعن الصورة الشعرية الفنية ذات الحس الدرامي يرى الباحث أنها هي النمط التصويري الأكثر شيوعا / قيمة / تأثيرا، لأنها كما يرى تتناسب موضوعيا وطاقات البوح تلك التي شكلت معظم الرؤى الموضوعية شديدة الذاتية لدى شاعرنا، فهو يملك قدرة فنية موضوعية لافتة دأب من خلالها على الصراخ والبوح الذاتي، لذلك كان ميله المنطقي للأبنية الدرامية ذات الحس الدرامي بما فيها من طاقات تصويرية مبدعة تستوعب فنيا كل أنماط التأزم التي قد تحتاجها.

وقد تأثرت بالأدوار البلاغية لفنون التشبيه / الاستعارة / الكناية / وكذلك البناء النامي، وطاقات السرد التصويري البلاغي.

ومصادر الصورة الفنية عند حسين علي محمد هي:

- مصادر حسية، وهي حية ومتحركة وحسية ثابتة.
- مصادر معنوية / موروثات فكرية، وهي الموروث الديني، والموروث الاجتماعي، والموروث الشعبي، والموروث الثقافي.

كما تلعب وظائف الصورة الفنية عنده أدواراً وجدانية وجمالية لتدعيم الرسالة النصية في ذهن المتلقي، وأدواراً للتقريب والتوضيح لتحقيق مصداقية البوح الذاتي، كما أن لها وظيفة نفعية للقيمة الدينية الوعظية.

ولا شك في أن هذا التنوع الكيفي لأنماط الصورة عند حسين علي محمد قد أعطى فرصة فنية قيمة لتنوع مصادر الصورة الفنية ووظائفها.

نال الباحث السيد مختار جاب الله الحسيني القهوجي درجة الماجستير بدرجة امتياز عن رسالته التي قدمها إلى قسم اللغة العربية وآدابها بكلية الآداب جامعة المنصورة تحت إشراف الدكتور عبد الحميد عبد العظيم القط أستاذ الأدب والنقد بكلية التربية، ود. مختار عطية عبد العزيز أستاذ الدراسات البلاغية المساعد بكلية الآداب. واشترك في المناقشة د. حلمي بدير أبو الحاج الأستاذ المتفرغ بآداب المنصورة، ود، محمد مصطفى أبو شوارب رئيس قسم اللغة العربية بكلية التربية جامعة الإسكندرية ■

تأمل..!

أخلاقها العلياء تمنحني الأمانا ... جعلت فؤادي يعشق الإنسانا

جمعت إلى حسن البيان مشاعرا ... وزهت على أترابها إيمانا

سبحان خالقها.. سبحان مبدعها ... سبحان من خلق الجمال وزانا

بدر عمر المطيري - السعودية

إبراهيتي الهواري- الجزائر

بينما كنت جالسا أتسلى بقلمي عله يطاوعني في كتابة شيء يفيدني ويفيد غيري إذ بخيالي يشير علي بحضور جلسة طارئة بمحكمة المحاسبة، فرحبت بالفكرة وقررت أن أكون مبعوثا أمينا أنقل مجريات هذا الحديث بكل صدق وأمانة.

لحظات قصيرة وإذا بي ألج قاعة المحاكمة التي كتب على بابها: «حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا ». وشاء الله أن يتزامن وصولي وانطلاق المحاكمة، وكم كانت دهشتي عظيمة عندما صاح القاضي مناديا على المتهمين: «ليتقدم الإنسان والنفس».

وتقدم الإنسان بخطى متثاقلة متعثرة، وتبعته النفس كاسفة البال حزينة الحال، حينها لم أصدق عيني من فرط دهشتي، ذلك أنني أعرف جيدا قصتهما، فياترى ما الذي أوصلهما إلى هذا المكان؟ وراودتني أسئلة كثيرة زادت من حيرتي وقلقي، ورحت أتابع تفاصيل الأحداث بشغف كبير.

القاضي: إنكما متهمان بالتقصير في أداء الواجبات والتآمر على أحكام الله وفرائضه، فما قولكما؟

الإنسان: (متلعثما) « سيدي القاضي ! أنا بريء مما نسب إلي، وكل ما قيل في كذب وبهتان ».

القاضي: وأنت أيتها النفس؟

النفس: «وأنا كذلك بريئة مما اتهمت به، والبينة على من ادعى».

(يبتسم القاضي ثم يأمر المدعي بالحضور أمامه ليدلي بشهادته أمام الملأ.. ويقوم الضمير من مكانه وما كاد المتهمان يبصرانه حتى شعرا بالخيبة والهوان).

القاضي: تكلم أيها الضمير !

الضمير: سيدي القاضي، إنني لم أتقدم بشكواي إلا بعدما استفحل الأمر، وثبت لي أن السكوت عن الحق شيطنة خرساء، وإنني لأتعجب لهذين الشخصين كيف ينفيان ما نسب إليهما، وهما يعلمان علم اليقين بشهادتي وشهادة غيري بما اقترفاه من مخالفات، والدليل أمامكم سيدي القاضي بكل تفاصيله ضمن الشكوى المقدمة .

القاضي: وهل هناك شهود غيرك؟

الضمير: نعم، وهم حاضرون معي.

القاضي: ليتقدم الشهود، وليدل كل منهم بما شهد.

العين: سيدي القاضي، إن الشخص الماثل أمامكم لم يتق الله في بصره، فاستحل ما حرم الله النظر إليه، بل استخف بقوله تعالى: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ ...﴾ (النور)، وهو يعلم جيدا أن النظرة سهم مسموم من سهام إبليس.

الأذن: وإنه -سيدي القاضي- لم يتوان لحظة من حياته عن سماع الكلام الفاحش، وكلما ذكر بآيات الله أعرض ونأى، ولم يزده ذلك إلا نفورا.

اللسان: إضافة إلى ما قاله الشاهدان، فإن المتهم لم ينته عن الغيبة والنميمة، فكم من جلسة عقدها لينهش لحوم الناس ويتكلم في أعراضهم من دون الاكتراث لقوله تعالى: ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ...﴾ (الحجرات).

القلب: ولطالما -سيدي- أساء الظن في غيره، وأضمر لهم الحقد والبغضاء، ملصقا التهم بالأبرياء من بني جنسه.

القاضي: شكرا لكم، تفضلوا بالجلوس، هل عندك ما تضيفه أيها الضمير؟

الضمير: زيادة على ذلك -سيدي القاضي- أن المتهم لم يؤد أمانة الله التي أوصاه بها في محكم التنزيل والتي بفضلها نال منصب الخلافة في الأرض.

القاضي: (مقاطعا للضمير): ماذا قلت؟ لم يؤد الأمانة، إن هذا الأمر أشد خطرا مما ذكره الشهود.

التفت القاضي إلى الإنسان وعلامات الغضب والقلق بادية على وجهه، ثم قال: أصحيح ما سمعت"؟

الإنسان: (مرتبكا): نعم سيدي...

القاضي: وما السبب في ذلك؟

الإنسان: إنها النفس الأمارة بالسوء.

القاضي: النفس؟! وكيف ذلك؟

الإنسان: لقد تآمرت هي والشيطان علي فأغرياني باتباع الشهوات مقابل التنازل عن أداء الأمانة، فكان لهما ما أرادا، ولولاهما ما وقعت فيهما وقعت فيه.

القاضي: عجيب أمرك أيها الإنسان، كيف تستجيب لمطلب الأعداء وأنت لك مستشار مُحنّك أكرمك الله به، فلماذا لم تعرض عليه الأمر قبل الإقدام عليه؟.

وأمام هذه الكلمات لم يجد الإنسان بدا من الاعتراف بجرائمه المرتكبة، حينئذ صمت القاضي مفكرا ثم أصدر القرارات الآتية:

بناء على الشكوى المقدمة من الضمير، وبناء على ما جاء في تصريحات الشهود، حكمت المحكمة على الإنسان بما يأتي:

- الرجوع إلى الله والإنابة إليه.
- المحافظة على الصلوات.
- الإكثار من الذكر وقراءة القرآن.
- استشارة العقل في جميع الأحوال.
- أن يسد على النفس جميع منافذ الغواية.
- أن يذكرها بالله كلما حاولت ارتكاب معصية.
- الحرص على أداء الأمانة التي حملها الله إياها.

وفي حالة تمرده على تنفيذ هذه القرارات بصفته المتهم الرئيس في القضية فإن سجن جهنم هو المأوى، يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

رفعت الجلسة ■

الأدب الإسلامي في شبه القارة الهندية الباكستانية

المؤلف: جراهام بيلي

ترجمة: د. حسين مجيب المصري

يتألف هذا الكتاب في شكله المترجم من قسمين: الأول هو الكتاب المترجم ويقع في (١٣٧) صفحة مع مقدمة المترجم، والثاني هو تعليقات المترجم وقد جعلها مستقلة في (١١٧) صفحة.

وبلغ عدد تعليقاته (١٠٧) تعليقات، وهي في الأساس هوامش لبيان بعض الألفاظ أو ترجمة بعض الأدباء، ولكن التوسع فيها خرج بها من دائرة الهوامش إلى شكل آخر. فمثلا يعلق على كلمة (الغزل) ومفهومه في آداب الشعوب الإسلامية، والقصيدة، وشعر المراثي، والمثنوي، وهو ما عرف أيضا بالمزدوج، ويعلق على كلمة (تذكرة) بمعناها اللغوي ثم يعرض الكتب المؤلفة بهذا الاسم في العربية والفارسية والتركية واستغرق ذلك منه خمس صفحات.

يقع القسم الأول من الكتاب، في سبعة فصول هي: تاريخ اللغة الأوردية، وبداية أدب اللغة الأوردية، والقرن الأول للشعر الأوردي في دلهي (١٧٣٠ – ١٨٣٠)، والشعر الأوردي في لكنو في القرن التاسع عشر، وعصر دلهي الثاني وشعراء رامبور الأربعة، والنثر الأوردي، ،العصر الجديد.

يقول المؤلف: إن معرفة شعراء الأوردية الأوائل مستمدة من الكتب الفارسية القديمة الخاصة بتراجم الشعراء، وإن أول كتاب ألف بالأوردية في هذا الموضوع هو (كلشن هند) لعلي لطف سنة (١٨٠١م). ويورد عددا من أسماء أنماط الشعر الأوردي ويعرف بها وهي:

الغزل، والقصيدة، والمرثية، والمثنوي، والتذكرة، والديوان، والتخلص، وريختي (وهو شعر في وصف حياة النساء)، ولها مدلولات مختلفة عن مدلولاتها العربية تماما.

ويوضح المؤلف: أن النثر الأوردي كتب في عام ١١٠٠م، ولكنه يشكك في ذلك. ويورد أسماء الكتاب والشعراء ونماذج من أدبهم في هذه الفترة. ثم يتحدث عن تطور الشعر الأوردي في ثلاث مراحل هي:

الشعر الأوردي في دلهي من (١٧٣٠ – ١٨٣٠) والشعر الأوردي في لكنو في القرن التاسع عشر، وعصر دلهي الثاني وشعراء رامبور الأربعة وهم: أمير، وداغ، ومير، وسودا، وقد عرف هؤلاء بالشاعرية المتألقة وأكثروا من المدائح النبوية، ووصف الأسفار.

وفي النثر الأوردي يتابع المؤلف سير تطوره حتى بداية القرن العشرين ومن أشهر الكتاب محمد حسين آزاد، وألطاف حسين حالي، وسيد حمدي علي، وشبلي النعماني الذي يعد أعظم كتاب النثر في الأوردية بأسلوبه الأدبي الراقي، وموضوعاته التاريخية والمعاصرة التي عملت على إنهاض المسلمين في العصر الحديث. وظهر كتاب للقصة مثل نذير أحمد، وشرر اللذين كتبا في إصلاح البيت المسلم، وفي القصص التاريخية التي تعبر عن مجد الإسلام. أما (سرشار) فكتب في وصف الحياة العادية في لكنو وصفا حيا مشرقا فيه هزل ودعابة..

في الخاتمة يشير المؤلف إلى تبادل التأثير بين الأدب الأوردي والأدب الإنكليزي عن طريق الجامعات التي يُدرِّس فيها أساتذة إنكليز أو الطلاب الذين يدرسون في إنكلترا، وذلك في شعر الطبيعة والوطنية والغيرة القومية.. ومن جانب آخر يشير إلى التعاطف بين الشعور الأسمى في الهند وبين عظماء الكتاب في إنكلترا خصوصاً في المنحى الأخلاقي. ويمثل لذلك بشاعر الهند العظيم مسدس حالي، وبمحمد إقبال الذي سماه بعضهم (ترجمان الحقيقة).

وقد صدر الكتاب عن: الدار الثقافية للنشر – القاهرة، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ / ٢٠٠١م ■

مملكة النحل

المؤلف: علي نار

ترجمة: كمال أحمد خوجه

عرض: د . أمين الستيتي

كتب الأستاذ (علي نـار) روايته (مملكة النحل) بلغته الأم (التركية)، نقلها إلى العربية كمال أحمد خوجه، بمهـارة في الصياغة الأدبيـة، والتي ظهـرت جلية في هـذه الـروايـة، التي تستحق أن توصف بالعالمية.

وعندما يطل المـرء على الـرواية تـتـراءى علـى خيـالـه ألـوان المعـاني، إذ يخال أنها من قصص الأطفـال، وسرعان ما تذوب هذه الـرؤى، وتلمع معاني الجوانب الخفية، فيخال أنها من الكتب العلمية، وأنها بحث في عالم النحل، ....

وما يلبث المرء أن يدع تلك المعاني، ومعها كل الخيـالات والأحـلام التي رآهـا، لتتبدل دوافع الرغبة في تناول هذه الرواية، والشوق لما حوته.

لكن علي نار يتجاوز حدود الزمان والمكان الروائية ليصوغ لنا روايته هذه كما يصوغ الجـواهـري حليته، وزين التمهيد بآيتين من سورة النحل (٦٨ -٦٩). وحـاول مـن الكلمات الأولى أن يشد الرمز إلى الواقع، أو الواقع إلى الرمز، بل أن يمزج بينهما مزج الذواقة العارف، حين روى حكايته مع المؤلف (أبي خنفس الكلداني)، الذي لقيه يصطاد السمك، في منطقة بين الكويت والبحرين في منطقة البحيرة، ويأكل صيده من السمك بعد أن تنضجه الشمس. والـذي أكد له أنه كتب هذه الرواية بعد مراقبة دامت قرابة عشر السنوات، ثم سمع من الناس الذين يسكنون قرب جزيرة النحل، قصصا طريفة، لخّصها في مؤلفه هذا، وسمح لهم أن يصوروه؛ ليستفيد الناس من حكمة مملكة النحل في تدبير شؤونها، الخاصة والعامة.

وخـلاصـة الـروايـة أن الأعـداء من الأفاعي والعقارب وأعوانهم من المنافقين والخونة قد احتلوا جزيرة النحل، وأن النحل استطاع تحريرها بعد أن جاهـد في الله حق جهـاده. ص٧.

وقـد استعان في بحثه بالسؤال والقراءة، والبحث في كثير من البلدان، ومع كثير من النحالين، حتى تعرّف لغة النحل، واكتشف أنها تعتمد على الصوت والحـركـة، وقـرّر أن يقدمها (حكاية لكل الأطفال، وأنه ليس له في هذه الحكاية التي تعبر عن الحقيقة كـامـلـة سـوى الجـمـل الاعـتـراضـيـة والتشبيهات) ص٨.

ويخـتـم هـذا الـتـمـهـيـد بتسجيل مـعـجـم لـلـغـة الـنـحـل وحـركـاتـهـا ورقصاتها،وترجمة لما سجلته النحل على الصخرة السوداء المدببة وسط جـزيـرة النحل الـتـي بـذلـوا مـن أجـل استعادتها من الأعداء الغالي والثمين من أرواح أبنائهم، وقادتهم من أعلى المستويات النحلية، والتي كانت ملكة النحل في بعض جـولات الصراع مع الأعداء إحدى الضحايا!

لقد وضع المؤلف الأساس الرمزي الشامخ لروايته (مملكة النحل)، وربطه بالواقع في محاولة جادّة لسحب القارئ نحو أعماقها، ليعيش أحداثها، ويشـارك في صنعها. إلى أن يختم تمهيده بإعـلانـه أن الكتـاب (هدية يقدمها للناس الذين انقطعت صلتهم بثقافتهم الأصلية) ص١٢.

إن الأسلوب الأدبي الرفيع الذي تلتحفه الرواية، لا يهزُّه أنها مترجمة عن لغتها الأم (التركية)، فهي تتفيأ ظلال البيان، وترِد موارد البديع، مع الحـرص على الوقوف على جزئيات الحـدث، وتطوره، حتى يجعل القارئ واحداً من شخصيات الحكاية، وكأنه يشارك في بناء الأحداث !

ولم ينـس الـكـاتـب قـط قـواعـده الفكرية الصريحة، فانطلق كأنما يتكلم عن المجتمع الإسـلامي، الذي لا مناص له من العـودة إلى جـذوره الشرعية الأصيلة، كي يتخلص من الشوائب التي علقت مسيرته، وحرفت مجرى حياته..

فـازت الـروايـة بـالجـائـزة الأولى في مسابقة رابطة الأدب الإسلامي العالمية، وصدرت عن مكتبة العبيكان في الرياض، ط١، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٧م■

مكتب السعودية - محمد الحناحنة

لقاء مفتوح

د . علي الحمود

عقد لقاء أدبي مفتوح في شهر شوال ١٤٢٩هـ، شارك فيه كل من د . ناصر الخنين نائب رئيس المكتب، و د . وليد قصاب عضو الهيئة الإدارية لمكتب البلاد العربية، و د . علي الحمود عضو الهيئة الإدارية للمكتب الإقليمي. وأجاب رئيس الرابطة د. عبدالقدوس أبو صالح على عدد من تساؤلات الحضور في نهاية اللقاء، ودار الحديث حول مسيرة الرابطة والأدب الإسلامي عموما، ومؤتمر الهيئة العامة الثامن الذي عقد الصيف الماضي في تركيا خصوصا.

وقامت القناة الخليجية مشكورة بتصوير اللقاء وحضره عدد من مندوبي الصحف اليومية والمجلات الأسبوعية .

ملتقى الإبداع

عقد ملتقيان للإبداع الأدبي لشهري ذي القعدة وذي الحجة شارك فيهما بإلقاء النصوص الشعرية كل من الشعراء: علي المطيري، حيدر البدراني، عبدالرحمن البكري، محمد عبدالله التركي، خالد الغنام، عاصم العجي، مؤيد حجازي ، أحمد القدومي، بدر الحسين، جبران سحاري.

وشارك في إلقاء النصوص النثرية كل من : فائز الأسمري، خالد السعيدي، محمود حسين، أيمن ذو الغنى، ياسين عبدالوهاب، خليل الصمادي.

وعلق على النصوص المقدمة بالنقد والتقويم د . حسين علي محمد ، ود . وليد قصاب.

أمسية شعرية

وفي شهر ذي القعدة ١٤٢٩هـ أحيا الشاعران د.محمود الحليبي من الأحساء، وظافر السيف من الدمام أمسية شعرية أمتعا فيها الجمهور الحاشد بقصائدهما المتألقة التي لامست القلوب، وتراوحت بين الذاتية والوطنية والاجتماعية.

قدم ضيفي الأمسية د . عبدالقدوس أبو صالح رئيس الرابطة، وشارك فيها عدد من الضيوف القادمين من المنطقة الشرقية بقصائدهم إلى جانب مشاركة الشاعر الكبير عبدالرحمن العشماوي.

خواطر مع العروض والشعر

وفي شهر ذي الحجة ١٤٢٩هـ قدم الدكتور عمر خلوف عن خواطر في العروض والشعر، تحدث فيها عن مستويات من التجديد في عروض الشعر العربي القديم والحديث الملتزم بالتفعيلة والخارج عليها، وأثر ذلك على مسيرة الشعر العربي الحديث. وأتحف د . عمر خلوف الحاضرين بعدد من قصائده المتألقة ، وأجاب على تساؤلات الحضور وخصوصا حول كتابه العروضي «كن شاعرا». قدم الضيف د.علي الحمود عضو الهيئة الإدارية للمكتب الإقليمي.

ملتقى الشعر الإسلامي بالقاهرة

أقامت وزارة الأوقاف المصرية ملتقى للشعر الإسلامى يومي الحادي والثاني عشر من رمضان وذلك ضمن الموسم الثقافي الذي نظمته الوزارة خلال شهر رمضان ١٤٢٩هـ تحت «شعار ملتقى الفكر الإسلامى». والجدير بالذكر أنه يتم لأول مرة هذا العام ضمن برنامج الملتقى الثقافي الذي يستمر يوميا خلال شهر رمضان تنظيم أمسيات للشعر وبخاصة الشعر الإسلامي، لما لهذا اللون من الإبداع من تأثير في وجدان الناس.

د . حمدي زقزوق

وقال معالي د. حمدي زقزوق وزير الأوقاف المصري: إن الإسلام منذ بداية الدعوة الإسلامية اعتبر الشعر دون سائر الألوان الأخرى من الأدب سلاحاً يخدم الدعوة الإسلامية نظرا لما له من بيان وتأثير قوي في القلوب والعقول. وقال: إن هناك شعراء وشاعرات كثيرين برزوا في مستهل عصر الإسلام أشهرهم حسان بن ثابت. وقد شارك في هذه الأمسيات التي تنظمها وزارة الأوقاف المصرية خلال شهر رمضان نخبة من كبار الشعراء في مقدمتهم الشعراء محمد التهامي وفاروق جويدة وفاروق شوشه ومحمد إبراهيم أبوسنة وآخرون.

جائزة الدولة في أدب الطفل لسليم عبدالقادر

سليم عبدالقادر

فاز الشاعر السوري سليم عبدالقادر، عضو الرابطة بجائزة الدولة لأدب الطفل، التي ينظمها ويشرف عليها المجلس الأعلى لشؤون الأسرة في دولة قطر، في دورتها الأولى لعام ٢٠٠٨م، والتي تعد أكبر جائزة في هذا المجال على مستوى العالم العربي. وقد تم تكريم الفائزين في حفل أقيم على مسرح قطر الوطني، وشملت الجائزة أربعة مجالات هي: الدراسات الأدبية، والقصة والرواية، وأغاني الأطفال.. وقد زاد عدد الأعمال المشاركة على ٨٠٠ عمل، وتبلغ قيمة الجائزة لكل مجال ٢٠٠ ألف ريال قطري.

وفاز بجائزة الدراسات الأدبية مناصفة كل من د. عبدالله حسن آل عبدالمحسن من السعودية، والأستاذ محمد حيدر من سوريا، وفي الرواية علي ماهر إسماعيل من مصر، وفي القصة نوري الجراح من سوريا، وفي أغاني الأطفال سليم عبدالقادر من سوريا ومحمد جبار حسن من العراق.

دكتوراه لقصاب باشي

في جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا - قسم اللغة العربية، بتاريخ ١٨ مايو ٢٠٠٨ م جرت مناقشة رسالة الدكتوراه التي تقدم بها الباحث نبيل قصاب باشي بعنوان: «الخطابي نحويا ولغويا» وهي دراسة تحليلية في منهج الخطابي اللغوي والنحوي والصرفي في كتابه غريب الحديث.

تألفت لجنة الحكم من الأستاذ الدكتور عبدالرحيم سفيان مشرفا، وعضوية كل من: الأستاذ الدكتور عبدالله آدم أبو نصيفة، والأستاذ الدكتور حسن منصور. وقد أشادت اللجنة بالجهد المبذول في هذه الرسالة.

مع العدد الخاص بالأميري

أحسنت مجلة "الأدب الإسلامي" صنعاً، وأجادت حينما خصّصت عددها الستين للحديث عن الشاعر الراحل عمر بهاء الدين الأميري، وأفسحت فيه المجال للعديد من الدارسين والمهتمين فتناولوا شخصية الأميري وشعره بالعرض والتحليل، وتوقفوا عند جوانب عدّة من حياته وعطائه، فأثروا العدد بحق، وأدّوا بمجموعهم بعضاً من واجب التكريم والتقدير لهذا الشاعر الكبير.

وحياة الأميري وشخصيته التي كانت أوسع من حدود الشعر الذي عرفه به أكثر الناس، ومن مدى الأدب وحده، تستحق دراسات كثيرة وتناولاً مختلفاً، غير أنّ من ألحّ بدهيات الحديث عن شخصية متميّزة كالأميري، أن نعرف تاريخ ميلاده

رحمه الله، وهو أمر - على بساطته - اختلفت فيه الروايات وتعددت حوله الأقوال، ولذلك فلم يكن مستغرباً أن تخطئ مجلة "الأدب الإسلامي" في تحديد ذلك التاريخ، وقد سبقها إلى خطئها كثيرون غيرها، كان الأميري نفسه واحداً من بين هؤلاء!!

باسل الرفاعي - أمريكا

● بحسب المقال الطويل الذي تفضل به الأستاذ باسل الرفاع مشكورا، فقد ذكرت المصادر المختلفة تواريخ متعددة في سنة ولادة الأميري هي: (١٩١٤، ١٩١٥، ١٩١٦، ١٩١٧، ١٩١٨، ١٩٢٣، والأرجح في رأي الأستاذ باسل الرفاعي هو تاريخ ١٩١٨م. ويبقى الأمر اجتهادا لأن الأستاذ باسل الرفاعي قال في آخر مقاله:(وختاما، وبانتظار العثور على ورقة الرزنامة المفقودة أو دليل آخر جديد يظل تحديد يوم ميلاد الأميري والشهر الذي ولد فيه ضربا من التكهنات، والأمر بمجمله صفحة واحدة من حياة حافلة لرجل عظيم تستحق المزيد من الدراسة والتحليل والتحقيق)، ومجلة الأدب الإسلامي تأخذ برأي الأميري نفسه الذي كتب معلقا على الموضوع في حياته قائلا: «ما أهمية ذلك؟!»

التحرير

السادة أسرة تحرير مجلة الأدب الإسلامي الغراء

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أحببت أن أنوه بالجهود المكثفة التي ساهمت في إخراج العدد (٦٠) الخاص بالأديب الكبير عمر بهاء الدين الأميري - يرحمه الله - وهذا العدد تميز كغيره بغنى ألوانه وتنوع مواده فهو بحق كمن جمع من كل بستان وبلد زهرة مميزة اللون والرائحة والشكل قلبا وقالبا.

مرة أخرى أشكر جميع من ساهم في هذا العدد من جنود معروفين ومجهولين.

خلف حسن خلف - الرياض

السادة هيئة تحرير مجلة الأدب الإسلامي

تحية وتقدير

أما بعد: فقد اطلعت على العمل الباهر الذي قمتم به في العدد الجديد من مجلتنا الرائدة الأدب الإسلامي وسعدت أيما سعادة لهذا الثوب المتألق الذي تراءت فيه المجلة. ولا يخفى على أحد مدى الجهد المبذول فيه فلكل الذين ساهموا في مثل هذا العدد التاريخي كل الشكر.

الشاعر حسن شهاب الدين - القاهرة

انفجار في المطبخ

محمد سعيد المولوي - سورية

كان الفول النابت من أطيب الأطعمة إلي وأنا صغير، فإذا جاء العيد آخذ عيديتي وأخرج إلى السوق فأقف عند بائع الفول النابت لأشتري ملء صحن من الفول الناضج اللذيذ الذي كنت أرش عليه الكمون والملح، وأجد لذة وأنا آكل الفول حبة بعد حبة، وقد أزلت قشرتها.

وكان صوت بائع الفول وهو ينادي: "نابت نبت، استوى الفول يا أبي، كلاوي، الله يجيرنا من البلاوي! "يقع في أذني عذبا جميلا، فإذا أنهيت صحن الفول ملأ لي كأسا من ماء الفول المسلوق وصب فوقها الملح والكمون وعصير الليمون وهي ساخنة، فأشربها كألذ ما يكون الشرب.

هذا الحب للفول اتسع إلى حب الفول المدمس، وهو الفول المسلوق المضاف إليه مسحوق الثوم، وقطع البندورة، ومفروم البقدونس وقد غمره الزيت فبدا لامعا كالذهب.. كما اتسع إلى حب جميع أنواع أطعمة الفول. ولن تجد في الدنيا جماعة تفننت في طبخ الفول الأخضر على أشكال مختلفة كأهل دمشق، فهناك الفول المقلي والرز بالفول، والبرغل بالفول، والفولية، وشرحات اللحم مع الفول، والكبة اللبنية مع الفول..... إلخ.

وحين يأتي موسم نضج الفول الأخضر في شهر نيسان فالطعام السائد في دمشق هو الفول.. حتى إن أحد الأشخاص نزل ضيفا في هذه الفترة على أحد الدمشقيين وكان طعامه في كل يوم وعلى مدى عشرة أيام نوعا من طبخ الفول حتى صاح بمضيفه يا ويلتي والفول، إن كل خلية في بدني فيها قطعة فول!.

هذه العادة التي اكتسبتها وأنا صغير أيام العيد، كانت تراودني بين الفينة والفينة لأطبخ الفول النابت، وأجلس أتلذذ بأكله حبة حبة، وكنت وقد غادرت سن الطفولة والشباب لا أزال أحن إلى تلك الذكريات، فإذا جاء أحد العيدين كانت " طنجرة " الفول أهم القدور على النار، وقد بلغ الفول من نفسي مبلغا أن نظمت قصيدة فيه جاوزت سبعين بيتا.

على أن طبخ الفول النابت لم يكن في مواسم الأعياد فقط، بل كنت أدخر كمية كبيرة من الفول الكبير الجيد، وأعدها في رمضان فولا مدمسا، وهو الصحن الذي يكاد يكون حاضرا في كل عشاء أو أعدها في فصل الشتاء حين يحلو السهر ويكون الفول النابت أو الفول النابت المشوي هو أحد النقول التي نتسلى بها في الليل إلى جانب بقية المكسرات.

والآن وأنا حبيس الدار بسبب الجبس على يدي، عَنّ لي أن أسلق فولا نابتا، فأخرجت من المدخر بعضه، وغسلته، ثم نقعته في الماء لمدة يومين حتى انتفخت الحبات وانتبجت، وتغلغل الماء في خلاياه، فبدت وكأنها ناضجة وأصبحت جاهزة للسلق.

وأبى عليَّ كبريائي وأنا مع زوجتي في صدٍّ وردٍّ ودفع وشد في دخول المطبخ والتدخل في مسائله ولا سيما بعد صنع الحلويات "الكاتو" التي كانت فاشلة بإقراري واعترافي أمامكم وأمام جميع الناس والأشهاد إقرار عاقل مقر بخطئه. لقد أبى عليَّ كبريائي أن أقول لزوجتي: اسلقي الفول. ورحت أتحين الفرصة لتنفيذ ذلك، وحين قالت: إنها ذاهبة لزيارة أختها رحبت بذهابها، فقد سنحت الفرصة.

كاد صبري ينفد لولا أن سمعت صفق الباب، وتحققت من خروج زوجتي، وسارعت إلى المطبخ فأخرجت قدر البخار، وما كانت لي خبرة في استعمالها إلا نظرات عابرة كنت أرى زوجتي فيها وهي تستعملها، وغسلت الفول ووضعته في القدر، وقد بدأت بعض حباته تتقشر من طول ما نقعت في الماء. وصببت الماء فوقه، ثم أغلقت القدر وأنا مطمئن إلى حسن إغلاقها، ووضعتها على الموقد والنار من تحتها.

مضت فترة من الزمن حين بدأ البخار يتصاعد من منتصف غطاء القدر، وأسرعت فوضعت الكرة فوق الفتحة، فراحت تتأرجح ذات اليمين وذات الشمال والبخار يصدر موسيقى عذبة، ولكن وبعد ما يقرب من عشر دقائق خفت صوت البخار وهدأت الكرة وصفيرها، وخفت أن تكون الفتحة التي يخرج منها البخار قد اندفعت فيها قشرة من قشور الفول فسدتها، وهي بذلك لا ريب ستنفجر وتدمر المطبخ، وأسرعت فرفعت القدر عن النار والبخار الذي يتصاعد منها خفيفا وجعلتها تحت صنبور الماء وأسقطت الماء عليها، ولم يمض إلا بعض دقيقة حتى توقف البخار عن الصعود، واعتقدت أن ضغط القدر انتهى، وأنه أصبح من الواجب علي أن أفتحها وأنظف فتحة البخار وأن أزيل القشرة منها.

أمسكت بساعد غطاء القدر وبَرَمْته حتى تحرر من قيوده.. ثم..ثم ماذا أقول.. ودوى انفجار كأنه انفجار قنبلة، وطار الغطاء من يدي، وتناثر الفول على رأسي ووجهي وكتفي وصدري ويدي، وعلى خزائن المطبخ وأرضه، ووصل إلى سقف المطبخ، واحترق جلدي حيث سقط الفول! ورحمني الله أني كنت أضع نظارتي فجاء الفول على النظارة ولو جاء على عيني لأحرقها وأورثني العمى!

غسلت وجهي ويدي وصدري بالماء، وأخرجت من الثلاجة بعض الثلج ورحت أدعك به مكان الاحتراق، ونظرت حولي، كان المنظر مدهشا، فإن أعظم فنان ما كان ليرسم تلك اللوحة التي رسمها الفول على خزائن المطبخ.

وأسقط في يدي، فكيف يمكن تنظيف الجدران والسقف؟! وحاولت قليلا فما أفلحت، وانسحبت إلى غرفتي أترقب مجيء زوجتي، حتى إذا سمعت الباب يفتح تهيأت للهزء والتقريع والتأنيب. ولما كان المطبخ بجوار باب البيت فقد مرت زوجتي به ورأت آثار العدوان، وحين دخلت غرفتنا نظرت في وجهي وصدري وساعدي ورأتها حمراء من أثر الحريق وقد ظهرت عليها فقاعات من الماء فسارعت إلي تحتضنني وتبكي. حينذاك علمت أن حبها لا يزال قائما، وأنها إنما كانت تدافع عن مملكتها، فقلت في نفسي: يا فرحي إنني متقاعد!! ■

مشروع مقترح لمختارات من الأدب الإيماني

د. عماد الدين خليل - العراق

بغض النظر عن الجدل القائم داخل دائرة الأدب الإسلامي حول ما يسمّى بإشكالية العلاقة بين النص وصاحبه، وحول اعتبار المعطى الأدبي الذي يصدر عن رؤية إيمانية، تتوافق في نبضها ومفرداتها وتوجهاتها مع أسس التصوّر الإسلامي ومقوّماته، أدباً إسلامياً أم داعماً لهذا الأدب، أو الحكم عليه بالنفي بسبب الشخص الذي صدر عنه، والبيئة الفكرية والدينية التي تشكل فيها.

بغض النظر عن هذا كلّه، يظل(للكلمة الطيبة) التي تبشر(بقيم إيمانية) وتدعو إليها، بكل ما تنطوي عليه العبارتان من معنى، دورها البنائي الفاعل والمؤثّر في تعزيز الإيمان في عالم تحاصره قوى الردّة وتضيّق عليه الخناق أعاصير الكفر والمروق والإلحاد.

لنسمّه(توظيفاً)، وثمة فارق كبير بين(التبنّي) و(التوظيف)، ولنمدّ أيدينا إليه لكي يعيننا في معركتنا الأبدية الدائرة بين المروق والإيمان.

على أية حال.. هناك مساحات كبيرة في نسيج الأجناس الأدبية كافة لأدباء غير إسلاميين، سواء من المحسوبين على جغرافية عالم الإسلام، أم من المنتمين إلى أديان ومذاهب وثقافات متنوعة على مدى العالم كلّه.

مساحات تنبض بالرؤية الإيمانية الأصيلة، التي يبلغ ببعضها الأمر حدّ أن تكون مرايا صادقة لمفاهيم التوحيد التي هي جوهر هذا الدين وقاعدته الأساسية.

أمن المعقول أن نفرّط بهذا التراث الإيماني الخصب الذي يدعم موقفنا قبالة سموم الآداب المنحلّة على مستوى الفكر أو السلوك، والتي تتعاضد بقصدية مسبقة، أو بدونها، وبشراسة وإلحاح منقطعي النظير، لتدمير ثوابت الإيمان على المستويين معاً ؟

إن قوى الاستلاب، وفي معظم الأحيان، تتعاون ويسند بعضها بعضاً، ويلّمع بعضها بعضاً من أجل تحقيق أهدافها في توظيف(الكلمة الخبيثة)، أفلا يتحتم - في المقابل - أن نستجيش كل القوى العاملة في المعسكر الآخر، وأن نوظف كل إمكاناته ومعطياته التي تخدم قضية الإيمان في العالم، وتلاحق جيوب الكفر والتحلّل والمروق والخطيئة والإلحاد ؟

في ضوء ذلك قد يخطر على البال ملامح مشروع ليس أولى من(رابطة الأدب الإسلامي العالمية) من يقوم به، وينوء بحمله الصعب، ولكنه الواعد بأطيب الثمار.

«مختارات من الأدب الإيماني العالمي» الذي يعهد لمجموعة من الأدباء الإسلاميين مهمة انتقائها، وترتيبها وفق أجناسها، شعراً وقصة ورواية ومسرحية وسيرة ذاتية ومقالاً..

بعضها مما هو مكتوب بالعربية، وبعضها الآخر مما سيترجم عن هذه اللغة أو تلك.. ووضع ذلك كله بين أيدي القراء في إصدار واحد أو جملة إصدارات..

ومن يدري.. فقد يصحّ العزم على ترجمة المختارات إلى هذه اللغة أو تلك من لغات الشعوب الإسلامية أو غير الإسلامية، من أجل توسيع دائرة الخطاب الأدبي الإيماني ومنحه سمة العالمية.

وهو في الحالتين جهد صعب.. ولكنه يستحق البذل بكل تأكيد ■